بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية

نموذج رقم (٨)

« إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات »

الاسم « رباعي »: مريم عبدالله علي القرشي كلية: اللغة العربية قسم: الدراسات العليا

عنوان الأطروحة: « المصباح لبدر الدين بن مالك " تحليل ودراسة "»

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعـــد:

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٥/ ٢ /١٤٢٢هـ ، بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه...

والله الموفـــــق. ،،،

أعضاء اللجنــة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم: د/ [illegible]	الاسم: د/ ... عبدالله الأنصاري	الاسم: محمد محمد أبو موسى
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:

يعتمد: رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ.د. سليمان بن إبراهيم العايد

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية

المصباح

لبدر الدين بن مالك

"تحليل ودراسة"

بإشراف الدكتور /

عوض بن معيوض الجميعي

مقدمته الطالبة /

مريم عبد الله القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

بدأت الرسالة بمقدمة بينت فيها أهمية علم البلاغة واهتمام العلماء بهذا العلم وتطوره على أيديهم . ثم التمهيد ، وبدأته بالتعريف ببدر الدين بن مالك والبيئة العلمية في عصره وبلاغته ، ودرست خصائص المدارس البلاغية في ذلك العصر . ثم وضحت منهج ابن مالك الذي سار عليه في كتاب " المصباح " . ثم انتقلت إلى صلب الدراسة وقسمت البحث إلى أربعة فصول ، أشرت في الفصلين الأولين إلى أبرز ما أضافه ابن مالك في كتابه " المصباح " من آراء وشواهد وتقسيمات اختص بها ، إضافة إلى ما نقله عن السكاكي وابن أبي الإصبع ، وذكرت أبرز المباحث التى رأيت أنه انفرد برأي فيها .

في الفصل الأول من علم المعاني تناولت : الفصاحة والبلاغة ، تقديم المسند إليه ، الإلتفات ، الإيجاز والإطناب ، أحوال الطلب .

أما في الفصل الثاني من علم البيان فتناولت فيه : التشبيه ، المجاز ، الاستعارة ، الكناية .

أما في الفصل الثالث من الرسالة فقد خصصته لعلم البديع وتناولت فيه جميع ألوان البديع التي ذكرها ابن مالك في كتاب المصباح واجتهدت في أن ابين ما نقله عمّن سبقه من العلماء وما انفرد به كما أشرت إلى المصادر التي اعتمد عليها في بحثه للبديع .

أما في الفصل الرابع من الرسالة فتحدثت فيه بإيجاز عن كتاب " الإيضاح " للقزويني، وبينت الدراسة أن كتاب " المصباح " لبدر الدين بن مالك كان أحد الكتب البلاغية التي اطلع عليها القزويني ولها أثر في كتاب " الإيضاح " .

ثم أشرت أيضاً إلى كتابي " الطراز للعلوي " و التبيان للطيبي " وبينت أن هذين الكتابين قد اعتمدا على كتاب " المصباح " أيضاً وقد أشار إلى ذلك المؤلفان .

توقيع : الطالبة | توقيع : المشرف | توقيع : عميد كلية اللغة العربية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .   أما بعد : -

فإن علم البلاغة العربية من أجل العلوم وأشرفها . ذلك أنه علم متصل بإعجاز القرآن الكريم الذي كان معجزة الرسولﷺ التي تحدَّى بها الكفار بما يحويه من فصاحة وبلاغة وإعجاز وبيان . قال تعالى : { **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** }[1] .

والقرآن الكريم أهم مصدر تنوعت فيه طرق التعبير ، فكل من تصدى للبحث والتأليف في البلاغة العربية يجد في القرآن ضالته ويستمد منه الأمثلة والشواهد . وقد بحث علماء العربية في بلاغة القرآن الكريم وأدى ذلك إلى ظهور العديد من الكتب التي تبحث في معانيه ومشكله ومجازه ونظمه وإعجازه . فعلم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم .

وقد اهتم العلماء بهذا العلم . وتضافرت جهودهم جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن على بحث قضايا البلاغة والتوسع فيها . وكانت أبحاث العلماء في أطوارها الأولى تنحو منحى الكشف عن أصول البلاغة وعناصرها المختلفة دون العناية بالتنظيم والتبويب . ثم بدأ الاهتمام شيئاً فشيئاً إلى تجميع العناصر البلاغية التي تمتّ إلى أصل واحد ، والتأليف بينها . ومن أمثلة ذلك عبد الله بن المعتز الذي ألف بين فنون البديع في كتاب أسماء البديع ، جمع فيه الكثير من الفنون البلاغية .

---

[1] سورة الرحمن ، آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

إلا أن عبد القاهر الجرجاني كان له أثر كبير ، ومكانة عظيمة في تاريخ البلاغة العربية ، فهي لم تكن قبله إلا أفكاراً متناثرة ، ونتفاً متفرقة ، ومعلومات متداخلة بل ربما يتخللها شئ من الخطأ . ولكنه لم يكد يضع كتابيه " الدلائل " ، و" الأسرار " حتى أزاح عن البلاغة ما كان يكتنفها من لبس وغموض . وبذل في ذلك جهوداً جبارة حتى استطاع أن يضع لنا أسس علم المعاني وعلم البيان .

" ثم إن تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة : المعاني ، والبيان ، والبديع . لم يكن معروفاً في ذلك الحين بل كانت مسائلها يختلط بعضها ببعض ، وكانت كلمة البيان تطلق أحياناً على المسائل المعروفة عندنا بعلم المعاني وعلم البيان . وكانت الموضوعات التي نعدُّها الآن من علم البيان مندرجة غالباً بين أبواب البديع . ولم نعثر على استخدام كلمة المعاني للدلالة على أي طائفة من مسائل البلاغة يومئذ " (١) .

ولم تحدد مسائل كل علم هذا التحديد الذي انتهى إلينا ، إلا حين عُرف كتاب المفتاح الذي ألفه السكاكي ووجد حظوة لدى علماء البلاغة فعنوا بتلخيصه وشرحه .

كما أن هذه الاصطلاحات الفنية والتقسيمات الخاضعة للمنطق لم يكن قد تمَّ وضعها في ذلك العصر .

ولم يكن العلماء الذين جاءوا بعد السكاكي أقلُّ منَّا شعوراً بما في كتابه من تعقيد . لذلك فقد بادروا إليه يشرحونه ويوضحون ما استغلق منه. إلا أن هؤلاء العلماء كانوا متأثرين بأصل الكتاب وبمنهج صاحبه كما كان كل منهم متأثرا بثقافته الخاصة وطبيعتها . فكان منهم الفقيه ، ومنهم

---

(١) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ . (مصر – بدون) ، ص ٣ .

المتكلم ومنهم النحوي ٠ وقد ظهر أثر ذلك كله في شروحهم وتعليقاتهم ٠ ومن أبرز أولئك العلماء : بدر الدين بن مالك صاحب كتاب " المصباح في المعاني والبيان والبديع " فهو أول من تناول كتاب المفتاح للسكاكي ولخصه٠ ويكفيه أنه اختار وعرف كيف يختار ، وأنه أول من سنَّ سنَّة التلخيص ٠ حيث توالت من بعده الشروح والتلخيصات ، وكلها تدور حول كتاب المفتاح للسكاكي ٠

وقد قيَّض الله لي إتمام دراستي العليا ، فاخترت كتاب " المصباح لابن مالك " موضوعاً " لرسالتي ، وعليه يدور بحثي ٠ فكان عنوان الرسالة " المصباح لبدر الدين بن مالك تحليل ودراسة " ٠ والذي دفعني إلى ذلك عدة أسباب :

- أنني لم أرَ من وجّه اهتمامه إلى هذا الكتاب وهذا العالم ، ولم يعط حقه من الدراسة والبحث ٠
- إحياء ذكرى كتاب المصباح ومؤلفه بدر الدين بن مالك فقد كوّن مع غيره من علماء البلاغة مدرسة بلاغية توصف بأنها كلامية ٠
- إن كتاب المصباح كان حلقة بين السكاكي ومن لحقه من علماء البلاغة من أصحاب الشروح والتلخيصات ، فهو أول من تناول المفتاح بالتلخيص والدراسة وكان أحد تلامذة السكاكي ٠

ومما لا شك فيه أنه قد واجهتني في بحثي هذا مصاعب جمَّة ، ومتاعب كثيرة ٠ يتلخص معظمها في ندرة المراجع التي تناولت ابن مالك وكتاب المصباح بالدراسة ، وقلتها ٠ فلم أجد من أفرد ابن مالك بالدراسة والبحث ٠ فمن ذكر ابن مالك من الدارسين لم يتعدَّ الإشارة إليه والمرور

عليه مروراً عابراً لا يتجاوز الصفحة والصفحتين ٠ من مثل مؤلفات الدكتور أحمد مطلوب في البلاغة ، وكتاب تاريخ البلاغة العربية للدكتور / عبد العزيز عتيق ، وكتاب البلاغة تطور وتاريخ للدكتور / شوقي ضيف ٠

أما المنهج الذي اتبعته فهو يعتمد على النظر في كتاب المصباح لابن مالك ٠ والذي اعتمد في تأليفه على كتاب المفتاح للسكاكي ، فبحثت في المصباح عما أضافه ابن مالك إلى ما نقله عن صاحب المفتاح ، وهل كان له رأي تميّز به في كتابه ، وماذا أضاف من شواهد هي في الأصل لم ترد عند السكاكي ٠ ولأبين أن ابن مالك لم يقتصر على المفتاح دون غيره من كتب البلاغة السابقة ، كما أشار إلى ذلك بعض الدارسين ٠

وقد تناولت من مباحث علم البيان وعلم المعاني ما رأيت أن ابن مالك أضاف إليها شيئاً ٠ سواءاً كان رأياً أو تقسيماً أو شواهداً ٠

وقد سلكت في هذا الموضوع الخطة التالية : -

- تقديم ٠ بينت فيه أهمية الموضوع وسبب اختياري له ٠
- تمهيد ومدخل للدراسة ٠
- أما الدراسة فقد أفردت لها أربعة فصول ٠ على حسب ما رأيت من مباحث لابن مالك له فيها رأي أو إضافة ٠

وجاءت الخطة كما يلي : -

الفصل الأول : علم المعاني وتناولت فيه :

١ - الفصاحة والبلاغة ٠

٢ - تقديم المسند إليه ٠

٣ - الالتفات ٠

٤ - الإيجاز والإطناب ٠

٥ - أحوال الطلب ٠

الفصل الثاني : علم البيان ، وتناولت فيه :

١ – التشبيه ،

٢ – المجاز ،

٣ – الاستعارة ،

٤ – الكناية ،

الفصل الثالث : علم البديع

وعلم البديع له شأن آخر غير العلمين السابقين ، فقد كان علماً قائماً بذاته أضافه ابن مالك إلى العلمين السابقين " علم المعاني وعلم البيان " ،
وقد تناولت فيه جميع المحسنات البديعية التي بحثها في كتابه واحداً تلو الآخر بينت فيه مصادر ابن مالك وما تفرد به من أقسام وشواهد ،

الفصل الرابع : بين المصباح والإيضاح ،

وهذا الفصل بينت فيه أهمية كتاب الإيضاح وما لقيه من اهتمام من قبل الدارسين على الرغم من أن كتاب المصباح كان أحد المصادر التي اعتمد عليها ،

وأشرت في هذا الفصل أيضاً إلى بعض الكتب البلاغية التي رأيت أنها اعتمدت على المصباح ، وكان له أثر فيها ،

ثم الخاتمة التي ضمَّنتها أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة،
ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي أفدت منها في الدراسة ،
وأخيراً فهرس بموضوعات الرسالة ،

" وأخيراً أود أن أشير إلى أني لم أقف عند حدود العرض ، وإنما أردت أن يكون ذلك سبيلاً إلى الدراسة والتحليل ، مؤمنة بأن رسالة الباحث

أن يكون صاحب رأي دون أن تصده عن الخوض في معالجة الموضـــوع الذي يتناوله ، مخاوف الخطأ أو القصور عن بلوغ الكمال " .

وما كان في هذا البحث من صواب فهو من الله وحده فله الحمد وله الشكر والثناء أولا وآخرا ودائما وأبدا على ما وفق وأعان ويســـر وعلـــى جميع نعمه التي لا تحصى ولا تعد ، وما كان فيه من خطأ وخلل فهو منـــي ومن الشيطان من غير قصد ولا تعمد ، وما أردت إلا الخـــير والإصـــلاح وأسأله عفوه وغفرانه ورحمته . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والله الموفق

التمهيد

- التعريف ببدر الدين بن مالك :

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، الإمام بدر الدين أبو عبد الله ، ابن أبي عبد الله جمال الدين بن مالك ، الطائي الجيّاني ثم الدمشقي ، قال عنه السيوطي في بغية الوعاة " بدر الدين بن الإمام جمال الدين الطائي الدمشقي الشافعي النحوي بن النحوي ، قال الصفدي ، كان إماما فهما ذكيا حاد الخاطر إماما في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق ، جيد المشاركة في الفقه والأصول ، أخذ عن والده ، ووقع ما أغضب الشيخ على ولده فسكن بعلبك فقرأ بها عليه جماعة منهم بدر الدين بن زيد ، فلما مات والده ، طلب إلى دمشق ، وولي وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال والتصنيف وله من التصانيف شرح ألفية والده " [1] .

وقال عنه الشافعي في طبقاته :

" كان شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان وأحد العلماء الفضلاء ، قرأ على أبيه ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان ذكيا فهما ، عارفا بالمنطق والأصول والنظر ، أخذ عنه جماعة منهم الشيخ كمال الدين أبو المعالي ابن الزملكاني وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وغيرهما ، وكان عنده لطافة وكيس ولم يكن في وقته مثله ، وله تصانيف منها شرح ألفية أبيه وهو في

---

[1] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ،(مصر – بدون) ج١ ، ص ٢٢٥ .

غاية الحسن • وكتاب المصباح في المعاني والبيان " [١] .

وأشار جمال الدين الأسنوي في طبقاته إلى علمه وفضلـه وذكـر بعضاً من صفاته • فقال :
كان نحوياً ، عارفاً بعلم البيان والعروض ، والأصول ، والمنطق ، ذكياً • شرح الألفيه التي لوالده • ووضع شرحاً على غريـب التصريـف لابـن الحاجب ، وكتاباً في العروض • وغير ذلك [٢] .

له من التصانيف شرح ألفية والده ، شرح كافيته ، شرح لاميتـه ، تكملة شرح التسهيل (لم يتمه) المصباح في اختصـار المفتـاح ، روض الأذهان ، شرح الملحة ، شرح الحاجبية ، مقدمة في العروض ، مقدمة فـي المنطق ••• وغير ذلك [٣] .

وفـاته :

مات بالقولنج بدمشق ، يوم الأحد ثامن المحرم سنة ٦٨٦هـ •
وأرّخ الشافعي لوفاته بقوله : " توفي في ثامن المحـرم سـنة ٦٨٦ هـ بالقولنج • ولم يتكهل وفي كلام بعضهم توفي كهلاً " [٤] .

---

(١) طبقات النحاة واللغويين • تقي الدين الشافعي • ت / محسن عياض • (مصـر – ١٩٧٤م) • ص ١٨٥ • وينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك • ت / محمد كـامل بركـات • (بـيروت – ١٩٦٧م) • ص ١٢ •

(٢) انظر طبقات الشافعية ، جمال الدين الأسنوي • ت / عبد الله الجبـوري • (مصـر – بـدون) ، ج٢ ، ص ٤٥٥ •

(٣) انظر بغية الوعاة ، ج١ ، ص ٢٢٥ • وينظر : كشف الظنون ، اسـماعيل باشـا البغـدادي ، (بـيروت – ١٩٩٢م) •

(٤) طبقات النحاة واللغويين ، الشافعي ، ج٦ ، ص ١٨٥ • وأرّخ لوفاته الحافظ الدمشقي في ذيل تذكرة الحفـاظ للذهبي، (بيروت – بدون) ، ص ٨٠ •

البيئة العلمية في عصر ابن مالك:

نشأ ابن مالك في دمشق عاصمة بلاد الشام، ومقر نائب السلطنة بها، وقد كانت عامرة بالمدارس الكبرى، وهي قبلة العلماء يأمونها من كل مكان في المشرق والمغرب.

"حيث كثر تنقلهم خاصة بينها وبين القاهرة، ومن أشهر مدارسها دار الحديث الظاهرية... ودار الحديث الأشرفية التي بناها الأشرف موسى بن العادل الأيوبي بجوار قلعة دمشق"[١].

فقد كان العصر الذي عاش فيه ابن مالك عصراً حافلاً بالعلم والعلماء، وكان والده صاحب الألفية المشهورة في النحو من أبرز علماء ذلك العصر، ولاشك أن لهذا الوالد الذي تربي في كنفه بدر الدين بن مالك، أثره الفاعل في تشكيل الميل العلمي في نفسه، فقد نشأ نشأة علمية في كنف والده، كما أن شهرة والده في عصره، أسهمت في شهرة ابن مالك، فقد عرف بابن المصنف أو بابن الناظم، وقد أخذ العلم عن والده، واهتم بالنحو، وبلغ اهتمام العلماء باللغة والنحو مبلغاً عظيماً دفعهم إلى حفظ أمهات الكتب المصنفة فيهما، كما عمد العلماء إلى اختصار الكتب القديمة المصنفة في العلمين، ويعدُّ أشهر كتابين في تلك الحقبة الزمنية ألفية ابن مالك، وكتاب الكافية والشافية لابن الحاجب اللذان تناولهما بالشرح جماعة من المهتمين بالدرس، وكثرت الشروح الخاصة بالألفية[٢].

---

(١) الأدب في العصر المملوكي، محمد كامل الفقي ، (مصر – ١٩٧٦) ، ص ١٣٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٠٤.

ولما كان ابن مالك جمال الدين زعيم مدرسة الشام في النحو، فإن ابنه بدر الدين قد تأثر به تأثراً عظيماً، فقد قام بشرح ألفية والده شرحاً حسناً، عُرف بشرح ابن المصنف، وكان يقول : مازال والدي يخبط حتى نظم الخلاصة [1].

قال المقري: "ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده، وهو كتاب في غاية الإغلاق، ويقال أنه نظير الرضي في شرح الكافية وللنَّاس عليه حواشٍ كثيرة " [2].

"ولابن مالك عدة مؤلفات في النحو بشرح الكافية لابن الحاجب وشرح ملحمة الإعراب وشرح لامية الأفعال ، وتكملة شرح التسهيل وشرح الدرة المضيئة .

ولم يكن بدر الدين بن مالك عالماً نحوياً فحسب، وإنما كان من أبرز علماء البلاغة في عصره، والمعروف أن علوم البلاغة قد نضجت قبل هذا العصر نضوجاً محموداً ، فقد هذّب عبد القاهر الجرجاني مسائلها ووجه أنواعها ورتّب قواعدها في كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز بعد تلك المحاولات التي سبقه لها غيره من علماء العصر العباسي وأدبائه، ثم جاء السكاكي ، وهو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر المتوفى عام ٦٢٦هـ، فوضع علوم البلاغة في قالبها العلمي الأخير ، على ضوء ما وضع الجرجاني وذلك في كتابه الشهير المفتاح " [3].

---

[1] الأدب في العصر المملوكي ، محمد زغلول سلام ، (الاسكندرية - بدون) ، ص ٢٠٤ .

[2] نفح الطيب ، المقري ٠ ت / احسان عباس ٠ (بيروت - ١٩٦٨م) ، ج٢ ٠ ص ٢٣٣ .

[3] عصر سلاطين المماليك ، محمود رزق سليم ، (مصر / ١٩٥١م) ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

وجاء العصر المملوكي فاشتغل علماؤه بالشرح والتفصيل أو الاختصار والتلخيص ، ومن هؤلاء العلماء بدر الدين بن مالك الذي لخص الجزء الثالث من مفتاح العلوم وسماه المصباح في المعاني والبيان والبديع حاذفاً ما في المفتاح من حشو وتطويل وتعقيد ومضيفاً ما يحتاج إليه من تقسيم أو أمثلة وشواهد، فجاء كتاباً غاية في حسن التبويب والتقسيم، فكان بدر الدين بن مالك أوّل من لخص المفتاح، وتوالت من بعده التلخيصات والشروح، كالتلخيص للخطيب القزويني ، والإيضاح وشروح التلخيص.

والعصر الذي نحن بصدده صادفته بواعث هذه الظاهرة، فهو عصر إحياء وبعث وتجديد ، وعصر تعليم ونشر للثقافة، مع رغبة كامنة في العجلة ولهفة مختبئة في الوصول ، ولاشك أن هذا من شأنه أن يدفع إلى الاختصار ووضع المتن ، ومن ثم إلى الشرح والتحشية، فكان لابد أن يعقب طور التوسع والتخصص في التأليف طور يقرِّب لطلاب العلم وناشئته تناول العلم ويعاونهم في بلوغ اربتهم منه في وجازة وعجلة (١).

ثم إن الحركة العلمية في هذا العصر قد اتجهت إلى القاهرة والإسكندرية وأسيوط والفيوم ودمشق وحلب وحمص وحماه ، ثم أقبلت إلى مصر وتجمعت فيها هذه الأمواج الزاخرة من العراق والشام وفارس وأفريقية والحجاز والأندلس ، وانفردت بالزعامة العلمية والأدبية والسياسية بين الحواضر الإسلامية وكانت نتيجة لهذا التقاطر على مصر أن تضافرت جهود العلماء لخدمة اللغة العربية، وصار بمصر نهضة أدبية مباركة ، يحدو العلماء والأدباء في ذلك نشوتهم بالحياة السعيدة التي أتيحت لهم (٢)

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر : الأدب في العصر المملوكي ، د / محمد كامل الفقي ، ص ٤٠ ، ٤١ .

ويتحدث الدكتور مصطفى الجويني عن القرن السابع الذي عاش فيه ابن مالك فيقول : " لا أغلو إذا قلت إن هذا العصر هو من أحفل العصور العربية بالنشاط البلاغي، ومركز الثقل في هذا النشاط بيئتا مصر والشام ويعزينا عن كثير مما فقد من تراثنا الأدبي إن القرن أفاد منه ونقل عنه فحفظ لنا شيئا من أشياء هذا جانب، وجانب آخر أن دراسات البلاغة أصبحت تدور كلها حول ثلاثة علوم هي المعاني والبيان والبديع تؤلف في ذلك الكتب ملتمسة تطبيقاتها في نصوص الأدب كما أن الدرس البديعي من جانب ثالث ارتفع صوته في هذا العصر فنال من الدرس حظا وفيرا " [١].

وابن مالك باعتباره أحد المسهمين في علم البلاغة في عصره لم يكن مبتورا عمن سبقه وما قدموه لهذا العلم، بل اعتمد على من سبقوه وأفاد منهم ثم انطلق في درسه مستندا على التراث البلاغي الذي سبقه.

البلاغة قبل ابن مالك:

" أخذ البحث في البلاغة منذ نشأته في أوائل القرن الثاني الهجري ينمو ويتطور متقدما حتى وصل إلى ذروة ازدهاره على يد عبد القاهر والزمخشري في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس، ثم جاء رجال البلاغة في القرن السابع وبين أيديهم ثمار الجهود البلاغية التي بذلها هذان الإمامان ، ممثلة في وضع أساس علمي المعاني والبيان واستكمال بنائها"[٢].

---

[١] البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، د/ مصطفى الصاوي الجويني (مصر / ١٩٧٥ م) ، ص ٥٢ .
[٢] في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق . (بيروت / بدون) ، ص ٢٦٧ .

وقد وقف رجال البلاغة موقف الملتزم من بلاغـــة عبـــد القـــاهر وقصروا جهودهم على دراستها وتدريسها.

فالزمخشري في كتابه الكشاف استطاع أن يستوعب كل ما كتبـــه السابقون وبخاصة ما كتبه الإمام عبد القاهر في كتابيه " أسرار البلاغـــة " و" دلائل الإعجاز " ، ومضى يطبقه تطبيقاً دقيقاً على آي الذكر الحكيم ، ولم يدع رأياً من الآراء ولا مسألة من المسائل إلاَّ وساق لها الشواهد من الآيات الكريمة ، فنرى أن الدراســـات البلاغيـــة ازدهـــرت عنـــد عبـــد القـــاهر والزمخشري وتمثل ذلك في وضع نظريتي المعاني والبيان، فعبـــد القـــاهر التمس شعبها في نصوص كثيرة من التنـــزيل ومن الشعر والنـــثر، وهـــي نصوص حلّلها تحليلاً عقلياً بديعاً ، شفعه بذوق مرهف وحس دقيـــق ، أمـــا الزمخشري فطبق النظريتين تطبيقاً بارعاً على آي الذكر الحكيم ، واستطاع أن يستوعب كل ما كتبه السابقون [1].

وظهر بعد عبد القاهر من علماء البلاغة من أخذ بمـــا أتـــى بـــه ومضى في طريق النمو والتطور الذي وضعه عبد القاهر ٠ فجـــاء كتـــاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن حســين الرازي ، ت ٦٠٦هـــ الـــذي لخـــص كتـــابي عبـــد القـــاهر " الدلائـــل " و" الأسرار " ٠

ثم تلاه السكاكي صاحب المفتاح "الذي سلك طريقاً آخـــر ونـــهج منهجاً منطقياً في دراسته، الأمر الذي ذهبت بسببه الروعة الأدبية للصـــور البلاغية، وكان أن أصيبت البلاغة بالعقم والجمود، ولولا أنه كان يسوق بين

---

(١) انظر : البلاغة تطور وتاريخ ٠ شوقي ضيف ٠ (مصر / بدون) ، ص ٢٧١ ٠

الحين والحين عدداً من الأمثلة التي توارثها الخلف عن السلف لجاءت هـذه الدراسة مجدبة أيما إجداب ولصرفت الكثيرين عن قراءة كتابه " [1].

وبالرغم من هذا فقد كان كتاب السكاكي مادة خصبة سلَّط علماء البلاغة جهودهم عليه .. ولعل أبرز هذه الجهود تجلَّى في تلخيص كتاب المفتاح وشرحه ٠

تلخيص المفتاح :

لقد انشغل النَّاس بمفتاح العلوم وشروحه وتلخيصاته وحواشيه وتقريراته ٠

ولقد كان هناك العديد من رجال البلاغة ابتداءاً من أوائل القرن السابع الهجري... قد ظلَّوا عاكفين على دراسة القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي وشرحه وتلخيصه.

فممن عنوا بشرحه، قطب الدين الشيرازي " ٧١٠ " ، ومحمد بن مظفر الخلخالي " ٧٤٥ " ، والسيد الشريف الجرجاني " ٧١٦ " وابن كمال باشا " ٩٤٠ ".

وممن عنوا بتلخيصه ، بدر الدين بن مالك " ٦٨٦ " والخطيب القزويني " ٧٣٦ " وعبد الرحمن الشيرازي " ٧٥٦ " [2].

---

[1] الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ، حفني محمد شرف ، (مصر ٠ بدون) ، ص ٣٢٨ ٠

[2] انظر : في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، ص ٢٧٨ ٠

وقد كان المصباح لبدر الدين بن مالك أول كتاب لخَّص المفتاح وعني به ، ثمَّ توالت بعد ذلك الكتب التي عنيت بالمفتاح شرحاً وتلخيصاً ومن أبرزها "التلخيص" للخطيب القزويني الذي لقي من الشهرة ما غطى به على كل من لخصوا أو شرحوا الكتاب نفسه ، فلماذا لم يلقّ " المصباح " من الشهرة والذيوع ما لقيه " تلخيص" القزويني.

فقد تجاهل العلماء كتاب المصباح الذي نحن بصدد بحثه ومؤلفه بدر الدين بن مالك ، الشيخ العلامة ، الذي عاش في بيئة علمية ، وكان أبوه الشيخ جمال الدين بن مالك العالم النحوي صاحب الألفية المشهورة في علم النحو ، فلِمَ لم يلقَ من الاهتمام ما لقيه التلخيص الذي جاء بعده ، والذي كثر شرّاحه وملخِّصوه ؟!.

وقد ردَّ أحمد مطلوب هذا الإهمال لكتاب بدر الدين بن مالك بقوله: "يبدو أن الانصراف عنه يرجع إلى سيطرة كتابي القزويني وشروحهما ، وإلى ما فيه من جفاف التخليص وقلّة الأمثلة ، وقد حظيَ بداياته فيما بعد بعناية كبيرة واستمر ردحاً من الزمن قبلة طلاب البلاغة في بلاد المغرب العربي، وعني بشرحه بعضهم "[1] .

كما كان لكتابي الخطيب القزويني " صوله في ميدان البلاغة في المناطق الشرقية من العالم الإسلامي كالعراق وإيران والهند "[2].

---

[1] مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب ، (الكويت ۰ ۱۹۷۳م) ، ص ۲۸۲ .

[2] دراسات بلاغية ونقدية ، أحمد مطلوب ، (العراق ۰ ۱۳۹۹هـ) ، ص ۲٥ .

ومهما يكن من أمر فإن كتاب القزويني أرجح وزنـــا مـــن كتـــاب المصباح لما أفاده الخطيب من دراسات عبد القاهر الزمخشري وأثؤهما في الإيضاح أكثر من أثرهما في المصباح ٠

مدرستان للبلاغة :

يرى البعض " أن معالجة النص بلاغياً إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني تقريباً أدبية فنّية ، ثم تحولتا إلى معالجة علمية ، واشتهر هذا على يد السكاكي ومن سار في فلكه ممن حوّلوا البلاغة إلى علوم ثلاثة " [1].

ونجد أن البحث البلاغي اتجه اتجاهين مختلفين وهما : الاتجاه الأدبي ، والاتجاه الكلامي ٠

وكان لكلّ اتجاه ميزات خاصة في تناوله للبلاغة ٠

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى اهتمام المشارقة وهم أصل المدرسة الكلامية " بعلمي المعاني والبيان " واهتمام المغاربة بعلم البديع وعلل ذلك بقوله :

" وبالجملة فالمشارقة هم على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كمالي في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ٠ والمشرق أوفر عمراناً من المغرب ٠ أو نقول لعناية العجم وهم معظم أهل المشرق بتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن " [2] ٠

فنجد أنه قد شاع الاتجاه الكلامي في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترك والتتر ومن يليهم من الأقوام غير العربية ، وكانت خوازم بيئة السكاكي أكبر المناطق التي ظهر فيها

---

[1] مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء ، حامد الربيعي ٠ (مكة المكرمة – ١٩٩٦م) ، ص ٦٠ ٠

[2] مقدمة ابن خلدون ، أبو عبد الله السعيد المندوه ٠ (بيروت – ١٩٩٤م) ، ص ٥٥٢ ٠

أقطاب هذا الاتجاه ٠ كجار الله الزمخشري صاحب " الكشـــاف " ، وفخــر الدين الرازي مؤلف " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " ، وأبي الفتح ناصر بن أبي المكارم المطرزي مؤلف كتاب " الإيضاح " فـــي شـــرح مقامـــات الحريري ، والسكاكي صاحب " مفتاح العلوم " ، وسعد الديـــن التفتـــازاني شارح " تلخيص المفتاح " للخطيب القزويني ٠

واستطاعت هذه المدرسة السيطرة على الدراسات البلاغيـــة بعـــد الشيخ عبد القاهر الجرجـــاني وبلغـــت ذروتـــها فـــي عصـــور الشـــروح والتلخيصات [١] ٠

ومن أهم خصائص المدرسة الكلاميـــة : أنـــها تتمـــيز بـــالتحديد المنطقي، والتعريف وجعله جامعاً مانعـــاً ٠ واســـتعمال أســـاليب الفلســـفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها ، والإقلال من الشواهد إلى حـــدًّ بعيد ٠

أما فيما يتعلق بالمدرسة الأدبية فـــهناك عـــدَّة عوامـــل أدت إلـــى ظهورها ٠ حيث أن نشأة البلاغة وتطورها إلى جانب الفلســـفة والمنطـــق وعلم الكلام كان عن طريق القرآن الكريم الذي طبع بحوث البلاغة بطـــابع أدبي يتجلى هذا في كثرة الشواهد التي اقتبسها البلاغيون من القرآن الكريم٠ وكان للكتّاب أثر واضح في البلاغة أيضـــاً ، فقـــد صبغـــوا كثـــيراً مـــن موضوعاتها بصبغة أدبية لما امتازوا به من أدب جمّ وذوق سليم ٠ ولعـــب الشعراء دوراً هاماً في البلاغة ٠

---

(١) انظر : البلاغة عند السكاكي ، أحمد مطلوب ، ص ١٠٧ ٠

وقد طبعت هذه المؤثرات – القرآن – والكتّاب – والشعراء ، البلاغة بطابع أدبي ٠ وكان نتيجة ذلك أن اتجهت البلاغة اتجاهاً آخر وسلكت طريقاً بعيداً عن المدرسة الكلامية ٠ وهذا الاتجاه الذي سارت البلاغة فيه هو الذي أرسى قواعد المدرسة الأدبية ووطد أركانها ٠

ومن أهم كتب البلاغة التي تمثل الاتجاه الأدبي كتاب " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لابن الأثير ٠ وكتابي " تحرير التحرير" و " بديع القرآن " لابن أبي الإصبع المصري ٠ وكتاب " الطراز " ليحى بن حمزة العلوي ٠

ونجد أن أهم ما يميز المدرسة الأدبية ، هو الإكثار من الشواهد القرآنية والأدبية نثراً وشعراً ٠ والكشف عما فيها من مواطن البلاغة والجمال دون الاهتمام بالتعاريف والأقسام والأقيسة المنطقية والاعتماد على الحس الأدبي والذوق البياني لا بقضايا المنطق في المفاضلة بين الشواهد ٠

ونجد أن هناك فرقاً بين المدرستين أو الاتجاهين البلاغيين ، عرفه العرب قديماً فقالوا " البلاغة بلاغتان : بلاغة العرب ، وبلاغة العجم " الأولى أدبية والثانية منطقية ٠

إلا أنه لا يمكن الفصل بين هذين الإتجاهين ٠ فقد يجمع البلاغي الواحد بينهما " فكل واحدة من هاتين المدرستين امتازت بخصائص معينة ، وكان لها رجالها وكتبها الخاصة ٠ ولكن هل يمكن أن نضع حداً فاصلاً بين الذين اتبعوا الطريقة الأدبية والذين نهجوا سبيل المدرسة الكلامية ؟ ٠

ليس من الممكن هذا بالطبع ، فكثيرا ما يمزج البلاغي الواحد بين الطريقتين ويستفيد من المدرستين [1] .

ومن أمثلة ذلك : عبد القاهر الجرجاني الذي يتجه إلى المدرسة الأدبية في كتابة " أسرار البلاغة " وإلى " المدرسة الكلامية " في كتابة " دلائل الإعجاز ".

إلا أن الدكتور محمد حفني شرف أشار إلى أن ابن أبي الإصبع هو الذي مثل اتجاها ثالثا في البلاغة عرف بالاتجاه المصري . وأن أول من وضع البذرة الأولى له هو ابن الأثير . وأن من تولاه ونماه واستثمره خير استثمار فظهر واضحا على يديه هو ابن أبي الإصبع . ثم يقول مبينا أهم ما يميز هذا الاتجاه " أنه يأخذ من الاتجاه العقلي تحديد الأنواع وتعريفاتها . من غير مغالاة في التقنين ولا فرض الأسئلة العقلية . واستنتاج النتائج المنطقية . وبذلك لم تهمل التعريفات إهمالا تاما .

كما يأخذ من الاتجاه الوجداني العاطفي الإكثار من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، وتحليلها تحليلا تطبيقيا يربي الذوق ، وينمي العاطفة ، ويرهف الحس . ويوقف على أماكن الجمال . وبذلك لم يهمل هذا الاتجاه العقل ، وقوى جانب العاطفة والذوق [2] .

ولكن ماذا عن الكتاب الذي نحن بصدد بحثه ودراسته وهو " كتاب المصباح " ، إلى أي مدرسة ينتمي وإلى أي اتجاه ؟ .. ويمكننا معرفة ذلك من خلال هذه الدراسة والإطلاع على منهجه الذي سار عليه .

---

(1) دراسات بلاغية ونقدية ، أحمد مطلوب ، ص ١٩١ .

(2) ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة ، حفنى محمد شرف . (مصر – بدون) ، ص ٣٧٣ .

منهج ابن مالك :

سار ابن مالك في كتابه " المصباح " إلى حد ما على منهج السكاكي الذي رسمه في كتابه " المفتاح " ٠ " ولعل أخطر ما في المنهج الذي ترسمه السكاكي لدرس البلاغة أنه لم يقف عند حدود كتاب " مفتاح العلوم " وحده ولم ينته بانتهائه ٠ فقد امتد تأثيره فيمن جاء بعده من دارسين للبلاغة " [١] ٠

وعند قراءتنا لكتاب " المصباح " لابن مالك " نلاحظ أنه يمتاز بحسن التبويب والتقسيم ، وحسن التسمية للأبواب والفصول والمباحث ٠

فالقسم الأول من الكتاب يبحث في علم المعاني ٠ وقد قسمه إلى فصول ٠

بحث الفصل الأول : في أحوال الإسناد الخبري ٠

وبحث الفصل الثاني : في أحوال المسند إليه ٠

والفصل الثالث : في أحوال المسند ٠

والفصل الرابع : في أحوال انتظام الجمل ٠

وقد قسم هذا الفصل إلى بابين :

الباب الأول : في الفصل والوصل ٠

الباب الثاني : في الإيجاز والإطناب ٠

أما الفصل الخامس والأخير من علم المعاني فجعله في أحوال الطلب ٠

---

[١] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، محمد زكي العشماوى ٠ (بيروت – بدون) ، ص ٣٢٦ ٠

وعندما ننتقل إلى القسم الثاني من الكتاب نجد أنه يختـــص بعلـم البيان • وقد تطرق هذا القسم لمباحث علم البيان • فتناول أول ما تناول من تلك المباحث: التشبيه ، وذكر أطرافه والغرض منه • ثم انتقل إلى القــول في الحقيقة والمجاز وقسَّم المجاز إلى خمسة أضرب : من ضمنها الاستعارة والتي قسمها إلى سبعة أقسام •

ثم يختم هذا القسم المتعلق بعلم البيان بالقول في الكناية •

وعندما ننتقل إلى القسم الثالث من الكتاب نجد أن ابن مـــالك قـد خصّه بعلم البديع ، وقد توسع في ذلك فذكر ثمانية وخمسين لوناً من ألــوان البديع على خلاف السكاكي الذي اقتصر على ستة وعشرين لوناً فقط •

ونجد أن أهم ما يميز منهج ابن مالك هو : -

١ - تقسيمه للبلاغة إلى ثلاثة علوم " المعاني ، البيان " البديع " • وقد هيـأ بذلك البلاغة أن تصبح متضمنة لهذه العلوم الثلاثة •

٢ - خلو المصباح من تعقيدات السكاكي المنطقية والكلامية والفلسفية التـي مهد بها لأقسام المفتاح وفصوله •

٣ - خالف السكاكي في جعل مبحث الفصاحة والبلاغة في فاتحة الكتــاب بدلاً من خاتمته كما هو الشأن عند السكاكي •

٤ - بحث السكاكي المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ضمن البديع المعنوي• أما ابن مالك فقد جعلها فيما يرجع إلى الفصاحة اللفظية •

٥ - قدَّم السكاكي بحث القصر على أحوال الطلب • أما ابن مـــالك فقـدّم أحوال الطلب على القصر •

٦ – " كان السكاكي في المفتاح كثيراً ما ينزع إلى الغموض والإلتواء ، ويكثر من الجمل المعترضة التي تضطر القارئ إلى الوقوف حيالها وأعمال الفكر في حلّها وبذل المجهود الشاق في ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض " [١] .

وقد أحسن ابن مالك في بيان صعوبة أسلوب السكاكي لأن المسألة مسألة لغة وأسلوب وليست فلسفة ولا منطق كما يقول كثير من الدارسين .

---

(١)الصبغ البديعي . أحمد موسى . (القاهرة – ١٣٨٨هـ) ، ص ٢٤٨ .

الفصل الأول

علم المعاني

الفصل الأول

علم المعاني

الفصاحة والبلاغة :

يرى أكثر البلاغيين أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما ؛ لأن المراد بكل منهما : الإبانة عن المعنى الإظهار له وحسن التعبير.

ويرى البعض أن الفصاحة تمام آلة البيان، فهي تختلف عن البلاغة؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، أما البلاغة فتتعلق بالمعنى دون اللفظ ، إذ أن المراد منها إنهاء المعنى إلى القلب ، وقد اختار المتأخرون هذا الرأي فقالوا : الفصاحة تقع وصفا للكلمة وللكلام ، أما البلاغة فتقع وصفا للكلام وللمتكلم [1].

وكثيرون من العلماء لم يفرقوا بين معنى البلاغة والفصاحة ، وفي رأيهم أنهما تدلان على مقصود واحد ، فالإبلاغ عما في النفس هو الإفصاح، وأفصح عما في نفسه : أعرب عنها وأبان ، وهكذا ترجع الكلمتان إلى معنى واحد من قبيل اتفاق المعاني على اختلاف الأصول والمباني [2].

---

(١) انظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، بسيوني عبد الفتاح (مصر – ١٩٩٨م) ؛ ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد " علم المعاني " ، بكري شيخ أمين ، (بيروت – ١٩٩٠م) ، ج١ ، ص ٢٨

ويقول أبو هلال العسكري مشيراً إلى الصلة بين البلاغة والفصاحة " فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما ، إنما هو الإبانة عن المعنى والظهور له "(١) .

البلاغة بين السكاكي وابن مالك :

والناظر بإمعان بين نظرة السكاكي للبلاغة ونظرة ابن مالك لها وتعريفه إيَّاها يجد اختلافاً بينها.

فقد خالف ابن مالك السكاكي في تعريف البلاغة ، فالبلاغة عند السكاكي تشمل علمي المعاني والبيان ، فهو لم يجعل البديع ضمن علوم البلاغة ، وهذا يتضح لنا من تعريفه للبلاغة حيث يقول : " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها "(٢).

وبهذا يكون السكاكي قد حصر البلاغة في علمي المعاني والبيان كما هو واضح من التعريف ، ثم نجده بعد انتهائه من بحث هذين العلمين يقول : " وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها ، مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها ، لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ "(٣).

---

(١) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر – بدون) ، ص ١٣ .

(٢) مفتاح العلوم ، السكاكي ، ت / نعيم زرزور ، (بيروت – ١٩٨٧م) ، ص ٤١٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .

فالسكاكي لم يطلق مصطلح البديع على المبحث الأخير الذي ألحقه بعلمي المعاني والبيان ، وإنما أوّل من أطلق عليه مصطلح البديع هو " بدر الدين بن مالك " في " المصباح ".

فابن مالك كان له الفضل في جعل البديع علماً مستقلاً بذاته وهيأ بذلك للبلاغة أن تصبح ثلاثة علوم ، هي المعاني والبيان والبديع ، وهذا التقسيم الثلاثي للبلاغة بإضافة مسمى علم البديع هو الذى جعل ابن مالك يقول في تعريفه للبلاغة : " هي البلوغ في صوغ الكلام لتأدية المعنى إلى حد لها توفيه بتمام المراد منه ، وسلوك جادة الصواب فيه"[١]. فلم يشر إلى علمي المعاني والبيان .

وقد ذكر ابن مالك أن للبلاغة وجوهاً وخلص من تلك الوجوه إلى أقسام الكتاب الثلاثة وهي: المعاني – البيان – البديع ، إذ يرى أن للبلاغة وجوه مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ ، إما لخلل في كيفية التركيب لتأدية المعنى المراد ، وإما لخلل في دلالة المركب ، وهو ما كان ركناً للإسناد أو قيداً فيه ، والخلل في دلالته إمَّا لمخالفته قيداً فيها من نحو التعريف أو التنكير لمقتضى الحال ، وقصد من ذلك " علم المعاني " ، ثمَّ يأتي على ذكر علم البيان حين أضاف إلى الخلل في الدلالة الراجع إلى مخالفه قيد نحو التعريف أو التنكير لمقتضى الحال فأضاف الخلل الراجع إلى مخالفة وضوحهما، أو خفائهما له أي الدلالة " وهذا هو علم البيان ".

---

[١] المصباح ، بدر الدين بن مالك . ت / حسني عبد الجليل يوسف . (مصر – ١٤٠٩هـ) ص٣ .

وتتبع تلك الوجوه رعاية طرق الفصاحة، وهـــي طــرق الافـــهام والتبيين، وطرق تزيين الكلام بإيداع ما يورثه القبول من وجوه التحســـين، وقصد بذلك علم البديع.

يقول : " فلذلك جعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام الأول : يعرف منـــه الاحتراز في الإفادة لتمام المراد من المعنى عن الخطأ في كيفية الــتركيب ، وفي دلالة المركب على قيد من قيودها، وهو علم المعاني٠

الثاني ، يعرف منه الاحتراز عن الخطأ في التركيب مما دلالته غير وافيـــة بتمام المراد من وضوح الدلالة أو خفائها وهو علم البيان.

والثالث: تعرف منه توابع البلاغة من طرق الفصاحة وهو علم البديع " ٠

فبذلك يخالف ابن مالك طريقة السكاكي في تقسيمه لكتابة لأنَّه قسـم البلاغة إلى علوم ثلاثة في مقدِّمة كتابه ، ولا شك أن هذا يسهِّل على القارئ والدارس فهم هذه المباحث ، وما يشتمل عليه الكتاب من علوم ؛ وذلك مـــن حسن التبويب والترتيب لموضوعات الكتـــاب ، كمـــا إن ذكـــر الفصاحـــة والبلاغة قبل الحديث عن مسائل المعاني والبيان والبديع أمـــر مـــهم ؛ لأن معرفة هذه المسائل تتوقف على معرفة معنى البلاغة والفصاحة.

تقديم المسند إليه :

لقد كان لابن مالك في هذا المبحث من كتابه والمتعلـــق " بـــأحوال المسند إليه " رأي خاص تميز به ، وأشار إليه العلماء من بعده ومنهم مـــن اعترض عليه ، وهذا الرأي متعلق بتقديم المسند إليه ٠ فقد ذكر بدر الديـــن بن مالك " أن المسند إليه يقدَّم على المسند إذا دلّ على العموم ، كما تقــول

كل إنسان لم يقم فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس ، لأن الموجبة المعدولة المهملة في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحد منها ، فإذا سورت بكل وجب أن يكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الأفراد . لأن التأسيس خير من التأكيد ، ولو لم تقدم فقلت: لم يقم كل إنسان ، كان نفيا للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها ، لأن السالبة المهملة في قوة السالبة الكلية المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي فإذا سورت بكل أوجب أن يكون لإفادة نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لئلا يلزم ترجيح التأكيد عن التأسيس " [1] .

والمسند إليه المراد هنا هو كلمة " كل " وليس " أي مسند إليه ، ونجد أن ابن مالك يسير على اصطلاحات أهل المنطق في تعليله إفادة كل للعموم . فيذكر السالبة والمهملة والمسورة والمعدولة .

وقد نقل الخطيب القزويني كلام ابن مالك ، واعترض عليه . ولم يشر إلى أنه كلام ابن مالك بل نقله عنه وأشار إليه بصيغة التجاهل لقائل هذا الكلام وهذا التعليل .

يقول الخطيب القزويني " قيل وقد يقدم لأنه دال على العموم ، ثم ذكر ما قاله ابن مالك في ذلك " [2] .

---

[1] المصباح ، ص ٢٧ .

[2] الإيضاح، الخطيب القزويني . ت / محمد عبد المنعم خفاجي . (بيروت – ١٩٩٣ م) ، ص ٧٣ .

وإعتراض القزويني على ابن مالك لم يقصد منه ابطال قوله وهو تقديم المسند إليه لإفادة العموم ٠ إنما أراد أن يبين أن تعليل ابن مالك واستدلاله لم يكن صحيحاً ومناسباً لتأصيل القاعدة التي ساق ابن مالك هذا الكلام من أجلها ٠ فكلام ابن مالك يقوم على ما أسماه أفضلية التأسيس على التأكيد ٠ والتأكيد هو لفظ يفيد معنى حاصلاً بلفظ آخر ٠

أما التأسيس فهو لفظ يفيد معنى جديداً لم يدل عليه لفظ آخر ٠ وقد يطلقون على التأسيس : الإفادة ، وعلى التأكيد : الاعادة ٠ ويقولون : أن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة ٠ (١)

ونجد أن ابن مالك بنى كلامه على أفضلية التأسيس على التأكيد ٠ ففي الصورة الأولى التى ذكرها ابن مالك وهي " انسان لم يقم " تفيد النفي عن بعض الأفراد دون البعض الآخر ٠ أما في " كل انسان لم يقم " فهي عند ابن مالك تفيد عموم السلب ، ونفي الحكم عن جميع الأفراد ٠ وإفادة عموم السلب نتج عن طريق تقديم المسند إليه " كل " في " كل إنسان لم يقم " ويستدل ابن مالك بأن المسند إليه " كل " لو لم يقدم في قولنا " لم يقم كل إنسان " لأصبحت تفيد نفي الحكم عن بعض الأفراد دون بعض ٠ وهي بذلك تكون للتأكيد ٠ وبذلك لم تفد معنىً جديداً ٠ فيلزم ترجيح التأكيد على التأسيس ٠ إذ معنى " انسان لم يقم " كمعنى " لم يقم كل إنسان " والتأسيس خير من التأكيد ٠ كما يقول ابن مالك ٠ لذلك وجب عنده أن يقدّم " كل " فيقال " كل إنسان لم يقم " ليكون معنى " كل " التأسيس ٠ فنقول أن في

---

(٢) انظر : مسائل الخلاف في الأساليب الخبرية من علم المعاني في إيضاح الخطيب القزويني ، ناصر مسفر الزهراني ٠ ص ١٤٣ ٠ (مكة المكرمة – ١٤١٣هـ) ٠

" إنسان لم يقم " إفادة نفي القيام عن بعض أفراد الإنسان ، أما في " كل إنسان لم يقم " فتفيد نفي القيام عن جميع أفراد الإنسان .

أما إذا لم تقدم كل فقلت " لم يقم كل إنسان " فيقابلها " لم يقم إنسان" وهي سالبة مهملة ، تفيد نفي الحكم عن جميع الأفراد ، أما في " لم يقم كل إنسان" فالمسند إليه وهو كل لم يقدّم ، فأصبحت تفيد نفي القيام عن بعض الأفراد .

ونجد أن ابن مالك يرجع دلالة " كل " على العموم على أفضلية التأسيس على التأكيد ، وأن كل صورة من الصور التي ذكرها فيها " كل " يخالف معناها معنى الصورة التي لم يذكر فيها " كل " وذلك للدلالة على أفضلية التأسيس على التأكيد .

" وجدير بالذكر أن صاحب المصباح حين ذهب إلى مغايرة معنى " كل إنسان لم يقم " لمعنى " إنسان لم يقم " ، وحين ذهب إلى مغايرة معنى " لم يقم كل إنسان " لمعنى " لم يقم إنسان " إنما لجأ إلى ذلك للحفاظ على معنى كل وهو التأسيس دون التأكيد ، فمغايرة معنى الجملة التي فيها " كل " لمعنى الجملة التي خلت من " كل " يجعل " كل " للتأسيس لا للتأكيد .

ولو لم يتغاير المعنى بين كل من :

إنسان لم يقم ، وكل إنسان لم يقم .

ولم يقم إنسان ، ولم يقم كل إنسان .

لكانت " كل " للتأكيد أو لرجح التأكيد على التأسيس ، لذلك وجبت المغـايرة المتقدم ذكرها " [١] .

ومذهب ابن مالك هذا قد لخصه الدسوقي فـي حاشـيته إذ يقـول " وحاصله أن تقديم المسند إليه المنكر بدون " كل " نحو إنسان لم يقم لسـلب العموم ونفي الشمول وتأخيره نحو لم يقم إنسان لعموم السلب وشمول النفي ، فبعد دخول " كل " يجب أن يعكس هذا لتكون كل للتأسيس الراجح لا للتأكيد المرجوح ، فإن قلت إفادة التقديم لعموم النفي وإفادة التأخير لسلب العمـوم أمر لغوي والأمور اللغوية إنما تثبت بالسماع لا بالاستدلال "[٢] .

وفي الوقت الذي نـرى فيـه صـاحب المصبـاح يسـير علـى اصطلاحات أهل المنطق ويذكر السالبة والمهملة والمسورة والمعدولة فـي تعليله ، نجد أن القزويني في إيضاحه يبتعد عن ذلك وينفر منه ويدعوا إلـى السير على منهج أهل العربية في الشرح والتعليل .

فقد نقل القزويني تعليل ابن مالك كما سبق وذكرنا واعترض عليـه وعلى استدلاله ، حيث يقول :

" وفيه نظر : لأن النفي عن جملة الأفراد في الصـورة الأولـى ، اعنـي الموجبة المعدولة المهملة كقولنا إنسان لم يقم ، وعن كل فرد في الصـورة الثانية – اعني السالبة المهملة كقولنا لم يقم إنسان ، إنما أفاده الإسناد إلـى

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

[٢] شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي ، (بيروت – بدون) ، ج١ ، ص ٤٣٠ .

إنسان ٠ فإذا أضيف كل إلى إنسان وحول الإسناد إليه ، فأفاد في الصورة الأولى نفي الحكم عن جملة الأفراد ، وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان كل تأسيساً لا تأكيداً لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر وما نحن فيه ليس كذلك " [١] ٠

والخطيب القزويني في اعتراضه هذا يريد أن يبين أن ابن مالك قد أخطأ في الاستدلال وأن كلامه غير صحيح ٠ حيث أن " كل " في الصورتين اللتين اشتملتا عليها دلالتها تأسيسية لا تأكيدية ٠ فإذا كان معنى الصورة التي اشتملت على كل هو معنى الصورة الخالية منها ٠ وابن مالك يجعل السبب في تقديم المسند إليه إفادة العموم أي " عموم السلب " وذلك حتى لا تكون كل تأكيديه بل تأسيسية ٠ واستدلاله هذا غير صحيح ٠

وللخطيب القزويني اعتراض آخر على ابن مالك حيث يقول : " ولئن سلمنا أنه يسمى تأكيداً " فقولنا لم يقم إنسان " إذا كان مفيداً للنفي عن كل فرد ٠ كان مفيداً للنفي عن جملة الأفراد لا محالة ٠ فيكون " كل " في " لم يقم كل إنسان " إذا جعل مفيداً للنفي عن جملة الأفراد تأكيداً لا تأسيساً كما قال في " كل إنسان لم يقم " فلا يلزم من جعله للنفي عن كل فرد ترجيح التأكيد على التأسيس " [٢]٠

وكلام القزويني هذا ينفي كلام صاحب المصباح الذي جعل " لم يقم إنسان " للنفي عن كل فرد وجعل " لم يقم كل إنسان " للنفي عن بعض الأفراد لتكون " كل " مفيدة لمعنى جديد فتكون تأسيسية لا تأكيدية ٠

---

[١] الإيضاح ، القزويني ، ص ٧٥ ٠

[٢] المصدر السابق ، ص ٧٦ ٠

وقد عارض القزويني ابن مالك مؤكداً أن " كل " في هذا الموضع الذي ذكره ابن مالك هي في الواقع تأكيدية وليست تأسيسية .

ويتضح من اعتراض القزويني أن استدلال ابن مالك وتعليله لتقديم المسند إليه " كل " لإفادة العموم غير مسلم به .

وقد علَّق شراح التلخيص على اعتراضه هذا .

يقول ابن يعقوب " وفيه نظر " أي وفيما ذهب إليه هذا القائل من توجيه إفادة تقديم كل وتأخيره لأحد المعنيين نظر وبه يعلم أن المصنف لم يعترض الحكم وإنما اعترض التعليل " [1] .

ويقول بهاء الدين السبكي بعد ذكره لما نقله المصنف عن ابن مالك: " هذا مضمون ما نقله المصنف وهو من كلام بدر الدين بن مالك ولم يمنع المصنف شيئاً من هذا الحكم بل نازع في صحة التعليل فقال وفيه نظر "[2] .

ويقول في موضع آخر " وقد تقرر بما ذكرناه أن الاعتراضين الأولين على ابن مالك صحيحان " [3] .

---

(1) مواهب الفتاح ، ابن يعقوب المغربي . (بيروت – بدون) ، ج1 ، ص ٤٣٥ .

(2) عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي . (بيروت – بدون) ، ج1 ، ص ٤٢٨ .

(3) المصدر السابق ، ج1 ، ص ٤٣٠ .

ويقول ابن يعقوب في موضع آخر مشيراً إلى ما نقله الخطيب عن الجرجاني " ثم أشار إلى كلام عبد القاهر في تقرير مفاد كل مع النفي وهو يشمل ما تقدم ويتضمن صحته حكماً ولو بحث تعليلاً " [١].

وأشار إلى ذلك البهاء السبكى فقال " هذا الكلام المنقول عن عبد القاهر موافق في الحكم لما قاله ابن مالك إلا أنه مخالف له في الاستدلال وأنما أخره المصنف ليتبين أنه إنما أراد فيما تقدم الدليل ولم يرد المدلول"[٢].

وعند النظر إلى أقوال الشراح السابقة ، نجد أنهم يؤكدون على أن القزويني لم يعترض على ابن مالك في أصل الحكم وهو تقديم المسند إليه " كل " لإفادة عموم السلب ٠ وإنما إعتراضه كان على استدلال ابن مالك وتعليله ٠

---

[١] مواهب الفتاح ، ج١ ، ص ٤٣٨ ٠

[٢] عروس الأفراح ، ج١ ، ص ٤٣٨ ٠

الالتفات :

صنف ابن مالك الالتفات ضمن مباحث علم المعاني، أما السكاكي فقد كان مترددا في ذلك، حيث بحث الالتفات ضمن مباحث علم المعاني ، ثم ذكره أيضا في علم البديع عادا إياه منه ، ولكنه لم يتكلم عنه ، وإنما اكتفى بأن قال : " وقد سبق ذكره في علم المعاني "[١].

وهذا مما ينبئ بعدم الدقة في التبويب والتصنيف في كتاب السكاكي، فذكر الالتفات في المعاني مرة وفي البديع مرة أخرى فيه اضطراب وعدم دقة في التبويب "[٢]. هذا ما قاله أحمد مطلوب ونرى صاحب مواهب الفتاح يقبل هذا ولا يرى فيه اضطراب ٠ حيث يرى : " أن عد الالتفات من البديع أقرب ؛ لأن حاصل ما فيه على ما يأتي أنه يفيد الكلام طرافه وحسن تطرية ، فيصغى إليه لظرافته وابتداعه ، ولا يكون من علم المعاني فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع "[٣].

وقد علل ورود الالتفات ضمن مباحث علم المعاني وعلم البديع بقوله أما كونه من الأحوال التي تذكر في علم المعاني فصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام سؤالا أو مدحا أو إقامة حجة أو غير ذلك، فهو من هذا الوجه من علم المعاني، ومن جهة كونه شيئا ظريفا مبتدعا يكون من علم البديع "[٤].

---

[١] المفتاح، ص ٤٢٩ ٠

[٢] البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب، ص ١٣٧.

[٣] مواهب الفتاح، ص ٤٦٤.

[٤] المصدر السابق، ص ٤٦٤.

هذا وقد علل السكاكي من قبل قرب الالتفات من علم البديع [١]، وتبعه ابن مالك في تعليله، إذ يقول: "والعرب يستكثرون منه لأنهم يرون الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه وإملاء باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك، فإن قرى الأضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم، وما كانوا ليحسنوا قرى الأشباح فيخالفوا فيه بين لون ولون، وطعم وطعم... ولا يحسنوا قرى الأرواح، فلا يخالفوا فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد " [٢].

وإن نحن نظرنا إلى معنى الالتفات عند البلاغيين، فهو عند الجمهور "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها " [٣].

وعند النظر إلى معنى الالتفات عند السكاكي وعند الجمهور، نجد أن السكاكي له رأي آخر أو مذهب آخر يختلف عن مذهب الجمهور، فقد فسَّر السكاكي الالتفات بأنه نقل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر، يعني أنه التعبير بإحدى هذه الطرق عمّا عبَّر به أو كان مقتضى الظاهر أنه يعبّر عنه بغيره، والمشهور عند الجمهور أن الالتفات التعبير عن معنى بإحدى الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق أخرى وهو أخص من الأوّل [٤].

---

[١] المفتاح، ص ١٩٩.

[٢] المصباح، ص ٣٠.

[٣] الإيضاح، ص ٨٦.

[٤] انظر: عروس الأفراح، السبكي، ص ٤٦٩.

فالالتفات عند السكاكي يتحقق بتفسير واحد، فهو لا يشترط تقدم التعبير والجمهور يشترطونه، فكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي من غير عكس.

ونجد أن ابن مالك في المصباح يتبع السكاكي في مذهبه، وهذا يتضح من معنى الالتفات عنده فالسكاكي عرف الالتفات بقوله: "وأعلم أن هذا النوع، اعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر " (١).

وابن مالك عرفه بقوله: "وقد ينقل كل من الحكاية والخطاب والغيبة إلى موضع الآخر، ويسمى ذلك التفاتا " (٢).

وتتجلى متابعة ابن مالك في هذا التعريف للسكاكي في نظرته للالتفات.

أما من حيث دقة التبويب في تناول هذا المبحث، فالسكاكي مثلا لم يبين أقسام الالتفات، ويطبقها على الشواهد، وإنما اكتفى بقوله: "بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر.. ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني" (٣).

---

(١) المفتاح، ص ٢٠١.

(٢) المصباح، ص ٣٠.

(٣) المفتاح، ص ١٩٩.

فتصير الأقسام الستة حاصلة من ضرب الثلاثة في الاثنين، فالسكاكي لم يوضح أقسام الالتفات الستة المعروفة عند الجمهور، ويستشهد عليها، كل قسم على حدة، إنما ذكر الشواهد مجتمعة، وترك للقارئ اكتشاف ذلك ومعرفته ٠

أما ابن مالك في المصباح فحاول تنظيم هذا المبحث بتوضيح تلك الأقسام، فيقول: "وقد ينقل كل من الحكاية، والخطاب والغيبة إلى موضع الآخر، ويسمى ذلك التفاتا وله ستة أقسام" [١].

ثم ذكر تلك الأقسام واحدا تلو الآخر مستشهدا على كل قسم منها.

والأقسام على ترتيب ابن مالك هي نقل الحكاية إلى الخطاب، نقل الغيبة إلى الحكاية ، نقل الخطاب إلى الحكاية، نقل الغيبة إلى الخطاب، نقل الحكاية إلى الغيبة ، نقل الخطاب إلى الغيبة.

أما الشواهد : فقد أثرى ابن مالك الالتفات بالكثير من الشواهد، وقد ذكر لكل قسم شاهدا أو شاهدين.

فبالإضافة إلى ما نقله عن السكاكي من شواهد الالتفات، نجد أنه أضاف بعضا من الشواهد أيضا، فمن شواهده في نقل الحكاية إلى الخطاب، استشهد بقوله تعالى: { **وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون** } [٢].

---

[١] المصباح، ص ٣٠.

[٢] سورة يس ، آية ٢٢ .

أما شاهده في نقل الغيبة إلى الحكاية، فهو قوله تعالى: { **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت** } [1].

وهذان الشاهدان من شواهد السكاكي في المفتاح، إلا أنه لم يكن الاستشهاد بهما على الالتفات [2].

يقول السكاكي في قوله تعالى: { **إليه تر جعون** } "ولو لا التعريض لكان المناسب وإليه أرجع " [3] .

فقوله ترجعون مكان ارجع التفات عند الجمهور والسكاكي معا، وفي قوله تعالى: { **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** }، إذ قال: "فتثير، استحضارا لتلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الربانية من إثارة السحاب مسخرا بين السماء والأرض " [4].

والالتفات في الآية جرى على طريق الغيبة، ثم جاءت " فسقناه " وكان مقتضى الظاهر أن يقول " فساقه ".

وفي الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، استشهد ابن مالك بقول جرير:

---

[1] سورة فاطر ، آية ٩ .

[2] انظر : المفتاح في تقييد الفعل بالشرط ، ص ٢٤٥.

[3] المصدر السابق، ص ٢٤٥.

[4] المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

متى كان الخيام بذي طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام[1]

وهذا الشاهد الذي ذكره ابن مالك من أبرز شواهد الالتفات عند البلاغيين، وهو من إنشادات عبد الله بن المعتز [2]، وهذا هو الالتفات عنده، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام.

أما عن بعض شواهده على نقل الحكاية إلى الغيبة، فقد استشهد بقوله تعالى: { **إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر** }[3] والالتفات في قوله تعالى: فصل لربك ومقتضى الظاهر أن يقول: فصل لنا.

وفي نقل الخطاب إلى الغيبة، استشهد بقوله تعالى: { **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم** } [4].

وهو من شواهد ابن المعتز على الالتفات، يقول ابن رشيق: وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله: هو انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار، وتلا قوله تعالى: { **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة** } " [5].

والالتفات في قوله "وجرين بهم" انتقل من الخطاب في قوله: "كنتم في الفلك" إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم".

---

(١) ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي . (بيروت – بدون) ، ص ٤١٦ .

(٢) البديع، عبد الله بن المعتز . ت / أغناطيوس كراتشوفسكي . (بدون) ، ص ٥٩، العمدة، لابن رشيق، ص ٦٣٩.

(٣) سورة الكوثر، آية ١،٢.

(٤) سورة يونس ، آية ٢٢ .

(٥) العمدة، لابن رشيق، ج ١ ، ص ٦٤٠.

وعند النظر في كتب البلاغة بعد ابن مالك. نجد أن الشواهد التي جمعها في مبحث الالتفات في مقدمة شواهد الالتفات عند علماء البلاغة من بعده، أمثال الطيبي والقزويني وغيرهم [١].

والشواهد التي أضافها ابن مالك، والتي نقلها عن المفتاح في مبحث الالتفات، لم يعلق عليها، ولم يوضح مواضع الالتفات فيها، سوى الشاهدين الأخيرين اللذين نقلهما عن المفتاح ، وهما قوله تعالى: { **إياك نعبد وإياك نستعين** } [٢].

وقول امرء القيس[٣]:

تطاول ليلك بالأثمد * ونام الخلى ولم ترقد

وبات وبانت لنا ليله * كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن بني الأسود

حيث إن ابن مالك في المصباح لخص واختصر ما ذكره السكاكي في شرحهما ، وحذف بعضا من كلامه ، واقتصر على ما من شأنه توضيح الشاهدين ، وبيان الالتفات فيهما بأسلوب أدبي موجز خال من التكلف الذي اتهم به السكاكي فيما بعد.

---

(١) انظر: التبيان، للطيبي ص ٢٨٤-٢٨٧، الإيضاح للقزويني، ص ٨٧،١٠١، حسن التوسل، ص ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) سورة الفاتحة، آية ٤.

(٣) ديوان امرئ القيس ، (بيروت - ١٩٨٣م) ، ص ٣٤٤ ،

فقد أشار القزويني إلى كلام صاحب المفتاح على أبيات امرئ القيس وإلى ما فيهما من التكلف والتعسف، فيقول: " كلامه ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف " [1].

وأود أن أشير هنا إلى أن أبيات امرئ القيس تدلنا على مذهب السكاكي المخالف للجمهور، ففي كل بيت التفات عند السكاكي في قوله : " ليلك، بات ، جاءني ".

يقول السكاكي: "التفت في الأبيات الثلاثة " [2].

أما على المشهور فلا التفات في البيت الأول ، أما ابن مالك فتبع السكاكي في مذهبه ، فقد أشار إلى الالتفات في البيت الأول ، فقال : فإنه نبه في التفاته الأول على أن نفسه لورود ذلك النبأ عليه ولهت وله الثكلى ، فأقامها مقام مصاب لا يتسلى إلا بتفجع الملوك ، وتحزنهم عليه فخاطبها بتطاول ليلك تسلية لها " [3].

ونجد أن أبرز ما أضافه ابن مالك هو ترتيبه لهذا المبحث وأنه يتبع كل قسم من أقسام الالتفات بشاهد ، وقد تفوق على السكاكي في إيراده للعديد من شواهد الالتفات ، والتي أصبحت من أشهر شواهد الالتفات عند البلاغيين بعد ابن مالك .

---

(1) الإيضاح ، القزويني، ص ٩٤.

(2) المفتاح، ص ٢٠٠ .

(3) المصباح، ص ٣٥.

الإيجاز

حددت البلاغة بأنها بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال، أو اطناب بلا إملال [١].

وللإيجاز أهمية عظيمة، فقد اهتم به البلاغيون والنقاد ووضعوا له حدودا.

فللإيجاز عدة أقسام عند علماء البلاغة وعدة تعريفات فالجاحظ يرى أن البلاغة هي الإيجاز " قيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة " [٢].

وعرفه الرماني بقوله : " الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز " [٣].

كما عرفه طائفة كثيرة من علماء البلاغة منهم أبو هلال العسكري في الصناعتين [٤]، وعقد له ابن سنان مبحثا وسماه الإشارة [٥].

---

[١] انظر : التبيان، شرف الدين الطيبي . ت / هادي عطية الهلالي . (بيروت – ١٩٨٧م) ، ص ١٤٥ .

[٢] البيان والتبيين ، للجاحظ – (بيروت – ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص ٩٥ .

[٣] النكت في إعجاز القرآن ، الرماني . ت / محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام . (مصر – بدون) ، ص ٧٦ .

[٤] الصناعتين ، ص ١٧٩ .

[٥] سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي . (بيروت – ١٩٨٢م) ، ص ٢٠٧ .

وعرفه أبو بكر الرازي في نهاية الإيجاز [١]، وصاحب المثل السائر [٢]، وصاحب الطراز [٣] وغيرهم من علماء البلاغة.

وجميعهم اتفقوا على أنه تقليل اللفظ وتكثير المعنى، أو التعبير عن المعنى الكثير باللفظ القليل.

والذي يهمنا هو تعريف ابن مالك في المصباح، فقد عرفه بقوله: "هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف الأوساط أو مما يليق به حال المتكلم من التوسيع والانبساط " [٤].

وهو في تعريفه هذا يتابع السكاكي الذي عرف الإيجاز بأنه أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط " [٥].

وهو تعريف في غاية الإيجاز، فقد جعل متعارف الأوساط مقياسا للكلام إذا قل عنه كان إيجازا.

وعند النظر إلى التعريفين نجد أن ابن مالك أضاف جزءا آخر إلى التعريف، وهو قوله: " أو مما يليق به حال المتكلم من التوسيع والانبساط "، فأضاف بدر الدين بن مالك حال المتكلم وقدرته على التوسع والانبساط يعنى جعل قدرة المتكلم على أن يأتي في هذا المعنى بكلام أوسع منه دليلا على أنه هنا أوجز .

---

[١] نهاية الإيجاز ، ص ٣٤٧ .

[٢] انظر : المثل السائر ، ابن الأثير . ت / محمد محي الدين عبد الحميد . (بيروت – ١٩٩٠م) ، ج٢ ، ص ٦٨ .

[٣] انظر : الطراز ، العلوي ، (بيروت – بدون) ، ج٣ ، ص ٣٦ .

[٤] المصباح ، ص ٧٣ .

[٥] المفتاح ، ص ٢٧٧ .

وقد أضاف ذلك فكرا جديدا إلى مفهوم الإيجاز الذي ذكره السكاكي، وذلك لأن السكاكي جعل عبارة الأوساط أو ما تعارفوا عليه أصلا٠ وهي شئ غامض لأنه ليس بين أيدينا عبارة أوساط الناس من كل شئ حتى نجعله مقياسا وإنما نقدرها نحن وتقديراتنا تختلف ٠

تقسيم الإيجاز :

وللإيجاز عدة أقسام ذكرها علماء البلاغة، وأشهرها تقسيم الإيجاز إلى قسمين هما إيجاز قصر، وإيجاز حذف، وجاء هذا التقسيم عند طائفة من علماء البلاغة [(١)]، أما السكاكي في المفتاح فلم يقسم الإيجاز، وإنما عرفه وساق له الشواهد [(٢)].

في حين نجد ابن مالك يقسم الإيجاز ويستشهد على كل قسم من أقسامه محاولا ترتيب وبيان حدود هذا المبحث من مباحث علم المعاني، فكان بحثه له مختلفا عن المفتاح، وقد جاء الإيجاز عند ابن مالك على ثلاثة أضرب.

الأول: سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام تخفيفا لقوة الدلالة على معناه.

---

(١) انظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني ص ١٧٦، الصناعتين، أبي هلال العسكري، ص ١٨١، سر الفصاحة، لابن سنان خفاجي، ص ٢١١، شرح عقود الجمان، جلال الدين السيوطي ٠ (مصر - ١٩٥٥م) ص ٣٠، خزانة الأدب، لابن حجة الجوي ٠ ت / عصام شعيتو ٠ (بيروت - ١٩٩١م) ، ج٢، ص٧٤.

(٢) المفتاح، ص ٢٧٧ إلى ٢٨٠ ٠

الثاني: سلوك طريق المساواة مع الاختصار، وهو أن يكون للمعنى عبارتان متساويتان، واحدتها أطول لتفصيل أو غيره فتعدل عنها إلى الأخرى.

الثالث: أن يكون المعنى عندك خليقا بمزيد البسط فتتركه إلى بسط أخصر منه ؛ لتوخي نكته، كالاحتراز عن الإملال أو عن غيره [1].

هذه هي أقسام الإيجاز عند ابن مالك، وعند أمعان النظر إليها نجد أن الضرب الأول من أضرب الإيجاز، وهو سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام تخفيفا لقوة الدلالة على معناه، هو ما عرف عند علماء البلاغة بإيجاز التقدير وسماه ابن مالك بالتضييق في المصباح.

وقد ذكر الطيبي هذه التسمية عند تعريفه لإيجاز التقدير مقتبسا من كلام ابن مالك في معنى التضييق.

يقول الطيبي عن إيجاز التقدير: "وهو أن يقدِّر معنى زائداً على المنطوق ، وقيل هذا تضييق ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لباس لفظه أقصر من قدِّ معناه " [2].

هذا وقد أشار السيوطي إلى تسمية ابن مالك لإيجاز التقدير بالتضييق حين قال : " الثاني إيجاز التقدير، وهو أن يقدر المعنى زائداً على

---

[1] انظر: المصباح، ص٧٤ إلى ٧٩.

[2] التبيان، الطيبي ، ص ١٥٣.

المنطوق ، ويسمّى بالتضييق أيضاً وبه سماه في المصباح ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من معناه " (١).

وإلى ذلك أشار غير واحد من الدارسين إلى أن ابن مالك أول من ذكر مسمى التضييق عند ذكره لأقسام الإيجاز وتبعه في ذلك العلماء بعده كالسيوطي والطيبي، يقول أحمد مطلوب: "إيجاز التقدير هو ما ساوى لفظه معناه، وقد عدّه ابن الأثير القسم الأول من الإيجاز، الذي لا يحذف منه شيء، وسماه ابن مالك إيجاز التضييق، وذكر السيوطي هذه التسمية " (٢).

ولا يقف فضل ابن مالك وإضافته للإيجاز عند تسمية إيجاز التضييق بل تعداه إلى غير ذلك، فابن مالك قد أثرى هذا الضرب من أضرب الإيجاز بالكثير من الشواهد، وجاءت شواهده مطابقة لمعنى التقدير أو التضييق كما سماه تمام المطابقة.

أما الضرب الثاني من أضرب الإيجاز عند ابن مالك هو: سلوك طريق المساواة مع الاختصار، وهو أن يكون للمعنى عبارتان متساويتان، واحدتهما أطول لتفصيل أو غيره، فتعدل عنها إلى الأخرى، فهو ما عرف عند علماء البلاغة بالإيجاز بالقصر.

دلَّ على ذلك الشواهد التي ساقها ابن مالك على هذا الضرب ومعناه الذي ذكره.

---

(١) شرح عقود الجمان، للسيوطي ، ص ٢٣٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب ٠(العراق – ١٩٨٣م) ، ج ١، ص ٣٤٧، وينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكاوي ٠ (بيروت – ١٩٩٢م) ، ص ٤.

وتعريف ابن مالك لهذا القسم من أقسام الإيجاز ينطبق تمام المطابقة مع الشاهد الذي ذكره، وهو قوله تعالى:{ ولكم في القصاص حياة } حيث وازن بين هذه الآية الكريمة وبين ما جاء عند العرب من المثل المأثور " القتل أنفى للقتل " حيث فضل الآية لإيجازها وكثرة معانيها وهذا الشاهد القرآني الذي استشهد به ابن مالك هنا ورد عند الكثيرين من علماء البلاغة شاهداً على الإيجاز بالقصر(١).

أمّا إن نظرنا إلى موقف السكاكي من هذا الشاهد فإنه اكتفى بقوله: "والعلم في الإيجاز قوله علت كلمته { في القصاص حياة } وإصابته المحز بفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى ، وذلك قولهم : القتل أنفى للقتل " (٢).

وقد اكتفى السكاكي بهذا، ولم يبيّن الأوجه التي فضلت بها الآية الكريمة على قول العرب الذي ذُكر... إلا أن ابن مالك في المصباح لم يغفل عن ذلك وبيَّن فضل الآية وإيجازها، ووازن بينها وبين المثل المذكور متابعاً في ذلك الرماني – صاحب النكت في إعجاز القرآن ٠(٣)

يقول ابن مالك: "والعلم في أمثلته قوله تعالى: { ولكم في القصاص حياة }، وإصابته المحز بفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا

(١) انظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص ٧٧-٧٨، الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص١٨١، نهاية الإيجاز، الرازي ص ٣٤٧، سر الفصاحة، لابن سنان، ص ٢٠٩، تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، ت / حفني محمد شرف ٠ (مصر – بدون) ، ص ٤٦٨.

(٢) المفتاح، ص ٢٧٧.

(٣) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ص ٧٧ ٠

المعنى ، وهو القتل أنفى للقتل من وجوه ، أحدها : كونه أوجز لأن عدة حروفه عشرة وعدة حروف المثل أربعة عشر ، وثانيها: سلامته من تكرار الحروف المتنافرة المخارج ، وثالثها : التصريح فيه بلفظ الحياة ، فإن النص على اسمها أحسن عند الإنسان ؛ لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب من الكناية عنها بلفظ القتل ، ورابعها : صحة معناه من قبل ، أن تنكير لفظ الحياة قد أفاد معنى في القصاص حياة عظيمة ، أو نوع من الحياة ، وهو معنى على حسنه وغرابته وارد على نهج الصدق ، وخارج مخارج الحق البحت ، بخلاف قولهم القتل أنفى للقتل ، فإن معناه غير صحيح ، وحقيقته غير مرادة لهم "[١].

أما الضرب الثالث من أضرب الإيجاز عند ابن مالك، وهو أن يكون المعنى عندك خليقا بمزيد من البسط فتتركه إلى بسط أخصر منه ؛ لتوخي نكتة كالاحتراز عن الإملال أو عن غيره.

وهذا الضرب من أضرب الإيجاز هو ما عرف بالإيجاز الجامع، وابن مالك اكتفى بذكر المقصود بهذا النوع من الإيجاز ، ولكنه لم يذكر اسمه الذي عرف به بعد ذلك عند علماء البلاغة ، ولعله لم يسبق إلى هذا الضرب من أضرب الإيجاز على حد علمي ، أو لم يعرف بذلك المسمى من قبل ، وعرف بعد ابن مالك بالإيجاز الجامع.

وأول ما يطالعنا من العلماء الذين ذكروا هذا القسم من أقسام الإيجاز ، الطيبي في التبيان ، والذي عرفه بأخصر لفظ وأقصر عبارة ،

---

[١] المصباح، ص ٧٦.

فقال: " والإيجاز الجامع ، وهو ان يحتوي اللفظ على معان متعددة "[١]، وقد ذكره السيوطي في عقود الجمان [٢].

الشواهـــد :

ومما أضافه وتميز به ابن مالك أيضا في هذا الباب هـــو إيـــراده لثلاثة شواهد شعرية لم ترد عند السكاكي في المفتاح ، استشهد بها علـــى الضرب الثاني من أضرب الإيجاز، وهو ســـلوك طريـــق المســـاواة مـــع الاختصار وأول هذه الشواهد قول الشاعر:[٣]

وفي قرب القلوب لكل صب * شفاء ليس في قرب الديـــار

وقول الآخر[٤]:

على أن قرب الدار ليس بنافع * إذا لم يكن بين القلوب قريب

وقول لبيد [٥]:

وبنو الديان أعـــــداء لـــ "لا" * وعلى ألسنتهم ذلت نـــــعم

زينت أحسابهم أنسابـــــــهم * وكذاك الحلم زين للكـــــرم

---

[١] التبيان، الطيبـــي، ص ١٥٤.

[٢] انظر: شرح عقود الجمان، للسيوطي، ص ٢٣٢.

[٣] نسب البيت لكثير غيرة

[٤] ورد البيت منسوبا للصوفيه في تفسير القرطبي ، ج ٤ ، ص ٢٩٣٣ .

[٥] ديوان لبيد ، (بيروت – بدون) .

وقد ورد بيتا لبيد عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، وقد علق على البيتين بقوله : " ولفظ البيت الأول لفظ الإرداف ، فلا يصلح أن يكون من شواهد الإيجاز، لأنه أراد أن يقول : بنو الديان أجواد ، فعدل عن هذا اللفظ إلى لفظ هو ردفه ، وهو ذكر معاداتهم " لئلا " ليبالغ في وصفهم بالجود، والبيت الثاني جاء بلفظ الإشارة ، إذ التزيين يكون بضروب من المحاسن، فإن قيل: إذا كان المجاز نوعا من الإيجاز، جاز أن يسمى كل صنف من ذلك النوع إيجازا "(١) .

وأما عن الشاهدين السابقين لبيتي لبيد فلم أجد من ذكرهما في كتب البلاغة السابقة لابن مالك .

الإطناب :

الإطناب عند ابن مالك شأنه شأن الإيجاز، حيث قسمه إلى ثلاثة أضرب أيضا ، الأول : سلوك طريق التوسيع بالتفصيل ، الثاني : سلوك طريق التوسيع بمثل التتميم ، الثالث : التوسيع بمثل التذييل (٢).

ونلحظ أن بدر الدين بن مالك من أوائل الذين جعلوا للإطناب أقساما، وقد استنبط ابن مالك ضروبا للإطناب، ورتب أقسامه على ضوء ما ورد عند العلماء السابقين له من تعريفات أو إشارات إلى التذييل والتتميم وأنهما من الإطناب ، حيث إن القصد منها إفهام العامة إلى غير ذلك.

---

(٢) تحرير التحبير، ابن أبي الاصبع ، (مصر ، بدون) ، ص ٤٦٣.

(٢) انظر: المصباح، ص ٧٩ إلى ص ٨١.

فصاحب الصناعتين يشيد بالتذييل ، والمساواة ، ويقول مشيرا إلى التذييل: "وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة ، لأن تلك المواطن تجمع البطئ الفهم ، والبعيد الذهن ، والثاقب القريحة ، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد ، توكد الذهن اللقن ، ووضح للكليل البليد – وقد عرف الإطناب بأنه – إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه ، حتى يظهر لمن لم يفهمه ، وعند من فهمه "[١].

هذا وقد قسم ابن سنان دلالة الألفاظ على المعاني إلى ثلاثة أقسام: المساواة والتذييل والإشارة[٢]، ورأى طائفة من علماء البلاغة أن التذييل قسم من أقسام الإطناب ٠ ومنهم ابن سنان الخفاجي فقد عرف التذييل بأنه " هو أن يكون اللفظ زائدا على المعنى وفاضلا عنه ، وقال : إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة، بحيث يكون الكلام مخاطبا به عامة الناس، ومن لا يسبق ذهنه إلى تصور المعاني "[٣].

فالتذييل عند أبي هلال العسكري، وابن سنان هو الإطناب، فنقول إن هناك إطنابا بالتذييل ، كما ذكر ابن مالك، من خلال مفهوم التذييل ، والمواضع التي يكون فيها محمودا.

والتتميم عند البلاغيين جزء من الإطناب ، فقد عرفه أبو هلال العسكري بقوله : " هو أن توفي المعنى حظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه

---

[١] الصناعتين ، أبو هلال العسكري، ص ٣٨٧.

[٢] انظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي ، ص ٢٠٧.

[٣] المصدر السابق، ص ٢٠٧.

من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره " [١].

أما ابن رشيق فيعرفه بقوله : "هو أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتمم به حسنه إلا أورده وأتى به، إما مبالغة، وإما احتياطا واحتراسا من التقصير " [٢].

فمعاني التتميم التي ذكرها العلماء السابقون علي ابن مالك أوحت إليه أن هناك إطنابا بالتتميم، أو أن التتميم ما هو إلا إطناب .

ولا شك في أن ابن مالك باعتباره من أوائل علماء البلاغة الذين جعلوا للإطناب أقساما، ورتبوا مباحثه، وبذلك أعد البلاغيين من بعده للتكثير من أقسامه، كما أشار شوقي ضيف [٣].

فالعلماء الذين أتوا من بعد ابن مالك أضافوا أقساما أخرى للإطناب، من مثل الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام، الإيغال، التكميل الاعتراض، بالإضافة إلى التتميم والتذييل، إلى غير ذلك [٤].

وقد أصبحت أقسام الإطناب تزيد على ما ذكره ابن مالك، ثم إن الإيجاز أو الإطناب قد يكون في المعاني والبيان والبديع قال الطيبي:

---

(١) الصناعتين، ص ٤٠٤.

(٢) العمدة، ابن رشيق القيرواني . ت / محمد قرقزان. (بيروت – ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص ٦٤٥.

(٣) انظر : البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣١٦.

(٤) انظر : الإيضاح، للقزويني، ص ١٩٦، شرح عقود الجمان، ص٢٣٧-٢٥١.

" ثم إنك إن تصفحت فني المعاني والبيان وتفحصت أكثر البديع، وجدتها من الإيجاز والإطناب بموضع وبمنـــزل فصيح " [1].

الشواهــد :

أما بالنسبة لشواهد الإطناب عند ابن مالك، فقد نقل الكثـــير مـــن شواهد السكاكي ، ولكنه لم ينقل شرحها أو التعليق عليها ؛ بل غير ترتيبـــها وأعاد تصنيفها بما يتفق مع أقسام الإطناب التي ذكرها ، ثم إنـــــه أضـــاف شاهدا واحدا انفرد به في الضرب الثاني من أضرب الإطناب وهـــو قـــول الشاعر:[2]

نظرت إليك بعين جارية * حوراء حانية على طفـــل

وعلى حد علمي لم يسبق ابن مالك أحد بالاستشهاد بـــهذا البيـــت، وهذا الشاهد من شواهد التتميم.

المســـاواة :

جعل بدر الدين بن مالك للإيجاز والإطناب واسطة بينهما، وهـــي المساواة، ولعله استنبط ذلك من تعريف السكاكي للإيجـــاز والإطنـــاب، إذ يقول: " فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من متعارف الأوســـاط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم " [3].

---

[1] التبيان: الطيبـــي، ص ١٦٤.

[2] ديوان امرئ القيس ، ص ١٦٨

[3] المفتاح، ص ٢٧٧.

فبدر الدين بن مالك رأى أن السكاكي جعل للعبارات حدا، إن قلت عنه كانت إيجازا، وإن زادت عليه كانت إطنابا.

فجعل بدر الدين هذا الحد قسما ثالثا في الباب وهو المساواة، وهو ما عرف عنده وعند السكاكي بـ متعارف الأوساط ٠ ونجد أن ابن مالك يسير على هدي صاحب الصناعتين الذي يرى أن المساواة هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، فيقول عند ذكره للإيجاز وأنواعه "ومما يدخل في هذا الباب المساواة، وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب" [1].

ويقول ابن مالك في الإيجاز والإطناب: "ولكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما إلا بتقديم أصل. وهو أنه لا يخلو كلام عن أحد أمور ثلاثة، أما المساواة وهي أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصا عنه بحذف للاختصار، ولا زائدا عليه بمثل الاعتراض والتتميم والتكرار، كما قال الواصف لبعض البلغاء: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه " [2].

وقد اتفق ابن مالك مع السابقين له من علماء البلاغة في تعريف المساواة كقدامة الذي عرفها بقوله: "وهي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه " [3].

---

[1] الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص ١٨٥.

[2] المصباح، ص ٧٣.

[3] نقد الشعر، قدامة بن جعفر ٠ ت / كمال مصطفى ٠ (القاهرة – ١٩٧٨م) ، ص ١٥٠

وابن سنان الخفاجي الذي قسم دلالة الألفاظ على المعاني إلى ثلاثة أقسام أحدهما المساواة: " وهو أن يكون المعنى مساويا للفظ "[١].

ونجد أن معرفة أساليب الإيجاز والإطناب تحدد أسلوب المساواة، كما أشار إلى ذلك أحمد مطلوب ، فتعريف بدر الدين بن مالك يشير إلى إنها لا تعرف إلا بعد تحديد الإيجاز والإطناب ، يقول : " أما المساواة، وهي أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصا عنه بحذف للاختصار ولا زائدا عليه بمثل الاعتراض والتتميم والتكرار "[٢].

ومعنى ذلك " أن معرفتها رهينة بأساليب الإيجاز والإطناب، فهي تالية لها في العرض والتحديد "[٣].

هذا وقد أشار حازم القرطاجني في منهاج البلغاء وسراج الأدباء إلى عظم شأن المساواة بأسلوب أدبي بليغ قال : " وليس يحمد في الكلام أيضا ، أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش ، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار، لكن المحمود من ذلك ما له حظ من الرصانة ولا تبلغ به إلى الاستثقال وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والإضجار، فإن الكلام المتقطع الأجزاء المنبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى ، وهو شبه الرشفات المتقطعة التي لا تروي غليلا ، والكلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدي إلى الغصص ، فلا شفاء مع التقطيع المخل ، ولا راحة مع التطويل الممل ، ولكن خير الأمور أوساطها "[٤].

---

[١] سر الفصاحة، ص ٢٠٧.

[٢] المصباح، ص ٧٣.

[٣] البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب ، (بغداد – ١٩٨٢م) ، ص ٢١٧.

[٤] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ، (المغرب – بدون) ، ص ٦٥.

أحوال الطلب :

" القانون الثاني من علم المعاني ، وهو قانون الطلب " هذا هو ما عنون به السكاكي هذا المبحث المتعلق بأحوال الطلب.

وقد جاء عند بدر الدين بن مالك بعنوان : " الفصل الخامس في أحوال الطلب ".

هذا وقد بدأ الفصل بقوله: "ولا يخرج عن أن يكون طلب حصول ما في الخارج في الذهن ، أو حصول ما في الذهن في الخارج من تصور أو تصديق مثبت أو منفي ، وهو نوعان ؛ لأنه إما أن لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول فلا طماعية لك فيه ، وإما يستدعي فيه ذلك " [١].

وبهذه المقدمة القصيرة اختصر ابن مالك مقدمة السكاكي الطويلة التي أوردها في المفتاح في بداية حديثه عن أحوال الطلب [٢].

والتي ضمنها أنواع الطلب وتحدث عنها في المقدمة، ثم عقد لكل نوع من أنواع الطلب بابا خاصا، فجاءت في خمسة أبواب الباب الأول في التمني، الباب الثاني: في الاستفهام، الباب الثالث: في الأمر، الباب الرابع: في النهي، وأخيرا الباب الخامس الذي اختص بالنداء.

ولقد فصل السكاكي القول في كل باب من هذه الأبواب، وأطال، وأورد الكثير من الأمثلة والشواهد بينما اختصر بدر الدين بن مالك وأوجز في تناوله.

---

[١] المصباح، ص ٨٣.

[٢] انظر: المفتاح، ص ٣٠٢.

ولكن بالرغم من اختصاره هذا وحذفه للكثير مما أورده السكاكي، نجده يضيف ويستشهد بشواهد لم ترد في المفتاح.

وقد ذكر ابن مالك أقسام الطلب، وهي خمسة أقسام مطابقة لما ورد في المفتاح، وعلى الترتيب وهي: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.

والذي يهمنا من أقسام الطلب الاستفهام، والذي يبرز فيه نوع من التميز عند ابن مالك عن غيره من البلاغيين وخاصة السكاكي والذي كان كتاب المصباح لابن مالك مختصراً عن كتابه.

فقد خالف ابن مالك السكاكي في تعريفه للاستفهام، إلى غير ذلك مما أضافه إلى المعاني التي يفيدها الاستفهام التي وردت في المفتاح والشواهد التي استشهد بها على ذلك.

ولم ترد في الأصل الذي اعتمد عليه في تأليف كتابه.

أما أقسام الطلب الأخرى، فلم يضف إليها شيئاً يذكر، إلا أنه اختصرها ورتب مباحثها.

أما فيما يتعلق بشواهد الاستفهام عند ابن مالك نجد أنه قد أخل وقصر عن حاجة القارئ إلى الأمثلة، فلم يورد أي شاهد أو مثال على حروف الاستفهام، وإنما اكتفى بتعدادها فقط وبم يستفهم بها [1].

على عكس السكاكي الذي أورد أكثر من مثال وشاهد على كل حرف من حروف الاستفهام السابقة الذكر[3].

وإذا طالعنا المفتاح للسكاكي نجد أنه بعد أن أثرى أدوات الاستفهام بالكثير من الأمثلة يواصل حديثه عن حروف الاستفهام وما يتولد عنها من معان.

ومن المعاني التي ذكرها للاستفهام، ما يكون للإستبطاء الإنكار – التهديد ، التعجب ، التعجيب ، التوبيخ ، التقريع ، التقرير.

وعندما ننتقل إلى المصباح، نجد ابن مالك يضيف إلى تلك المعاني التي يفيدها الاستفهام معاني أخرى لم ترد في المفتاح ويستشهد بشواهد لم ترد عند السكاكي أيضا.

ومن المعاني التي أضافها: العرض، التحضيض، التهديد، التهكم.

وقد استشهد على التهكم بقوله تعالى: { **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** } [3]. والتهكم هنا ليس من الإستفهام وإنما هو من اسناد الأمر إلى الصلاة .

---

(1) انظر: المصباح، ص ٨٥.

(2) انظر: المفتاح، السكاكي، ص ٣١٠-٣١٣.

(3) سورة هود ، آية ٨٧.

وقد ذكر الزمخشري ذلك في تفسيره للآية فقال: " كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذ ارأوه يصلي تغامزوا، وتضاحكوا، فقصدوا بقولهم: أصلواتك تأمرك، السخرية والهزء ٠ والصلاة وإن جاز أن تكون آمره على طريق المجاز، كما كانت ناهية في قوله: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأن يقال تدعو إليه، وتبعث عليه، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز، وجعلوا الصلاة آمره على سبيل التهكم بصلاته " [١].

ومن معاني الاستفهام التي أضافها ابن مالك أيضا إلى ما نقله عن المفتاح في هذا المبحث ، المبالغة في المدح ، وفي الذم ، والتدلة في الحب، والجحد والإنكار.

وقد ساق قافلة من الشواهد على كل منها، ففي المبالغة في المدح استشهد بقول الشاعر [٢]:

بدا فراع فؤادي حسن صورته

فقلت: هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومن استشهاداته في المبالغ في الذم، قول زهير[٣] :

أقوم آل حصن أم نساء

والبيت كاملا هو:

وما أدري ولست أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

وهذا البيت من شواهد التشكك عند ابن رشيق في العمدة.

---

[١] الكشاف، للزمخشري ٠ (مصر – بدون) ، ص ٢٨٦.

[٢] شرح عقود الجمان ، ص ١٨٩ ٠

[٣] ديوان زهير ٠ (بدون – ١٩٤٤م) ، ص ٧٣ ٠ العمدة ، لابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٧٠

وقد علق عليه بقوله : " فقد ظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم نساء ٠ وأقرب إلى التصديق "[١].

وفي التدله في الحب ، استشهد بقول العرجي :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وهذا الشاهد أيضا من شواهد التشكك عند ابن رشيق في العمدة[٢].

والشاهدان السابقان لم يكونا من شواهد ابن رشيق في العمدة فقط ؛ بل نجدهما في كتب بلاغية أخرى كبديع ابن المعتز[٣]، والصناعتين[٤].

وما يفيده الاستفهام من المبالغة في المدح والذم والتدله في الحب ، وشواهدها الآنفة الذكر، قد وردت في باب تجاهل العارف عند ابن أبي الإصبع.

وأرى أن ابن مالك قد نقلها عن صاحب تحرير التحبير في هذا الباب، وقد جاءت على هذا الترتيب الذي أورده ابن مالك[٥].

أما الجحد والإنكار، فقد استشهد ابن مالك بقوله تعالى: { **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه** }[٦].

---

(١) العمدة، ج ١، ٦٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧١.

(٣) انظر: البديع، ابن المعتز، ص ٦٢.

(٤) انظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص ٤١٢.

(٥) انظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص ١٣٥.

(٦) سورة البقرة ، آية ١٣٠ ٠

وقد أشار الزمخشري إلى الإنكار في هذه الآية، " بقوله: " ومن يرغـــــب " إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح ، الـــذي هو ملة إبراهيم " [١].

---

[١] الكشاف، للزمخشري، ج ١ ، ص ٣١٢.

الفصل الثاني

علم البيان

التشبيـــه

اهتم الدارسون وعلماء البلاغة بالتشبيه باعتباره الأصل المتفـــرع عنه جل البيان.

وقد مرّ هذا الفن بمراحل كثيرة تطور فيها، وأصبح من أهم وسائل البيان عند العرب، وعند الرجوع إلى كتب البلاغة السابقة نجد أن تعريـــف التشبيه قد ورد عند معظم البلاغيين، كالمبرد، وقدامه بن جعفر، والرمّـــاني، وأبي هلال العسكري، والباقلاني، وغيرهم ٠

وقد تابع بدر الدين بن مالك السكاكي في تعريف التشبيه وفي ذكـــر أنواعه، وهي أربعة أنواع، ولكل نوع عدة أقسام تتدرج تحته.

وقد نقلها ابن مالك من السكاكي، إلا أنه عمل في هذا المبحث مـــا عمله في مباحث أخرى من الكتاب، حيث خلصه من الحشو الذي اتسم بـــه المفتاح والإطالة الممجوجة، هذا وقد حذف ابن مالك بعضاً مـــن الشـــواهد، وأضاف إلى كتابه شواهد أخرى.

ونجد أن ما أضافه ابن مالك إلى مبحـــث التشـــبيه ينحصـــر فـــي الشواهد، حيث أضاف العديد من الشواهد الشعرية، حيث استشهد ابن مـــالك على التمثيل بقوله:

ومتى فشا استعمال التمثيل على سبيل الاستعارة سمّى مثلاً كقولـــهم " الصيف ضيّعت اللبن" .

ومنه قول ابن ميّـــادة [1]:

ألم أك في يمنى يديك جعلتـــــــني

فلا تجعلني بعدها في شمالكـــــا

وقول بشار [2]:

إذا كنت في كل الأمــور معاتبـــا

صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبـــــه

فعش واحداً أوصل أخـــاك فإنـــه

مقارف ذنب مـــرّة ومجانبـــــه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت وأي النّاس تصفو مشاربـــه

وقول أبي العلاء[3]:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكـم

والعـــذب يهجر للإفراط في الخصر

وقول النابغة[4]:

ولســـت بمستبقٍ أخـــاً لا تلمـــــه

على شعثٍ أي الرجال المهــــــذَّبُ

---

(1) نقد الشعر ، ص ١٥٨ - الصناعتين ، ص ٣٥٥ .

(2) ديوان بشار . ت / محمد الطاهر . (الجزائر - ١٩٧٦م) ، ج١ ، ص ٣٠٦ .

(3) شروح سقط الزند . ت / مصطفى السقا . (مصر - ١٩٨٦م) ، ج١ ، ص ١٢٠ .

(4) ديوانه ، ص ٧٤ .

وقول أبي تمام[1] :

ولو صورت نفسك لم تزدهـــــا

على ما فيك من كرم الطبـــــاع

فهذه الأبيات السابقة التي استشهد بها ابن مالك، وجدناها في تحريـر التحبير لابن أبي الإصبع في باب التمثيل.

ولعل ابن مالك قد نقلها عنه، حيث إنها جاءت مجتمعة فـــي ذلـك الباب من كتاب ابن أبي الإصبع . [2]

ومن شواهد ابن مالك أيضاً، والتي أضافـــها إلـــى كتابـــه، قــول المتنبي[3]:

وإذا كانت النفوس كبـــــــاراً

تعبت في مرادها الأجســـــام

وقوله [4] :

ولو لم يعل إلا ذو محـــــــل

تعالى الجيش وانحط القتـــــــام

---

[1] ديوان أبي تمام شرح التبريزي . ت / محمد عبده عزام . (مصر – ١٩٦٥م) ، ص ١٩٥ .

[2] انظر : تحرير التحبير ، ص ٢١٥ إلى ص ٢٢٠ .

[3] ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري . (بيروت – بدون) ، ج٣ ، ص ٣٤٥ .

[4] ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ٧٢

وفي حدود علمي، أرى أن البلاغيين لم يستشهدوا بهذين الشـاهدين من قبل، ولعل ابن مالك قد انتقاهما من شعر المتنبي، واستشهد بهما.

وكذلك من الشواهد التي اختص بها ولم ترد في المفتاح ، قول ديك الجن[1] :

وعاذلة غدت كالسيف تـــــكوى

ضلوعي باللحا واللوم كيّـــــــا

حيث ردَّ عدم قبول التشبيه إلى كونه غير صحيح ، فقال : " ومـــن أسباب قبول التشبيه أن يكون صحيحاً ، لا كما في قول ديك الجن" ، ثم ذكر البيت.

ولم أعلم أن هذا البيت قد أوردته كتب البلاغة السابقة، وإنما انفـرد بذكره ابن مالك.

ثم يتابع بدر الدين بن مالك كلامه مثرياً هذا المبحث بالكثير مـــن الشواهد التي لم ترد في المفتاح، فيذكر من أسباب قبول التشبيه أيضـاً أن لا يخلو من أمرين:

الأمر الأوّل : ذكره السكاكي في المفتاح ونقله عنه ابن مالك. وهو: أن يكون غير مبتذل وافياً بما علق به من الغرض.

والأمر الثاني : أضافه ابن مالك، ولم يرد في المفتاح وساق له الكثير مـــن الشواهد الشعرية.

---

[1] لم يوجد في الديوان .

يقول: الثاني: ان يشتمل إما على تشبيه شيء بشيئين، كقول امــرئ القيس [١] :

وتعطو برخص غير شثن كأنـــــــه

أساريع ظبي أو مساويك إسحـــــــل

أو بثلاثة، كقول البحتري [٢]:

كأنما يبسم عن لؤلــؤ * منضَّد أو بَرَدٍ أو أقاح

أو بأربعة، كقول امرئ القيس [٣] :

كأنَّ المدام وصوب الغمام * وريح الخزامي ونشر القطر

يعل بـــــه برد أنيابهـــا * إذا غرّد الطــائر المستعر

أو بخمسة ، كقول الحريري [٤] :

يفتــر عـــــن لؤلــــؤ رطب * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

أما على تشبيه شيئين بشيئين ، كقوله [٥] :

كأن قلوب الطير رطبــاً ويابســاً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ص ٧٨ .

(٢) ديوان البحتري . ت / حسن كامل الصيرفي . (مصر – ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص ١١٢ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٩٦ .

(٤) شواهد الكشاف ، ص ٤٣٥ – الطراز ، ج١ ، ص ١٧٣ .

(٥) ديوان امرئ القيس ، ص ١٢٢ .

أو ثلاثة بثلاثة ، كقول الآخر [1] :

ليل وبدر وغـــصن * شعر ووجه وقـــد
خمـــر ودرٌ وورد * ريق وثغـــر وخـــد

أو أربعة بأربعة ، كقوله [2] :

له ايطلا ظبي وســـاقا نعامـــة * وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبي نواس [3]، وهو مما يلحق به .

يبكي فيذري الدمع من نرجس * ويمســـح الـــورد بعنـــــاب

أو خمسة بخمسة ، كقول الوأواء الدمشقي [4] :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت * ورداً وعضت علـــى العناب بالبرد

وهذا النوع الثاني الذي ذكره ابن مالك ، لم يرد في المفتاح ، بـــل أضافه ابن مالك إلى ما نقله عن المفتاح ٠ وما أضافه ابن مالك نقلـــه مـــن تحرير التحبير لابن أبي الإصبع .

والشواهد التي ساقها ابن مالك هنا ولم ترد عنـــد الســـكاكي فـــي المفتاح، قد وردت في كتب بلاغية سابقة، إلا أن المطلع على تحرير التحبير

---

(1) نسب البيت لابن المعلى في تحرير التحبير ، ص ١٦٣ ٠ ونسب إلى ابن المعتز في العمدة لابن رشـيق ، ج١، ص ٢٩٢ ٠

(2) ديوان امرئ القيس ، ص ٨٦ ٠

(3) ديوان أبي نواس ٠ ت / أحمد عبد المجيد الغزالي ٠ (بيروت – ١٩٨٤م) ، ص ٢٨٠ ٠

(4) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ٠ (القاهرة – ١٩٩٢م) ، ص ٤٤٩ – سر الفصاحـة ، ص ٢٤٤ – العمدة ، ج١ ، ص ٢٩٤ ٠

يكاد يوقن بنقل ابن مالك عن هذا الكتاب دون النظر إلـــى كتـــب البلاغـــة الأخرى، ذلك لأنها جاءت في المصباح كما في تحريـــر التحبـــير، علـــى الترتيب في باب التشبيه [١].

[١] انظر: تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص ١٥٩.

المجـاز

إن مبحث الحقيقة ليس مقصداً من مقاصد علم البيان عند البلاغيين، وإنما المقصود عندهم "المجاز".

والبلاغيون في معظمهم لم يتوسعوا في ذكر الحقيقة والتعريف بها، وبأقسامها، لأنهم لم يجعلوا دراسة الحقيقة أمراً مقصوداً لذاته، بـل لأجـل التعريف بما يقابلها، وهو المجاز، ولكن لما كانت الحقيقة كالأصل للمجـاز تعرضوا لها مكتفين بتعريفها لغوياً واصطلاحياً، وشرح هذين التعريفين، ثـم بتقسيمها كل هذا بإيجاز لم يستوعب الحديث عنه أكثر من بضع صفحـات، فهم مرّوا عليها مرَّ الكرام، ثمَّ انطلقوا إلى التعريف بها إلى كلمة المجاز [1].

وإذا نظرنا إلى مفتاح العلوم للسكاكي، نجد أنه في الأصل الثـاني من علم البيان والمتعلق بالمجاز، يبدأ البحث بتقديم وتمهيد فيه شـيء مـن التعقيد والتكلّف، وليس ذلك بغريب على السكاكي، الـذي نجـد أن معظـم فصول كتابه ومباحثه تبدأ بذلك.

ثم نجده ينتقل إلى بيان ماهية الحقيقة ، ويطيل في ذلـك ، ويذكـر ثلاثة تعريفات للحقيقة ، ثم يذكر أقسامها ، وأنها تنقسم إلى لغوية وشـرعية وعرفية ، ثمَّ يذكر بعد ذلك ثلاثة تعريفات للمجاز، ثم يعود للحديـث عـن الحقيقة، ثم ينتقل إلى تحديد الحقيقة والمجاز، ثم يذكر أقسام المجاز.

---

[1] انظر: الحقيقة والمجاز بين الرازي والعلوي ، د/ نزيه فراح ، (مصر – ١٩٩٦م) ، ص ٢٣.

ونجد أن السكاكي بفعله هذا مزّق الموضوعات وشتت أذهان القارئين للمفتاح.

وفي المقابل ، نجد أن ابن مالك يخرج من كلام السكاكي وإطالته وتعقيداته بتعريف واحد للحقيقة وهو قوله " هي الكلمة المستعملة من غير تأويل فيما يدل عليه بالوضع" [١].

ثمَّ يذكر أقسام الحقيقة ، وأنها لغوية وشرعية وعرفية ، ثمّ يعرف المجاز بقوله : "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق الوضع المصطلح عليه مع قرينة مانعة من إرادة معناها فيه " [٢].

ثم يوضح المقصود بهذا التعريف، كل ذلك في حيز لم يتجاوز الصفحة الواحدة.

ونلاحظ هنا أن ابن مالك قد أجاد وأحسن في حذفه للكثير من كلام السكاكي في هذا الموضع وإيجازه.

حيث أنه استخلص من كلام السكاكي ما يفي بالغرض المطلوب، ويمهِّد للدخول إلى أقسام المجاز والحديث عنها.

ولم يطل الكلام في ذكر الحقيقة، حيث إن كثيراً من علماء البلاغة لم يتوسعوا في ذلك.

ولعل أبرز أنواع المجاز هي الاستعارة .

---

[١] المصباح ، ص ١٢٢ .

[٢] انظر : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

الاستعارة

وصف شيخ البلاغة العربية الاستعارة المفيدة بأنها أمدُّ ميداناً ، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة ، وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شُعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحراً ، وأملأ بكل ما يملأ صدراً ، ويمنع عقلاً ، ويؤنس نفساً ، ويوفر أُنساً ، وأهدى إلى أن تهدي إليك أبداً عذارى قد تُخُيِّر لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، ثم يقول : " ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدرة نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف منفرد ، وفضيلة مرموقة ، وخلابة رائعة"[(١)] ومن خصائصها التي تذكر بها ، وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدَّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر [(٢)].

وقد صنف السكاكي الإستعارة ضمن مباحث علم البيان، وبحثها بأسلوب علمي منطقي، اعتمد فيه على التحديدات والتقسيمات.

هذا وقد عرَّفها بقوله: " الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدَّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً

[(١)] انظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . (جدة – ١٩٩١م) ، ص ٤٢ .

[(٢)] أسرار البلاغة ، المرجع السابق ، ص ٤٣ وما بعدها .

كالطائر لفرخه في فرط حنوه عليه ، فجعل طائرا على التشبيه ثم أخذ الوهم يصور له ما للمشبه به من الآلات والجوارح وأضاف اسمه إلى الذل على الوصف بالمصدر أو غيره رعاية لمزيد البيان ، ويجوز أن يكون على التحقيق بطريق المبالغة في طلب أن يكون جانب المرء لأبويه كالجناح في تواضعه، وتبذله وسهولة التصاقه بالتراب فعبر به عنه "[١].

وفي الإستعارة بالكناية – استشهد بقول لبيد [٢] :

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

والبيت كاملا هو :

وغداة ريح قد كشفت وقـــرة   إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ونلاحظ أن ابن مالك قد أهمل هذا الشاهد البلاغي ٠ ولم يوضح جمال الإستعارة فيه ٠

وأين هو من عبد القاهر الجرجاني الذي استشهد بهذا البيت وأبدع في شرحه وبيان بلاغة الإستعارة فيه ٠

يقول الجرجاني في القسم الثاني من استعارة الاسم:

" والثاني أن يؤخذ الاسم على حقيقته ، ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار إليه ، فقال : هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه :

---

[١] المصباح، ص ١١٣.

[٢] ديوان لبيد ، ص ١٧٦ – نهاية الإيجاز ، ص ٢٥٦ – الطراز ، ج١ ، ص ٢٢٨ – الإيضاح ، ج٥ ، ص ١٢٥ ٠

وغَدَاةِ رِيحٍ قد كَشَفْتُ وقِـرَّةٍ * إِذْ أصبحتْ بيد الشَّمَال زمامُها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري اليد عليه ، كإجراء " الأسد " و" السيف " على الرجل في قولك: " انبرى لي أسد يزأر " و " سللت سيفاً على العدو لا يفل " و " الظباء " على " النساء " في قوله :

الظباء الغيد" [١].

إلى أن يقول: "وليس لك شيء من ذلك في لبيد، بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن "الشمال" في تصريف "الغداة" على حكم طبيعتها، كالمدبر المصرِّف لما زمامه بيده، ومقادته في كفه ، وذلك كله لا يتعدى التخيُّل والوهم والتقدير في النفس ، من غير أن يكون هناك شيء يحسُّ ، وذات تتحصّل ، ولا سبيل لك أن تقول كنّى باليد عن كذا، وأراد باليد هذا الشيء ، أو جعل الشيء الفلاني " يداً " كما تقول : " كنى بالأسد عن زيد، وعنى به زيداً ، وجعل زيداً ، أسداً ، وإنما غايتك التي لا مطْلع وراءها أن تقول : أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرُّفا كتصرُّف الإنسان في الشيء يقلبه فاستعار لها "اليد" حتى يبالغ في تحقيق الشبه ، وحكم "الزمام" في استعارته للغداه حكم " البد " في استعارتها للشمال ، إذ ليس هناك مشارٌ إليه يكون الزمام كناية عنه ، ولكنه وفيَّ المبالغة شرطها من الطرفين ، فجعل على " الغداة " " زماما " ليكون أتمَّ في إثباتها مصرّفة ، كما جعل للشمال يداً ؛ ليكون أبلغ في تصييرها مصرِّفة " [٢].

---

(١) أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦.

وقد ناقش ابن مالك في المصباح الاستعارة من جوانب عدة وكان له رأيه في مسائلها ويتجلّى هذا الرأي في تناوله لتجريد الاستعارة ، وقد تأثر بالسكاكي في بعض تناولاته ، واضاف أموراً أخرى .

تجريد الاستعارة:

يقول ابن مالك في تجريد الاستعارة : وهو " أن تقرن بما يلائم المستعار له ، كقولك ساورت أسداً شاكي السلاح طويل القناة، وجاورت بحراً ما أجمعه للحقائق وأوقفه على الدقائق " [1].

هذا ما أخذه ابن مالك من السكاكي في هذا القسم من أقسام الاستعارة.

أما أبرز ما أضافه ابن مالك ، فهو استشهاده بقوله تعالى: { **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** }[2] شاهداً على التجريد ، يقول : " ومثله قوله تعالى: { **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** } إذ لم يقل " فكساها الله لباس الجوع والخوف "؛ لأنه روعي جانب المشبه، فاستعيرت الإذاقة لابتلائهم بالنوائب، لأن الذوق ، وإن لم يكن كالكسوة في الملاءمة ، فهو أحسن في البيان لكونه أقوى حالاً ، وأعرف بشدة الإدراك من الملبس ، لاشتماله على الإحساس بالكيفيات الجسمانية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والملاسة والخشونة وما بينها من أنواع الطعوم ، فناسب أن يستعار

---

(1) المصباح، ص ١٣٦ – المفتاح ، ص ٣٨٥ .

(2) سورة النحل ، آية ١١٢ .

لإحساسهم بشدة ما نالهم ، فإن قلت : لم لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ ، قلت : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوت لبيان أن الجوع والخوف قد عمَّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس ، حتى كأنهما من أصنافها بخلاف لفظ اللباس فلذلك كان أولى بالذكر" [1] .

فابن مالك في المصباح أحسن في استشهاده بهذه الآية الكريمة – وتحليلها- حيث إنها من أبرز الشواهد على تجريد الاستعارة – عند البلاغيين، وأنّ أول من تناول هذه الآية وبسط القول فيها الزمخشري في تفسيره [2] .

يقول الدكتور أبو موسى : " قد ذكر البلاغيون ضرباً آخر من ضروب الاستعارة ، يقابل هذا القسم ، ويسلك طريقاً معاكساً لطريقه ذلك ، " يقصد ترشيح الاستعارة "، هو الاستعارة المجردة التي يذكر فيها وصف ، أو تفريع كلام يتصل بالمشبه ، وكأنه تذكير وإبراز للمجاز، وليس تناسياً له، كما تقول : لقيت بدراً حسن الإشارة طيب الصحبه ، فهذه الأوصاف المذكورة لا يربو بها المجاز، ولا يعظم التخييل ، وإنما تعود بالكلام إلى الحقيقة ، ولهذا سماه البلاغيون المجاز المجرد أو الاستعارة المجردة ، ولم يتكلم عنه عبد القاهر، ولم يبسطه أحد قبل الزمخشري فيما نعلم ، وقد بسط ذلك في تناوله للآية التي صارت علما في هذا الباب ، وهي قوله تعالى: { **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** } " [3].

---

[1] المصباح، ص ١٣٧.

[2] انظر: الكشاف ، ج٢ ، ص ٤٣١ .

[3] التصوير البياني ، محمد أبو موسى ، (مصر – ١٩٨٠ م) ، ص ٣١٤.

وهذه الآية الكريمة لم تكن شاهدا على تجريد الاستعارة فقط؛ بل كانت شاهدا أيضا على الاستعارة المحتملة للتحقيق والتخييل ٠ فموضع الاستشهاد بالتجريد هو كلمة " فأذاقها " وأما موضع الاستشهاد بالتحقيق والتخييل هو كلمة " لباس الجوع " ٠

وقد استشهد بها السكاكي على هذا القسم من أقسام الاستعارة، يقول معلقا على هذه الآية { **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف** }: "الظاهر من اللباس –عند أصحابنا، الحمل على التخييل، وإن كان يحتمل عندي أن يحمل على التحقيق ، وهو أن يستعار لما يلبسه الإنسان عند جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة " [١]

وابن مالك تبع السكاكي في أن الاستعارة في هذه الآية تخييلية، وخالفهما القزويني في إيضاحه ، إذ يقول معلقا على هذه الآية الكريمة : " فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة ، استعارة عقلية ؛ لأنه قال شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان ، والتبس به من بعض الحوادث ، وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح حسية ، لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة " [٢].

فالقزويني يرى أن في الآية استعارة إما عقلية على ظاهر كلام الزمخشري، وإما حسية على ظاهر كلام السكاكي.

---

[١] المفتاح، ص ٣٧٨، انظر: المصباح، ص ١٣٣.

[٢] الإيضاح، ج ٥، ص ٤٠.

وخالفه السبكي حيث قال في عروس الأفراح : " وجـــزم المصنِّــف بـــأن الاستعارة هنا تحقيقية ، إما عقلية أو حسية ، مخالف لما قاله السكاكي مـــن أنها تخييلة ، والحق أنها عقلية " [١].

ونقول أن هذه الآية الكريمة قد اجتمع فيها عدة استعارات ، وليـس استعارة واحدة ، وقد أشار إليها العلماء : يقول الدكتور عبد المنعم خفاجي : " في أذاقها تجريد، وفي اللباس استعارة تصريحيــة والمعلــوم المحــذوف مكنية، والإذاقة تخيــيلية " [٢] .

وقد ذكر الطيــبي في التبيان أن من شروط حســن الاســتعارة أن يجتمع في الكلام عدة استعارات واستشهد بهذه الآية الكريمة وعلق عليـــها بقوله : " استعار القرية للأهل على طريقة المكنية ، والذوق للكسوة علـــى التحقيقية وعدل عن كساها ، لأنَّ الإذاقة أقوى فـــي الإدراك مـــن اللمــس واللباس لما يغشى عن الجوع ، والخوف على الاحتمالين ، وعدل عن الطعم لبيان عموم الأثر " [٣].

وقول الطيــبي هذا يخالف السكاكي وابن مـــالك فـــي أن هنـــاك استعارة تخيلية في الآية، وينفي ذلك ويقول مشيراً إلى الآية: " قيل تحتمــل التخيلية أيضاً وهو بعيد " [٤].

وشاركه القزويني الرأي في أنها يُحتمل أن تكون عقلية وأن تكون حسيَّة.

---

[١] عروس الأفراح، ج ٤، ص ٥٥.

[٢] الإيضاح، ج ٥، ص ١٠١.

[٣] التبيان، ص ٢٥٤.

[٤] المصدر السابق ، ص ١٣٣.

فنقول أن الاستعارة التخييلية عند ابن مالك والسكاكي تقابل التحقيقية وهي ما كان المستعار له أمرا عقليا أو خياليا وليس حسيا ٠

أما التخييلية عند الجمهور فهي في إثبات الإذاقة ٠

ومن الأمور التي تناولها ابن مالك في الاستعارة أيضا ترشيح الاستعارة .

ترشيح الاستعارة :

يقول ابن مالك عنه بأنه: " أن تقول بما يلائم المستعار منه "[١] وما أشبه قوله بقول السكاكي الذي يقول : " ومتى عقبت بصفات أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه، سميت مرشحة "[٢].

وينقل عنه بعضا من شواهده التي ذكرها على هذا القسم من أقسام الاستعارة.

إلا أن أبرز ما أضافه إلى هذا القسم ، ولم يرد عند صاحب المفتاح هو أنه بدأ الاستشهاد بشاهدين لم يسبقه إليهما السكاكي في مفتاحه ، فالشاهد الأول قول زهير :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم[٣]

(١) المصباح، ص ١٣٧.

(٢) المفتاح، ص ٣٨٥ ٠

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٣ ٠

إلا أن ابن مالك لم يذكر بلاغة هذا الشاهد الذي اجتمع فيه التجريد والترشيح، وكان من الممكن أن يضيف قسماً آخر لأقسام الاستعارة، وهو اجتماع التجريد والترشيح، في شاهد واحد، وقد أشار السيوطي إلى أن بهاء الدين السبكي قد نبه إلى ذلك . يقول السيوطي: " وقد يجتمع التجريد والترشيح، وهو قسم رابع كما نبه عليه الشيخ بهاء الدين ثم ذكر هذا الشاهد"(١).

والشاهد الثاني الذي استشهد به ابن مالك هو قوله تعالى: { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ** } (٢).

هذا الشاهد القرآني من الشواهد البليغة على ترشيح الاستعارة، فقد استعير الاشتراء للاختيار والاستبدال ، ثم فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح ، والخسارة ، الذي يحصل في التجارة ، وكأن ثمة مبايعة حقيقية.

وقد ذكر الزمخشري الترشيح في هذه الآية بأبلغ عبارة وأجمل لفظ، دلّ على الإعجاز في الآية، وبديع الصنعة، يقول : " هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال ، فما معنى ذكر الربح والتجارة ، كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة ؟ قلت : هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العلْيا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفّى بأشكال لها ، وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجه ، وأكثر ماءاً ورونقاً ، وهو المجاز المرشح " (٣).

---

(١) شرح عقود الجمان، ص ٥٧.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٦ .

(٣) الكشاف، ج١ ، ص ١٩٢.

الكنـــايـــة:

لقد بلغت عناية علماء الأدب بفن الكناية حداً كبيراً ، ولا يكاد يخلو أثر من الآثار النقدية والأدبية من الكلام عن الكناية وبلاغتها ، وإن اختلفت بينهم أسماؤها وألقابها وأقسامها .

وكان من أقدم الذين عرضوا لها أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن"[(١)].

وهذه الدراسات التي سبقت عبد القاهر وإن بدأت ساذجه كما عند " أبي عبيدة "، إلا أنها انتقلت نقلة كبيرة عند " الجاحظ " و" المبرد " و" عبد الله بن المعتز "، فهي عندهم لم تعد ملاحظات متفرقة ، وإنما أصبحت تختص بدراسات في أبواب معينة بها ؛ بل جرت هناك محاولات لتقنينها كما عند المبرد.

ثم جاء " قدامة " لينتقل بها نقلة كبيرة فيضع لها تعريفاً يميزها عن غيرها ، ويدرسها فيه دراسة لم يخرج فيها عن مصطلح الكناية ، إلا أن " قدامة " لم يدرسها باسم الكناية ، ولم يشر إلى هذا الاسم ، ولكنه درسها تحت مصطلح " الإرداف " ، فقد عرفت الكناية عند قدامة باسم الإرداف[(٢)].

وعرفت عند ابن " رشيق " في " العمدة " باسم " التتبع "، أمَّا عبد القاهر، فقد أطلق على هذا المصطلح اسم الكناية الذي اشتهر وعرف به بعد ذلك.

---

(١) انظر : علم البيان ، بدوي طبانه ، (بيروت – بدون) ، ص ٢٢٣ .

(٢) انظر: الكناية، لمحمد الحسن علي الأمين ، (مكة المكرمة – ١٩٨٥م) ، ص ١٥.

يقول الدكتور محمد أبو موسى: " والإرداف الذي ذكره قدامة وتناقله عنه الدارسون ومنهم أبو هلال ، هو الذي سماه عبد القاهر الكناية ، وتحدد بهذا المصطلح ، وانحصر مصطلح الإرداف ، فأصبح لا يرى إلا عند ابن أبي الإصبع ، وبرز مصطلح الكناية وغلب ، وخصوصا في مدرسة المفتاح وشروح التلخيص ، التي كانت إلى حد ما امتدادا لعبد القاهر ولتراث الخوارزمي في هذا الباب "[١].

ولقدامة بن جعفر تعريفه لهذا الفن البلاغي أخذه علماء البلاغة من بعده وساروا عليه، يقول في معنى الإرداف : " هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ؛ بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع ، أبان عن المتبوع ، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القرط، إما لنوفل * أبوها وأما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد الشاعر أن يضيف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط "[٢].

وكانت جميع الأمثلة والشواهد التي ساقها قدامه " كنايات عن صفة "[٣].

وجاء السكاكي فأحدث نقلة واضحة في تاريخ البلاغة ، فقد دخلت البلاغة بعد تأليف المفتاح مرحلة جديدة ، هي مرحلة التقسيم والتبويب ، وقد

---

[١] التصوير البياني، لمحمد أبي موسى، ص ٣٦٩.

[٢] نقد الشعر، ص ١٥٥-١٥٦.

[٣] انظر: التصوير البياني، محمد أبو موسى، ص ٣٦٨.

صنف السكاكي الكناية ضمن مسائل علم البيان ، وجعلها الأصـــل الثـــالث ضمن أصول علم البيان ، وقسمها إلى ثلاثة أنواع : كناية مطلوب بها نفـس الموصوف ، وكناية مطلوب بها نفس الصفة ، وكناية مطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف ، وأشار إلى أن الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويـح ، ورمز، وإيماء ، وإشارة [١].

ولم يخرج بدر الدين بن مالك صاحب المصباح ولا من أتى بعـــده عن هذه التقسيمات، وإنما نهجوا نهج السكاكي، ولقد كان تقسيم ابن مـــالك موافقا لتقسيم السكاكي ، إلا أن من أبرز ما يلفت الانتباه ، هو استخدام ابـن مالك لمصطلح الإرداف ، وإطلاقه على القسم الثاني من أقســام الكنايــة ، وهي الكناية المطلوب بها نفس الصفة .

يقول ابن مالك: " القسم الثاني : الكناية المطلوب بها نفس الصفـة، ويسمى الإرداف " [٢].

وقد سبق أن أوردت ما لاحظه الدكتور أبو موسى من أن مصطلح الكناية قد برز وظهر وغلب على مصطلح الإرداف، خصوصا في مدرسـة المفتاح، والتي يعد بدر الدين بن مالك أحد أبرز أعلامها.

ومصطلح الإرداف لم يرد عند السكاكي، مما ينبئ أن ابـن مـالك عاد إلى نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وأخذ عنه هذا المصطلح وأطلقه علـى القسم الثاني من أقسام الكناية عنده، وهي الكناية عن الصفة.

---

(١) انظر : المفتاح ، ص ٤٠٢ .

(٢) المصباح، ص ١٤٨.

وإطلاق ابن مالك لمصطلح الإرداف على الكناية عن الصفة دون باقي الأقسام ، أمر قد يفسره قولنا : إن ابن مالك نظر إلى شواهد قدامة ، ووجد أنها كناية عن الصفة ، فقد " كان قدامة يقظا في سوق أساليب الإرداف ، فلم يذكر في شواهد هذا الباب ما ليس منه ، وكانت شواهده كلها من باب الكناية عن الصفة "[1]، وابن مالك تبع قدامة في هذا، ولاشك أن تأثر ابن مالك بقدامة في هذا الأمر دليل يقف في وجه من يحصر تأثر ابن مالك بالسكاكي دون غيره من علماء البلاغة في مصباحه.

والحقيقة أن ابن مالك تابع صاحب المفتاح في تقسيمه للكناية ، إلا أنه تناول كل قسم بشيء من الاختصار والحذف منه إلى جانب إضافته عددا من الشواهد ، التي لم يذكرها السكاكي وسنتناول كل قسم من هذه الأقسام لنبين ما أضافه ابن مالك من شواهد لم ترد عند صاحب المفتاح ، بالرغم من أنها من أشهر شواهد هذا الفن وترددت في كتب البلاغة السابقة لابن مالك واللاحقة له.

فمن جانب التقسيم في هذا المبحث البياني، فقد قسم ابن مالك الكناية إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول : في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف، ذكر السكاكي بأن هذه الكناية تقرب تارة وتبعد تارة وأن القريبة هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، ثم مثل لذلك، ثم ذكر البعيدة، وهي أن تتكلف اختصاصها، بأن تضم إلى لازم آخر وآخر، فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ما عداه مقصودك فيه ثم مثل لذلك.

---

(1) التصوير البياني / محمد أبو موسى ، ص ٣٦٨ .

وفي المقابل نجد أن ابن مالك عبر بمضمون عبارات السكاكي، إلا أنه استخدم عبارات موجزة، فذكر أن الكناية إما قريبة لكون الوصف بسيطاً، وإمّا بعيدة لكون الوصف مركباً، ورأي ابن مالك هذا يفسره قول السكاكي في الكناية القريبة والبعيدة، فإذا انتقل إلى المقصود من غير واسطة أصبحت الكناية بسيطة، أما إذا كان بين المعنى المباشر والمعنى المراد عدة وسائط تقل وتكثر أصبحت الكناية مركبة [١].

ومن شواهد ابن مالك على هذا القسم من أقسام الكناية ، مما لم يذكر في المفتاح ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكثروا من ذكرها دم اللذّات " [٢].

كناية عن الموت وشاهداً عن الكناية القريبة ٠

ومن شواهده أيضاً قول أبي نواس [٣] :

إذا أنت انكحت الكريمة كفأها * فأنكح حبيشاً راحة ابنة ساعد

وقل بالرفا مانلت من وصل حرّة * لها ساحة حفت بخمس ولائد

وهذا الشاهد جاء في كتب البلاغة قبل ابن مالك ، في تحرير التحبير [٤]، وفي الصناعتين [٥]، وفي البديع لابن المعتز [٦].

---

[١] انظر: المفتاح، ص ٤٠٤ ٠

[٢] صحيح البخاري.

[٣] ديوان أبي نواس ، ص ٥٥٦ ٠

[٤] انظر: تحرير التحبير، ص ١٤٤ وما بعدها ٠

[٥] انظر: الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ٣٨٣.

[٦] انظر: البديع، ص ٦٥.

وقد أشاد به ابن أبي الإصبع ، إذ يقول وأنشد " يعني ابن المعتز " لأبي نواس في الكناية عن جلد عميرة ما لا يدرك شأوه ، ثم ذكر الشاهد[١].

وأرى أن الشاهد من قبيح الكناية ومعيب من جهة فحش المعنى ٠

أما القسم الثاني من أقسام الكناية، فهو الكناية المطلوب بها نفس الصفة.

يقول ابن مالك: "القسم الثاني: الكناية المطلوب بها نفس الصفة، ويسمَّى الإرداف "[٢]، وقد أشرنا فيما سبق إلى مصطلح الإرداف، وكيف أن ابن مالك أطلقه على هذا القسم من أقسام الكناية ٠

فقد قسم ابن مالك هذه الكناية إلى قريبة وبعيدة ، ثم قسَّم القريبة إلى واضحة وإلى خفية ، متابعاً في ذلك السكاكي في تقسيمه ، وفي تعريفه للكناية القريبة والبعيدة – والذي أضافه ابن مالك إلى هذا القسم – هو اثراؤه له بالكثير من الشواهد الشعرية، فبالإضافة إلى ما نقله عن السكاكي من شواهد، نجده أضاف عدة شواهد شعرية ، فالسكاكي في الكناية القريبة الواضحة والخفية لم يستشهد بأي شاهد شعري ، إنما ذكر بعضاً من الأمثلة وذكر شاهداً من القرآن الكريم ٠

فابن مالك رأى أن السكاكي قد اقتصر هنا على الاستشهاد بغير الشعر، حيث إن هناك الكثير من الأبيات الشعرية التي تتصل بهذا القسم من أقسام الكناية وتصلح للاستشهاد بها.

---

[١] انظر: تحرير التحبير، ص ١٤٤.

[٢] المصباح، ص ١٤٨ ٠

فما أضافة ابن مالك إلى هذا القسم من شواهد:

أولاً: فيما يتعلق بالكناية القريبة الواضحة ذكر قول الشاعر[١]

بعيدة، مهوى القرط إما لنوافل   أبوها وإما عبد شمس وهاشم

وهذا الشاهد من أبرز شواهد الكناية عند البلاغيين، وهذا ما يدعو للاستغراب من انصراف السكاكي عن الاستشهاد بمثل هذه الأبيات، فقد ذكر الشاهد ابن رشيق في باب التتبيع وقد عدّه من أنواع الإشارة حيث يقول: "ومن أنواع الإشارة التتبيع، وقوم يسمونه التجاوز وهو أن ينشد الشاعر ذكر شيء فيجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصيغة وينوب عنه بالدلالة عليه " [٢].

وقد استشهد ابن سنان الخفاجي بهذا البيت في الإرداف والكناية، حيث جعلهما شيئاً واحداً ولم يفرق بينهما [٣].

أما صاحب تحرير التحبير فقد أورد هذا البيت في باب الإرداف والتتبيع [٤].

وقد جاء أيضاً عند أبي هلال العسكري في باب الإرداف والتوابع يقول معلقاً على هذا الشاهد: "فأراد أن يصف طول عنقها فأتى بما دلّ عليه من بعد مهوى القرط، وبعد مهوى القرط ردف لطول العنق " [٥].

---

(١) الطراز ، العلوي ، ج ١ ، ص ٤٢٥ .

(٢) العمدة، ج ١ ص ٥٣٣.

(٣) انظر: سرّ الفصاحة، ص ٢٢٩.

(٤) انظر: تحرير التحبير، ص ٢١٢.

(٥) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص ٣٦٢.

ومن الشواهد التي أضافها ابن مالك إلى هذا القسم، قول شاعر الحماسة [1]:

أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

ويعلق ابن مالك بقوله : " بما يظهرنه من محاسنها، وأختار وقت العشي، لأنه الوقت الذي يتخلى فيه النساء من الأشغال ويبرزن للعهن وينتدى فيه الرجال للحديث ليتم ما أراد من اجتماع الحاسدة والغيور" [2].

ونلاحظ أن تعليق ابن مالك على الأبيات كان هامشيا، ولم يتناول موطن الاستشهاد، فقد اقتصر على تفسير معنى البيت، وكان الأجدر به أن يوضح موضع الكناية الموجودة في البيت الثاني.

كما أن البيت الأول يحتوي على كناية عن عظم الإرداف والثدي.

ونجد أن ابن مالك قد قصر في إبراز جمال الكناية في هذا البيت والذي عده صاحب الطراز من غريب الكناية وبديعها [3]، وعلق عليه الطيبي في التبيان وأبان موضع الكناية ، يقول: " عنى به أنها ناهدة الثديين دقيقة الخصر لطيفة البطن عظيمة الكفل ، فالثدي يمنع القميص أن

---

[1] ديوان الحماسة ، أبو تمام بشرح المرزوقي . ت / أحمد أمين – عبد السلام هارون . (القاهرة – ١٩٦٧م)، ج٣ ، ص ١٣٩ .

[2] المصباح، ص ١٤٩.

[3] انظر: الطراز، العلوي ج ١ ص ٤٢٤.

يلتصق ببطنها ، والردف يمنعها أن يلتصق بظهرها ، فبين في عجز البيت ما لفه في صدره ، وعبر عن تلك الألفاظ بأحسن العبارات " [1].

وهذا البيت استخدم شاهدا على الكناية القريبة إذا أنه كناية عن امتلاء الأرداف والثدي امتلاءا حال بين الثوب والمساس من جهة الظهر والبطن، فإن هذا المعنى وراء المعنى المباشر للبيت من غير واسطة [2].

ومن الشواهد التي أضافها ابن مالك لهذا القسم أيضا، قول بعض المغاربة [3]:

رشا يرنو بنرجسه ويعطو * بسوسان ويبسم عن أقاح
يشير إلي قرطاه وتصغي * خلاخله إلى نغم الوشاح

استشهد ابن مالك بهذين البيتين، إلا أنه لم يوضح موضع الكناية وهي في نغم الوشاح ، كناية عن دقة الخصر.

وجميع هذه الكنايات إشارة إلى المعنى المباشر دون وسائط فلذلك كانت كنايات قريبة ، وعلى حد علمي لم أجد من استشهد بهذا الشاهد قبل ابن مالك في كتب البلاغة التي وقعت بين يدي . وجمال هذا الشاهد

---

(١)التبيان ، الطيبي ، ص ٢٧٢ .

(٢) انظر: التصوير البياني، لمحمد أبي موسى، ص ٣٨٤.

(٣) الطراز ، ج١ ، ص ٤٢٥ .

وروعته تكمن في أنه اشتمل على عدة كنايات وليس كناية واحدة، وكلها كنايات قريبة، كما ورد هذا الشاهد بعد ذلك في الطراز للعلوي [١].

أما ما أضافه ابن مالك إلى الكناية القريبة " الخفية " فهو شاهد شعري ذكره بعد أن ذكر ما ورد في المفتاح من أمثلة ، وهو قول الشاعر [٢]:

أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد
أراد أبوك أمك حين زفت * فلم توجد لأمك بنت سعد

ونجد أن هذا البيت من أحسن شواهد الكنايات في الهجاء. أشار إلى ذلك ابن أبي الإصبع يقول عنه:

"ومن أحسن الكنايات في الهجاء قول بعض الشعراء يهجو إنسانا به داء الأسد، فكنى عن ذلك ورمى أمه بالفجور بطريق الكناية أيضا حيث قال:

أراد أبوك أمك حين زفت * فلم توجد لأمك بنت سعد

يريد به عذرة ، ثم قال:

أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد

يريد جذاما فإنه أخو لخم " [٣].

---

[١] انظر: الطراز، ج١ ، ص ٤٢٥.

[٢] المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

[٣] تحرير التحبير، ص ١٤٥.

ففي هذا الشاهد إذا كنايتان من النوع الغريب – الخفي – ففي البيت الأول كناية عن داء الأسد وهو الجذام ، وفي البيت الثاني كناية عن فجور أمه، فقد هجا الشاعر هذا الإنسان بطريق الكناية الخفية ، وجمال الكناية هنا في خفائها وعدم ظهورها ، فدائما أسلوب الرمز الخفي في الهجاء أوقع في نفس المهجو.

أما الكناية البعيدة فقد تابع فيها بدر الدين بن مالك صاحب المفتاح ونقل عنه ما ساقه من شواهد على هذا القسم، ولم يضف شيئا يذكر، [1] وهذا ما دعانا إلى عدم الوقوف عندها كثيرا.

أما فيما يتعلق بالقسم الثالث من أقسام الكناية، في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، فقد نقل ابن مالك ما جاء في ذلك عند صاحب المفتاح مع الإيجاز الشديد، وقد يكون إيجازه مخلا في بعض الأحايين، حيث إنه ذكر الشاهدين الأخيرين على هذا القسم مجردين من تعليق السكاكي وتعقيبه عليهما [2].

وابن مالك بعد أن ذكر أقسام الكناية قال : " وإذ قد وقفت على أقسام الكناية ، فاعلم أن لها أسماء بحسب اعتبارات فمتى كان اختصاصها بالمكنى عنه عارضا سميت تعريضا " [3] .

---

[1] انظر : المصباح، ص ١٥٠-١٥١ – المفتاح، ص٤٠٥ – ٤٠٧.

[2] انظر : المفتاح، ص ٤٠٩، ٤١٠.

[3] المصباح، ص١٥٣.

وكلام ابن مالك هذا يشير إلى أنه لم يفرق بين الكناية والتعريض، حيث جعل التعريض اسما من أسماء الكناية.

وإذا رجعنا إلى صاحب المفتاح نجده يقول: " متى كانت الكناية عرضية كان إطلاقي اسم التعريض عليها مناسبا "[١].

فالمناسب للعرضية التعريض عند السكاكي ، وهناك من علماء البلاغة من يرى أن السكاكي خلط بين الكناية والتعريض ، ولم يفرق بينهما[٢].

وهناك من نفى ذلك، ورأى أن السكاكي لم يكن يقصد عدم التفريق بينهما، يقول الدكتور يوسف البيومي موضحا معنى كلام السكاكي المناسب لفرضية التعريض .

" إن الكناية المعرض بها المناسب تسميتها تعريضا بمعنى أنها سبب في التعريض وطريق إليه ، لا أنها هو.

فالكناية غير التعريض، والمعنى الكنائي غير المعنى التعريضي وطريق إليه، لا أنها هو.

فالكناية غيرالتعريض، والمعنى الكنائي غير المعنى التعريضي حتى في الكناية العرفية أو التعريضية، والكناية تكون ولا تعريض، والتعريض يكون ولا كناية.

---

[١] المفتاح، ص ٤١٠.

[٢] انظر: روائع البيان العربي، عبد الحميد العبيسي، (مصر – ١٩٧٤ م)، ص ٢٧٧.

ومعنى تفاوت الكناية إلى ما ذكر من التعريض والتلويح والرمز والإشارة أنها تتنوع إلى هذه الأنواع.

أما العرضية فهي التي أشير بمعناها الكنائي إلى معنى آخر يفهم من عرض وجانب بمعونة السياق " [١].

فمن رأى أن السكاكي فرق بين الكناية والتعريض كان هو الأصوب.

حيث إن تفريق السكاكي بين الكناية والتعريض يتضح من كلامه، إذ قال : " واعلم أن التعريض تارة يكون على سبيل الكناية ، وأخرى على سبيل المجاز " [٢] .

فالسكاكي يرى أن التعريض من أنواع الكناية، ويمكن أن يكون مجازا ، " والكناية ليست من أنواع المجاز، والتعريض أسلوب تحدده قرائن الأحوال ، فقد يكون مجازا، وقد يكون كناية، وقد يكون تعريضا فقط " [٣].

ونجد أن بدر الدين بن مالك قد أثرى هذا المبحث أيضا بالشواهد الشعرية ، فبالإضافة إلى ما نقله من شواهد السكاكي أضاف شواهد أخرى.

---

[١] علم البيان، يوسف البيومي، (مصر ٠ ١٩٧١ م) ، ص ٢١٢

[٢] المفتاح، ص ٤١٢.

[٣] الكناية، محمد الحسن الأمين، ص ١٠٤.

فمن شواهد التعريض بالكناية قول الحماسي في بني عجلان[1]:

قبيلة لا يغدرون بذمـــــــــــة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشيـــــة ... إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقوله " لا يغدرون ولا يظلمون الناس " تعريض بـــهم إلـــى أنـــهم يغدرون ويظلمون ٠

وفي البيت الثاني كناية عن تأخرهم وكسلهم ٠ والغرض من البيتين الهجاء٠ وقد جاء التعريض بطريق الكناية ٠

والشاهد الآخر على التعريض بالكناية قول أبي نواس [2] :

فأعرض هيثم لما رآنـــــي ... كأني قد هجوت الأدعيـــــاء

فقد آليت لا أهجو دعيــــــا ... ولو بلغت مروءته السمـــاء

ففي البيت الأول تعريض بكون هيثم دعيا ٠

وفي البيت الثاني تهكم به ٠ كما قال ابن مالك [3] ٠

والشاهدان السابقان لم أجد من استشهد بهما على الكناية والتعريض ممن سبق ابن مالك ٠

---

(١) البيت للنجاشي ، العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ١٣٠ ٠

(٢) ديوان أبي نواس ، ص ٥٢٣ – تحرير التحبير ، ص ٤٤٦ ٠ " شاهد على التعليق "

(٣) انظر : المصباح ، ص ١٥٤ ٠

وقد طابقت هذه الشواهد ما أراده ابن مالك من التعريض بالكناية تمام المطابقة .

ويستشهد ابن مالك على اسم آخر من أسماء الكناية وهو التلويح . يقول : " ومتى لم يكن كذلك وكانت بعيدة أي الكناية سميت تلويحا كقوله[1]:

تقاعس حتى قلت ليس بمنجل ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب

أقام الصبح مقام الراعي الذي يذهب بالماشية ويجيء ، فلوح باستمرار الليل تلويحا عجبا في الجودة.[2]

ثم يقول " وإن كانت الكناية قريبة : فإن كانت حفية سميت رمزا ، كقوله يصف امرأة قتل زوجها [3]:

عقلت لها من زوجها عدد الحصى

مع الصبح أو مع جنح كل أصيل[4]

ولم أجد من استشهد بهذين الشاهدين قبل ابن مالك سوى ابن رشيق في العمدة .

ولا أغلو إن قلت إن ابن مالك قد نقلها عنه . فقد ذكرهما ابن رشيق في باب الإشارة .

---

(1) ديوان النابغة ، الذبياني . ت / محمد أبو الفضل إبراهيم . (بدون) ، ص ٤٠ – ورواية البيت " تطاول حتى قلت ليس بمنقض " العمدة ، ج١ ، ص ٥١٨ .

(2) المصباح ، ص ١٥٤ .

(3) البيت غير منسوب ، العمدة ، ج١ ، ص ٥١٩ .

(4) المصباح ، ص ١٥٤ .

الشاهد الأول على التلويح · والشاهد الثاني على الرمز · وهما نوعان من أنواع الإشارة عنده [١].

وتعليق ابن مالك على الشاهد الأول موافق لتعليق ابن رشيق – وذلك يؤكد نقله عنه ·

يقول ابن رشيق : " ومن أجود ما وقع في هذا النوع قول النابغة "

تقاعس حتى قلن ليس بمنجل   وليس الذي يرعى النجوم بآيب

" الذي يرعى النجوم ، يريد به الصبح ، أقامه مقام الراعي الذي يغدو ، فيذهب بالإبل والماشية ، فيكون حينئذٍ تلويحه هذا عجباً في الجودة " [٢].

" وقد عدّ ابن رشيق الكناية من المجاز · وخلط بينهما وبين الأساليب البلاغية الأخرى · فأشار إليها في أبواب متفرقة مختلفة حيث تحدث عنها في باب المجاز ، وفي باب الإشارة الذي يشتمل على الإيحاء ، والتفخيم ، والتعريض ، والكناية ، والتلويح ، والتمثيل ، والرمز ، واللمحة ، واللغز ، والتعمية ، والحذف ، والتورية ، والتتبع ·

ودرس ابن رشيق الكناية في باب التتبيع كذلك الذي هو قسم من أقسام باب الإشارة "[٣].

---

(١) انظر : العمدة ، ابن رشيق ، ص ٥١٨ – ٥١٩ ·

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٨

(٣) المجاز المرسل والكناية ، يوسف أبو العدوس ، (لبنان – بدون) ، ص ١٥٢ ·

ومن جيد أمثلة الرمز ما استشهد به ابن مالك في هذا الموضـــع ، وهو قول النابغة [1]:

فاحكم كحكم فتاة الحي إذ نـــظرت
إلى حمام سراع وارد الثمـــــــــد
يحفه جانباً نيق ويتبعـــــــــــه
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمــد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنـــــا
إلى حمامتنا أو نصفه فقـــــــــد
فكملت مائة فيها حمامتهـــــــا
وأسرعت حسبة في ذلك العـــدد

فرمز عدّة ما رأته الزرقاء هو ست وستون حمامة .

وهذه الأبيات استشهد بها ابن أبي الإصبع في باب الرمز والإيحـاء من كتابه " بديع القرآن " . وعلق عليها بقوله : " فإنه رمز عدّة الحمام التي رأتها الزرقاء وعدته ست وستون حمامة . فأخفى هذه العدّة ، ولـم يـدل عليها بصريح الدلالة ، ورمز الدلالة على عدّتها بهذا الطريق " [2].

[1] ديوان النابغة ، ص ٢٣ - الخصائص ، ابن جنى . ت / محمد على النجار . (بيروت - بدون) ، ج٢ ، ص ٤٦٠ .

[2] بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع . ت / حفنى محمد شرف . (مصر - بدون) ، ص ٣٢٢ .

الفصل الثالث

علم البديع

علم البديع

تمهيد :

" يغلب على الذوق الأدبي حب البديع والصنعة اللفظية حتى لتعدّ في أساس القيمة الأدبية التي جاء بها الشعراء المحدثون في العصر العباسي. فيتصدى شاعر رقيق الحس هو ابن المعتز فيؤلف كتابه " البديع" مقرراً فيه أن البديع عرفه العرب في جاهليتهم ، وجاء في أدبهم طبعاً وبلا تكلف وعلى قلة ، بينما هو في عصره إزداد وحشي به الشعر فجاء في الأغلب متكلفاً " [1].

وللبديع أهميته ومكانته بين علوم البلاغة . حيث أن دراسة العرب لفنون البديع كانت جزءاً من عمل كامل نشأ وتطور لحاجة واضحة لدى المسلمين ، ونعني بها حاجتهم إلى فهم النص القرآني الكريم ، ومعرفة أسراره وخصائصه ومناط الإعجاز فيه ، ومعنى ذلك أن البديع لم يكن دراسة هامشية لا قيمة لها ، بل كان لها مكانها في هذا المنهج العام . ومعناه أيضاً أن البديع نشأ نشأة عملية تتصل بالنصوص الحيَّة قبل أن يصل العلماء فيه إلى وضع المصطلحات الخاصة به[2] .

والسكاكي في مفتاحه لم ينظر في القسم الثالث من كتابة إلى " البديع " على أنه علم مستقل بذاته . ولم يعامله معاملة علمي المعاني

---

[1] البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، مصطفي الجويني ، ص ٧ .

[2] انظر : علم البديع نشأته وتطوره ، عبد الرازق زايد ، ص ٤١٢ .

والبيان ٠ ولم يعطه من العناية ما أعطاه لهما ٠ ومع ذلك هو أول من نظر إلى المحسنات البديعية وقسمها إلى محسنات معنوية ، وأخرى لفظية ٠ وهذا أمر يحسب بطبيعة الحال للسكاكي ، لأن من تقدموا عليه في بحث المحسنات البديعية كانوا يوردونها مختلطاً بعضها ببعض ، وقلما حاول أحدهم أن يفرق بين المعنوي واللفظي منهما كما فعل هو [١].

ولم يجعل السكاكي علم البديع علماً ثالثاً مستقلاً عن علمي المعاني والبيان بل جعله لاحقاً بهما فيقول : " وهناك وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ " [٢].

" وقد ربط السكاكي بين فنون البديع وبين علمي المعاني والبيان في الوظيفة وأخرجها من دائرتيهما ، وذلك أمر اقتضته طبيعة التقسيم والتحديد وتهذيب مسائل العلمين ٠ حيث لم يجد وفق منهجة مكاناً لهذه الفنون ، أو كأنما هي تأبت على الدخول في مفهوم العلمين فأختار أن تبقي على ما هي عليه طليقة من قيود العلم ٠ على أنها محسنات يصار إليها كثيراً لا دائماً واختياراً لا إلزاماً ٠ لذلك يعقّب بقوله " وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع ، أعني أن لا تكون متكلفة " [٣] .

---

[١] انظر : في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، ص ٢٧٦ ٠

[٢] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٣ ٠

[٣] مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء ، حامد الربيعى ، ص ٦٩٦ – ٦٧٠ ٠

وقد اقتصر السكاكي عند بحثه للبديع على ستة وعشرين فنّاً . وهي من البديع المعنوي : المطابقة ، المقابلة ، المشاكلة ، مراعاة النظير ، المزاوجة ، اللف والنشر ، الجمع ، التفريق ، التقسيم ، الجمع مع التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التقسيم والتفريق ، الإيهام ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، سوق المعلوم مساق غيره ، التوجيه ، الاعتراض ، الإستتباع ، الإلتفات ، تقليل اللفظ ولا تقليله . مما يدخل في بعض صور الإيجاز والإطناب .

ومن البديع اللفظي : الجناس ، رد العجز على الصدر ، القلب ، السجع ، الترصيع .

ثم يقول بعد سرده لهذه الألوان البديعيه التي اقتصر عليها " ويورد الأصحاب ههنا أنواعاً مثل كون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، أو البعض منقوطاً والبعض غير منقوط بالسَّوية . فلك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت ، وتلقّب من ذلك بما أحببت " [1].

وربما كان ذلك هو السبب في اقتصار السكاكي على الألوان البديعية التي ذكرناها آنفاً . حيث أنه يرجع ذلك إلى الذوق . وحيث من الممكن استخراج ألوان بديعية أخرى غير التي ذكرها .

" إلا أن البديع قد نال من طريقة السكاكي في القسم الثالث . هذا السرد القائم على الاكتفاء بتعديد الألوان وتحديدها وإردافها بمثال واحد

---

[1] المفتاح ، ص ٤٣٢ .

مشفوع بشرح موجز لا يكشف عن روعة الأساليب ، ولا ينبئ عن جلالها الأدبي الذي ينبغي أن يحتذي ، كما فعل عبد القاهر ومن تقدّمه ممن جمعوا بين البحث العلمي وحسن العرض الأدبي في البديع " [١] .

ولكن السكاكي وإن لم يفرد تلك الفنون بعلم مستقل فإنه بذلك الصنيع يفتح باباً كان مغلقاً لتمتد يد الحصر والاستقصاء والتقعيد إليها . فهو يفتح الباب أمام لاحقيه من متابعيه ممن لخصوا القسم الثالث من كتابه أو شرحوه ليضعوا اسماً لذلك الملحق [٢] .

ومن أولئك بدر الدين بن مالك الذي يعدّ أول من قسم البلاغة إلى ثلاثة علوم وجعل البديع قسماً مستقلاً بذاته وليس ملحقاً بعلمي المعاني والبيان ونظر إلى فنون البديع على أنها علم قائم بذاته سماه " علم البديع " . وتابع السكاكي وغيره في أن علمي المعاني والبيان مرجعهما إلى البلاغة وأن مرجع المحسنات البديعية إلى الفصاحة .

ولعل أهم شئ تميز به بدر الدين بن مالك هو توسعه في فنون البديع . فقد ذكر منها ثمانية وخمسين نوعاً .

" ولا شك أن بدر الدين بن مالك قد تأثر برجال البديع في عصره. فقد توسعوا في إحصاء أنواعه حتى تجاوزوا بها المائة . بل أن منهم من بلغ بها مائة وخمسة وعشرين نوعاً "

---

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية ، أحمد موسى ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢) انظر : مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء ، حامد الربيعي ، ص ٦٧٠ .

وقد أرجع ابن مالك فنون البديع التي عرض لها في كتابة إلى الفصاحة اللفظية والمعنوية ، ولكنه تفرد في تقسيم فنون البديع المعنوي إلى قسمين :

قسم يعود إلى الإفهام والتبيين ،

وقسم يعود إلى التزيين والتحسين ، "

وقد جاء كتاب المصباح بعد كتب البلاغة السابقة، ولا ننكر تأثر ابن مالك بمن سبقه من العلماء ، وخاصة في هذا القسم من كتابه وهو " علم البديع " ، إلا أننا نجد أن من أبرز العلماء الذين تأثر بهم ابن مالك هو ابن أبي الإصبع ، وبالأخص في كتابة " تحرير التحبير " حتى أنه ينقل عنه في كثير من المواضع نقلا حرفيا ،

" ويتميز تحرير التحبير بمحاولته في التوسع الإحصائي لفنون البديع ابتداءا من ابن المعتز حتى عصر المؤلف ، وثانيهما : اتساع مجال المصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب ، ولذلك يمكن أن يكون تحرير التحبير صورة لتطور المصطلح البديعي ، وللمقارنة بين المصطلحات لدى النقاد وعلى مر الزمن حتى عصر المؤلف ، كما أنه صورة لجهد المؤلف نفسه فيما استطاع أن يضيفه إلى هذا المصطلح "(١).

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، احسان عباس (دار الشروق – عمان) ، ص ٢١٢ ،

وقد أشار ابن أبي الإصبع في مقدمة كتابه إلى الكثير من الكتب البلاغية السابقة له وإلى مؤلفيها موضحاً من خلال ذلك سعة اطلاعه على ما جمعه السابقون له وما أضافوه إلى البلاغة ٠

ونجد أن ابن أبي الإصبع في " تحرير التحبير " قد جمع مائة وتسعة وعشرين فناً من فنون البديع منها ستة وتسعون فناً أخذها عن العلماء قبله كابن المعتز وقدامة وغيرهم حتى عصره ٠ ونسب إلى نفسه استنباط ثلاثين فنّاً ٠

فابن مالك اعتمد على كتاب له شأن في التأليف البلاغي ٠ وخاصة في علم البديع ٠ وأقول هنا أيضاً أنه اختار وعرف كيف يختار فقد اعتمد على كتاب من أفضل الكتب التي بحثت علم البديع وتوسعت فيه ٠

إلا أن ابن مالك لم يشر إلى كتاب " تحرير التحبير " لا من قريب ولا من بعيد ٠ مع أنه اعتمد عليه اعتماداً كبيراً في تأليف " المصباح " ٠

وقد تناولت في هذا الفصل مباحث علم البديع التي ذكرها ابن مالك في كتابه " المصباح " واحداً تلو الآخر ، مبينة ما نقله ابن مالك عن صاحب " تحرير التحبير " ٠ وما أضافه أيضاً إلى ما نقله عنه ٠ وأجتهدت في معرفة مصادر ابن مالك الأخرى التي أخذ عنها سواءاً فيما يتعلق بالتقسيمات أو التعريفات أو الشواهد ٠ والإشارة إلى ما تفرد به ابن مالك اعتماداً على ما وقع تحت يديّ من مصادر ٠

وأخيراً أقول في علم البديع ما قاله الدكتور / بكري شيخ أمين من أنه " علم في ظاهره لين الملمس ، ناعم المظهر ، رقيق الحواشي ، سهل بسيط ، لكنه في حقيقته غير ذلك .

ففيه الحزونة ، وفيه الاستعصاء ، وفيه المزالق ، والعقبات والمخاطر " (١)

---

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد " علم البديع " ، بكري شيخ أمين . (بيروت – ١٩٩١م) ، ص ٥ .

أولاً : فيما يرجع إلى الفصاحة اللفظية

- الترديد :

عرف بدر الدين بن مالك الترديد تعريفاً مشابهاً لتعريف صـــاحب تحرير التحبير فقال " أن تعلق الكلمة في المصراع أو مثله نثراً بمعنى ثـــم تعلقها فيه بمعنى آخر " (١) .

وقال ابن أبي الإصبع : " وهو أن يعلِّق المتكلم لفظة مـــن الكـــلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ويعلقها بمعنى آخر " (٢)

ونقل أيضاً من شواهده التي أوردها في هذا الباب ولكنـــه أوجـــز واختصر عند نقله عن ابن أبي الإصبع .
والترديد في قوله : مسّها ... مسّته .

ومن أمثله الترديد عندهما ، قول أبي نواس (٣):

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسّها حجر مسّته سّـــــراء

أما بالنسبة للشواهد التي أضافها إلى هذا النوع من أنواع البديع فهو قول الشاعر :

ليس ما ليس به بأس بـــاس
لا يضر المرء ما قال الناس

والترديد في البيت في قوله : ليس .... ليس ، بأس باس ... الناس .

---

(١) المصباح ، ص ١٦٢ - تحرير التحبير ، ص ٢٥٣ .

(٢) تحرير التحبير ، ص ٢٥٣ .

(٣) ديوان أبي نواس ، ص ٦٢ - تحرير التحبير ، ص ٢٥٤ - المصباح ، ص ١٦٢ .

ولم أعثر على هذا البيت في الكتب السابقة ولم أعرف قائله وقد تفرد به بدر الدين بن مالك في مصباحه ٠وقد استشهد به على اجتماع الترديد في مصراع واحد ٠

– التعطيف :

عرّف بدر الدين بن مالك التعطيف بقوله " أن تعلق الكلمة في موضع الصدر بمعنى ثم تعلقها فيما سوى العجز بمعنى آخر " [١] ٠

وقد اشتهر عند البلاغيين بالتعطيف ٠ كما جاء في تحرير التحبير والذي يقول " ثبت أن التعطف لا بد وأن تكون إحدى كلمتيه في مصراع والأخرى في المصراع الآخر ، ليشبه مصراعا البيت في انعطاف أحدهما على الآخر بالعطفين في كل عطف منهما يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر " [٢] ٠

ومن الشواهد التي ساقها بدر الدين بن مالك في هذا الباب قول الشاعر [٣] :

فساق إلي العرف غير مكدر　　　وسقت إليه المدح غير مذمم

---

[١] المصباح ، ص ١٦٤ ٠

[٢] تحرير التحبير ، ص ٢٥٧ ٠

[٣] ديوان المتنبي ، ج ٢ ، ص ٨٤ ٠

وقد اختاره من بين الشواهد التي ذكرها صاحب تحرير التحبير في هذا الموضع والذي أشار بعد ذكره له أنه أفضل بيت سمعه في هذا الباب[1].

ويدلنا ذلك على اهتمام بدر الدين بن مالك بالشواهد وانتقائها • وقد أضاف أيضاً إلى ذلك شاهداً آخر لم يرد في تحرير التحبير وهو قول الشاعر : [2]

إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى أضفى إلى الواشي فلج به الهجر

وقد استشهد به صاحب نهاية الإيجاز على المزاوجة [3] متابعاً في ذلك عبد القاهر الجرجاني في الدلائل حيث أشار إلى أن الشاعر في هذا البيت قد زاوج بين معنيين في الشرط والجزاء [4] وتابعهما في ذلك السكاكي والقزويني •

إلا أن بدر الدين بن مالك يستشهد بهذا البيت على التعطيف ولم يذكره عند حديثه عن المزاوجة • ويصلح هذا البيت أن يكون شاهداً على كلا الفنّين •

---

[1] تحرير التحبير ، ص ٢٥٨ •

[2] ديوان البحتري ، ص ٨٤٤ – دلائل الإعجاز ، ص ٩٣ •

[3] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص ٢٨٦ •

[4] دلائل الإعجاز ، ص ٩٣ •

– رد العجز على الصدر :

وقد بحثه بعض علماء البلاغة تحت اسم التصدير كابن رشـــيق [١] وابن منقذ [٢] وابن حجه الحمـــوي [٣] وبحثـــه ابـــن الأثـــير تحـــت اســـم التجنيس[٤].

وقد عرّفه بدر الدين بن مالك بقوله " أن تعلق الكلمة في موضـــع من صدر البيت وفقرة الكلمة بمعنى ثم تعلق في آخر العجز مثلاها بمعنـــى آخر " [٥] .

وهو في تعريفه هذا يبين أن هذا اللون البديعي يكون فـــي الشـــعر والنثر على السواء كما يتضح من تعريفه ، وقد قسمه إلـــى تســـعة أقســـام مخالفاً من سبقه في ذلك [٦] .

أما بالنسبة للشواهد ، فقد أثرى بدر الدين بن مالك هذا المحســـن اللفظي بالعديد من الشواهد ، فقد استشهد على كل قسم من الأقسام التســـعة التي ذكرها وقد أخذ هذه الشواهد عمن سبقه من علماء البلاغة وجمعها فـــي مصباحه ، فقول الشاعر[٧] :

سريعُ إلى ابن العم يشتم عرضه وليس إلى داعي الندى بسريـــع

---

[١] العمدة ، لابن رشيق ، ص ٥٧١ ،

[٢] البديع ، لأسامة بن منقذ ، ص ٥١ ،

[٣] خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، ص ٢٥٥ ،

[٤] المثل السائر ، لابن الأثير ، ص ٢٤١ ،

[٥] المصباح ، ص ١٦٥ ،

[٦] البديع ، لابن المعتز ، ص ٤٧ – الصناعتين ، ص ٤٠ – المفتاح ، ص ٤٣٠ – نهاية الإيجاز ، ص ١٣٤ ،

[٧] البيت للأقيشر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٥٠ ،

ورد عند ابن أبي الإصبع [1] وابن المعتز [2] وابن منقذ [3] وأبي هلال العسكري [4] .

والشاهد في قوله : سريع .. بسريع .

والكلمتان متفقتان في نفس المعنى واللفظ وتقع الأولى في أول الصدر . ونجد أن المغايرة في هذا الشاهد في التعلق وليس في معنى اللفظ . فسريع متعلق بالمبتدأ المحذوف في أول البيت . وفي آخره متعلقه بليس من حيث هي خبر عنها .

وأما قول الشاعر : [5]

سقى الرمل جون مستهل ربابة

وما ذاك إلا حب من حلّ بالرمل

فقد استشهد به صاحب تحرير التحبير والصناعتين والبديع لابن المعتز [6] في هذا الموضع .

وأما قول الشاعر :

ذوائب سود كالعناقيد أرسلت

فمن أجلها منا النفوس ذوائب

---

(1) تحرير التحبير ، ص ١١٦ .

(2) البديع ، لابن المعتز ، ص ٤٨ .

(3) البديع ، لابن منقذ ، ص ٥١ ، وروايته : سريع إلى ابن العم يجبر كسره وليس إلى داعي الخنا بسريع

(4) الصناعتين لأبي هلال ، ص ٤٠١ ، وروايته: سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الوغى بسريع

(5) ديوان جرير ، ص ٤٦

(6) تحرير التحبير ، ص ١١٦ – الصناعتين ، ص ٤٠١ – البديع ، لابن المعتز ، ص ٤٩ .

وقوله :

وما أن شبت من كبر ولكـــــــــن

لقيت من الأحبه ما أشابـــــــــــا

وقوله :

لعمري لقد كان الثريا مكانـــــــــه

ثراء فأضحى اليوم مثواه في الثـــرى

فقد استشهد بها الرازي في نهاية الإيجاز [1] على هذا اللون مـــن ألوان البديع ولعلمي أن هذه الشواهد الشعرية الثلاثة السابقة لم ترد في كتب البلاغة المتقدمة على بدر الدين بن مالك سوى في نهاية الإيجـــاز للـــرازي ويدلنا ذلك على اطلاع بدر بن مالك على نهاية الإيجاز واستفادته منه ٠

وأما قول الشاعر [2] :

وجوه لوان الأرض فيها كواكب توقد للساري لكانت كواكبـــــا

وقول الآخر :

لقد فاق في العدل البرية كلهـــا فليس له في الخافقين عـــــديل

فلم أجدهما في كتب البلاغة السابقة ٠ وإنما تفرد بدر الدين بن مالك في الاستشهاد بهما ٠

---

[1] نهاية الإيجاز ، في دراية الإعجاز ، ص ١٣٥ إلى ١٣٩ ٠

[2] أبو تمام ، ديوانه ، ج١ ، ص ١٤٧ ٠

ونقول هنا أنه كان الأولى ببدر الدين بن مالك أن يتوسع في ذكر معنى ردّ العجز على الصدر ويذكر مثلاً ما ذكره الخطيب القزويني حيث أضاف إلى اللفظين المكررين اللفظين المتجانسين أو الملحقين بهما ٠[١]

أو أن يذكر وجوه المشابهة الأربعة التي ذكرها الرازي ٠ وهي :

الأول : أن يشترك اللفظان صورة ومعنى ٠

الثاني : أن يشتركا صورة لا معنى ٠

الثالث : أن يشتركا في الإشتقاق ٠

الرابع : أن يشتركا في شبهه الإشتقاق ٠[٢]

وذلك حتى تتطابق الشواهد التى ذكرها مع المقصود برد العجز على الصدر٠

- التشطير :

عرف بدر الدين بن مالك التشطير تعريفاً موجزاً حيث يقول " أن يكون كل من شطري البيت سجعتين مخالفتين لأختيهما " [٣] وعرفه صاحب تحرير التحبير بقوله " هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرّع كل شطر من الشطرين لكنه يأتي بكل شطر مخالفاً لقافية الآخر ليتميز من أخيه فيوافق فيه الاسم المسمى " [٤] ٠

---

[١] الايضاح ، ج٦ ، ص ١٠٢ ٠

[٢] نهاية الإيجاز ، ص ١٣٤ ٠

[٣] المصباح ، ص ١٦٧ ٠

[٤] تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع ، ص ٣٠٨ ٠

أما صاحب الصناعتين والذي يشير محقق تحرير التحبير إلى أن التشطير من مخترعاته ، فيعرفه بقوله " هو أن يتوازن المصراعان والجزآن ، وتتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه واستغنائه عن صاحبه " [١] .

ويستشهد بدر الدين بن مالك هنا بشاهد شعري واحد وهو قول أبي تمام[٢] :

تدبير معتصم بالله منتقم   لله مرتقب في الله مرتغب

ويشير إلى أنه من أحسن ما قيل وجاء في ذلك . ولعله يتابع ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الذي استشهد بهذا البيت والذي أشار إلى أنه فضله على بيت مسلم الذي أورده كشاهد آخر[٣] .

ونجد أن بدر الدين بن مالك يعلل حسن هذا البيت بقوله " لتعلق التعطيف والترديد بالتشطير " [٤] أي في هذا البيت .

ونجد أن هناك اختلافا بين الرجلين في سبب تفضيل كل منهما لهذا الشاهد . إلا أنهما اجتمعا على تفضيله واستحسانه كشاهد على التشطير . فقد قسم الشاعر كل من شطري البيت إلى قسمين متناظرين عروضيا ومتفقان في القافية في كل شطر على حده .

---

[١] الصناعتين ، لابي هلال ، ص ٤٢٨ .

[٢] ديوان أبي تمام ، ج١ ، ص ٥٨ - تحرير التحبير ، ص ٣٠٨ - المصباح ، ص ١٦٨ - الإيضاح ، ج٦ ، ص ١١١ .

[٣] انظر : تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع ، ص ٣٠٨ .

[٤] انظر : المصباح ، ص ١٦٨ .

- **الترصيع :**

عرفه ابن مالك تعريفا مختلفا عن العلماء قبله ولم يذكر أنه يقوم على السجع أو أن أصله سجع [1] فيقول " أن يكون الأول من الفقرتين أو شطري البيت مؤلفا من كلمات مختلفة ، والثاني منهما مؤلفا من مثلها في الوزن والترتيب والتقفية لما سوى العروض " [2] ، ثم استشهد بشاهد من النثر وهو قول الخطيب " الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره ، وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره ، وموفق عبيده لمغانم ذكره ، ومحقق مواعيده بلوازم شكره"[3] .

ولعل بدر الدين بن مالك قد أخذ هذا الشاهد عن صاحب المثل السائر . ولم أجد من علماء البلاغة من استشهد به على الترصيع سوى ابن الأثير في كتابه المثل السائر .

ومن الشواهد التي ذكرها هنا أيضا قول الشاعر[4] :

وزند ندى فواضله ورى ... ورند ربى فضائله نضير

ولم أجد هذا الشاهد في الكتب التي ذكرت الترصيع واستشهدت عليه وإنما تفرد به ابن مالك في مصباحه .

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، ص ٣٠٢ – نقد الشعر ، قدامة ، ص ٤٠ – سر الفصاحة ، ص ١٦٠ .

(2) المصباح ، ص ١٦٨ .

(3) المصباح ، ص ١٦٨ – المثل السائر ، لابن الأثير ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(4) البيت لأبي الفتح المطرزي – الإيضاح ، ج٦ ، ص ١١١ .

- **التسجيع :**

عرف بدر الدين بن مالك التسجيع بقوله " أن يكون مقاطع شطر الأجزاء على سجع موافق للروي ومقاطع شطرها الآخر متداخلة للموافقه مسجوعة وغير مسجوعة "(١) ثم استشهد بشاهدين شعريين استشهد بهما صاحب تحرير التحبير في باب التسجيع ووردا أيضا في العمدة لابن رشيق باب التقسيم ، وهما **أولا** : المسجوعة ٠ وهو قول ديك الجن(٢) :

حر الإهاب وسيمه ، بر الإياب كريمه ، محض النصاب حميمه

ثانيا : غير المسجوعة ٠ وهو قول أبي تمام (٣):

تجلى به رشدي ، وأثرت به يدي وطاب به ثمدي وأورى به زندي

ثم نجده يذكر شاهدا آخر وهو قول الشاعر (٤) :

وكم نظرة بين السجوف كليلة ومحتضن شخت ومبتسم برد
ومن فاحم جعد ومن كفل نهد ومن قمر سعد ومن نائل ثمد
محاسن ما زالت مساو من النوى تغطى عليها أو مساو من الصد

موضع الشاهد في البيت الثاني حيث قسم الشاعر كل شطر إلى قسمين متماثلين وزنا وقافية ٠

---

(١) المصباح ، ص ١٦٨ ٠

(٣) ديوان ديك الجن ٠ ت / أحمد مطلوب – عبد الله الحيدري ٠ (بيروت – ١٩٦٤م)، ص ١٥١ – العمدة ، ج١ ، ص ٦١٢ – تحرير التحبير ، ص ٣٠٠ ٠

(٢) ديوان أبي تمام ، ج٢ ، ص ٦٦ – تحرير التحبير ، ص ٣٠٠ – الإيضاح ، ج٦ ، ص ١١٠ – العمدة، ج١ ، ص ٦١٢ ٠

(٤) ديوان أبي تمام ، ج٢ ، ص ١١١ ٠

ونلاحظ أن بدر الدين بن مالك قد تفرد بهذا الشاهد في مصباحه إذ لم أجد من استشهد به ممن سبقه في هذا الموضع ٠

– التجزئة :

لم يأت بدر الدين بن مالك بجديد عند بحثه للتجزئة وقد عرفها بقوله" أن تأتي مقاطع أجزاء البيت على سجعين متداخلين "[١] ٠

واستشهد بقول الشاعر [٢]:

هندية لحظاتها خطية   خطراتها دراية نفحاتها

وهذا البيت أول الشواهد التي ذكرها ابن أبي لإصبع بعد تعريفه للتجزئة الذي يقول فيه " وهو أن الشاعر يجزئ البيت من الشعر جميعه أجزاء عروضية ويسجعها كلها على رويين مختلفين جزء بجزء إلى آخر البيت الأول من الجزأين على روي مخالف لروي البيت والثاني على روي البيت"[٣]

وتعريف ابن أبي الإصبع تعريف دقيق للتجزئة وتابعه فيه ابن حجة الحموي في الخزانة [٤].

---

[١] المصباح ، ص ١٧٠ ٠

[٢] تحرير التحبير ، ص ٢٩٩ – خزانة الحموي ، ٤٣٧ ٠

[٣] تحرير التحبير ، ص ٢٩٩ ٠

[٤] الخزانة ، ابن حجة الحموي ، ج٢ ، ص ٤٣٧ ٠

- التسميط :

يعرف بدر الدين بن مالك التسميط بقوله : " أن تأتي بأجزاء البيت أو بعضها على سجع واحد مخالف للقافية حتى يكون تسميط العقد والأجزاء المسجوعة بمنزلة الحب المجتمع فيه " (١).

وقسم ابن مالك التسميط إلى ضربين : تسميط التبعيض وتسميط التقطيع متابعا في ذلك ابن أبي الإصبع وآخذا عنه شواهده التي أوردها في هذا الباب مثل قول الشاعر(٢) :

هم القوم إن قالو أصابو وإن دعو
أجابوا ، وإن أعطو أطابوا ، وأجزلوا

شاهدا على تسميط التبعيض ·

وقد أضاف شاهدين شعريين إلى ما أخذه عن تحرير التحبير في هذا الباب وهما قول الشاعر : (٣)

أفاد فساد وقاد فذاد   وشاد فجاد وعاد فأفضل

شاهدا على تسميط التقطيع ما كانت أجزاؤه متساوية ·

وقول الخنساء : (٤)

حامي الحقيقة محمود الخليقة   ميمون الطريقة نفاع وضرار

---

(١) المصباح ، ص ١٧٠ ·

(٢) البيت لمروان بن أبي حفصة · المصباح ، ص ١٧١ - تحرير التحبير ، ص ٢٩٥ ·

(٣) تحرير التحبير ، باب : الموازنة ، ص ٣٨٦ ، العمده ، لابن رشيق ، باب : التقسيم ، ص ٦١٦ ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضى علي بن عبد العزيز الجرجاني · ت / محمد أبو الفضل إبراهيم - علي البجاوي · (بيروت - بدون) ، ص ٣٣٨ ·

(٤) ديوان الخنساء · (بيروت - ١٩٨٣م) ، ص ٨١ - المثل السائر ، ج ١ ، ص ٢٦١ شاهدا على الترصيع - الصناعتين ، ص ٣٩٣ شاهدا على الترصيع

جواز قاصية جزار ناصية عقاد ألوية للجيش جرار

شاهداً على تسميط التبعيض ما كان سجعه مدمجاً .

فابن مالك قسم كلّ قسم من أقسام التسميط إلى قسمين . لذلك أضاف شواهد لكل قسم .

- المماثلة :

عرف ابن مالك المماثلة بقوله " أن يتعدد أو يتوحد في البيت أو نحوه مماثلة في الوزن والتقفية أو في الوزن فقط بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين " [١] .

فنلاحظ أنه يوافق ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير في المقصود بالمماثلة إلا أن ابن مالك عرفها تعريفاً أدق وأوضح من صاحب تحرير التحبير الذي عرفها بقوله " أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية " [٢].

ونجد أن ممن بحث المماثلة من السابقين لابن مالك وابن أبي الإصبع أبو هلال العسكري في الصناعتين ولكنه عدها من المحسنات المعنوية فيقول " أن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بلفظه تكون موضوعة لمعنى آخر " [٣] فالمماثلة عند أبي هلال العسكري تكاد تكون قريبة من الكناية .

---

[١] المصباح ، ص ١٧٢ .

[٢] تحرير التحبير ، ص ٢٩٧ .

[٣] الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص ٣٦٤ .

ومن شواهد ابن مالك هنا قوله تعالي : { **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** } [1] .

فالمماثلة هنا بين الأرض وبعض .

وهذه الآية الكريمة أتت من شواهد التسميط في بديع القرآن لابن أبي الإصبع [2].

ومن شواهد ابن مالك أيضاً على هذا المحسن اللفظي قول الشاعر[3] :

معتقة مصفقة عقارٌ   شآمية إذا مزجت مرَوَّح

وهذا الشاهد اختاره ابن مالك من بين شواهد ابن أبي الإصبع على هذا الباب حيث ذكره ابن أبي الإصبع بعد أن ذكر لنا الفرق بين المماثلة والمناسبة ، فيقول " والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المستويات في المماثلة وتفارقها في المناسبة " [4].

ثم يستشهد بهذا الشاهد ثم يقول :

أن هذا البيت من أقوى دليل على أن التقفية في المماثلة غير لازمة . ولعله السبب الذي جعله يختار هذا الشاهد لوضوحه ودلالته على معنى المماثلة .

---

(1) سورة الإسراء ، الآية ٥٥ .

(2) بديع القرآن ، ص ١٠٢ .

(3) لأبي ذؤيب الهذلي – ديوان الهذليين . (القاهرة – ١٩٦٥م)، ج١ ، ص ٦٩ – تحرير التحبير ، ص ٢٩٨ .

(4) تحرير التحبير ، ص ٢٩٨ .

ومما سبق عرفنا أن ابن أبي الإصبع يفرق بين المناسبة والمماثلة ويتابعه في ذلك ابن حجه في الخزانة [١] ، إلا أن ابن مالك لا يفرق بينهما إنما جعلهما شيئاً واحداً .

ويدلنا على ذلك الشواهد التي أضافها إلى شاهد المماثلة السابق الذكر حيث استشهد بقول أبي تمام [٢]

مها الوحشي إلا أن هاتا أوانِس   قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

وقول البحتري : [٣]

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا   وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

وهما من شواهد المناسبة عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير [٤] وعند ابن سنان في سر الفصاحة [٥] وابن حجة الحموي في خزانة الأدب [٦].

فبدر الدين بن مالك يرى أن هناك مماثلة في الأبيات بين

مها الوحشي - قنا الخط

إلا أن هاتا أوانس - إلا أن تلك ذوابل

وفي البيت الثاني بين : فأحجم - فأقدم

لما لم يجد - لما لم يجد

فيك مطمعا - عنك مهربا

---

[١] الخزانة ، لابن حجه ، ، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

[٢] ديوان أبي تمام ، ص ٢٢٦ – سر الفصاحة ، ص ١٧٠ – الخزانة ، لابن حجه ، ص ٣٧٠ .

[٣] ديوان البحتري ، ص ٢٠٠ .

[٤] تحرير التحبير ، ص ٣٦٨ – ٣٧٠ .

[٥] سر الفصاحة ، لابن سنان ، ص ١٧٠ .

[٦] خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، ص ٣٧٠ .

وهم يرون أن هناك تناسباً بين هذه الألفاظ في الأبيات أيضاً ٠

فبدر الدين بن مالك جعل من شواهد المناسبة شواهد على المماثلة عنده ولم ترد المناسبة في مصباحه كفن مستقل بذاته وهو يتفرد بذلك عن غيره فلم يفرق بينهما ، أو أنه لم يذكر المناسبة أصلاً ولم يعدها ضمن ألوان البديع التي ذكرها ٠

وأنا هنا أوافق ابن أبي الإصبع في تفريقه بينهما وللسبب الذي ذكره ونستطيع أن نستنبط الفرق بينهما بالنظر إلى شواهد كل منهما ٠

- التوشيع :

عرف ابن مالك التوشيع بقوله " أن تأتي في عجز الكلام بمثنى مفسر بمعطوف ومعطوف عليه مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة في البرد"(١)٠

ولعله استخلصه من تعريف ابن أبي الإصبع وصاغه على هذا النحو من الإيجاز والدّقه ٠يقول ابن أبي الإصبع :

" هو من الوشيعة ، وهي الطريقة في البرد المطلق ، فكأن الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره ، فإنه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ٠ وهو عند أهل الصناعة عبارة عن أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنّى في حشو العجز ، ثم يأتي تلوه باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى " (٢) ٠

(١) المصباح ، ص ١٧٣ ٠

(٢) تحرير التحبير ، ص ٣١٦ ٠

ثم أنه يستشهد بالحديث الشريف الوارد في هذا الباب في تحرير التحبير [١] وهو قوله ﷺ : " يشيب ابن آدم وتشّب فيه خصلتان ، الحرص وطول الأمل " .

إلا أنه لم يأخذ عن ابن أبي الإصبع شواهده الشعرية في هذا الباب لكنه استشهد بشاهد آخر على سجية تلك الشواهد وموافق لها ولمعنى التوشيع عنده .

وهو قول ابن الرومي : [٢]

إذا أبو قاسم جادت لنا يده	لم يحمد الأجودان : البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار عزته	تأخر الماضيان : السيف والقدر
من لم يبت حذراً من سطو صولته	لم يدر ما المزعجان : الخوف والحذر
ينال بالظن ما يعيا العيان به	والشهدان عليه : العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده	يدري عواقب ما يأتي وما يذر

ونجد أن هذه الأبيات وردت عند أبي هلال العسكري في الصناعتين وعند ابن منقذ في بديعه شاهدا على التطريز . فما سماه بدر الدين بن مالك توشيعا متابعا في ذلك ابن أبي الإصبع سماه أبو هلال العسكري تطريزا وتابعه في ذلك ابن منقذ في بديعه .

---

(١) انظر : تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع ، ص ٣١٦ .

(٢) المصباح ، ص ١٧٣ – العمدة ، لابن رشيق ، ج٢ ، ص ٧٩٣ – الصناعتين ، ص ٤٤٣ .
البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
البيتان الثاني والثالث كما في ديوان ابن الرومي ت ، حسين نصار ، ج ٣ ، ص ١٤٩ :

وإن أضاءت لنا أنوار غرته	تضاءل النيران : الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أوحد عزمته	تأخر الماضيان : السيف والقدر

- التطريز :

عرف بدر الدين بن مالك التطريز بقوله " أن يشتمل الصدر على ثلاثة أسماء : مخبر عنه ومتعلقين به ، ويشتمل العجز على الخبر مقيدا بمثله مرتين " [1].

فنجد أنه يشير إلى ما ذكره ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ولكن بشئ من الدقة والإيجاز حيث جاء تعريفه في سطرين من كتابه ومشتملا على المعنى المراد من التطريز الذي ذكره صاحب تحرير التحبير " وهو أن يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة الأولى "[2] .

ثم أخذ عنه ما جاء في هذا الباب من شواهد ، مثل قول ابن الرومي [3]:

أموركم بنى خاقان عندى ... عجاب في عجاب في عجاب

قرون في رؤس في وجوه ... صلاب في صلاب في صلاب

ونجد أن أبا هلال في الصناعتين يستشهد بأحد تلك الشواهد وهو قول الشاعر : [4]

---

(1) المصباح ، ص ١٧٤ .

(2) تحرير التحبير ، ص ٣١٤ .

(3) ديوان ابن الرومي . ت / حسين نصار . (مصر – ١٩٧٣م) ، ج١ ، ص ٣٥٣ – تحرير التحبير ، ص ٣١٤ – الطراز ، ج٣ ، ص ٩٢

(4) الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص ٤٣٢ – تحرير التحبير ، ص ٣١٥ – الطراز ، ج٣ ، ص ٩١ – لبديع ، لابن منقذ ، ص ٧٠ .

كأن الكأس في يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق

إلا أنه لم يرد عنده في باب التطريز وإنما في باب آخر وهو باب المجاورة وبمعنى مختلف تماما عن التطريز حيث يقول في تعريف المجاورة [١] " أنها تردد لفظين في البيت ، ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو المجاورة قريبا منها ، من غير أن تكون إحداهما لغوا لا يحتاج إليها " .

فما سماه بدر الدين بن مالك وابن أبي الإصبع تطريزا سماه أبو هلال مجاورة

وقد ذكر محقق تحرير التحبير أن للتطريز معنيين أحدهما ما جاء به صاحب الصناعتين والثاني ما جاء عند ابن أبي الإصبع وتابعه فيه ابن مالك .

ويقول " ما سماه أبو هلال تطريزا سماه ابن أبي الإصبع توشيعا والتطريز الذي ذكره ابن أبي الإصبع من جديده " [٢] .

ونشير هنا أيضا إلى أن ابن منقذ في بديعه قد جمع إلى شواهد التطريز الواردة عند صاحب الصناعتين الشواهد الواردة عند صاحب تحرير التحبير، فكأنه جمع بين كلا المعنيين عند أبي هلال وابن أبي الإصبع ومن تبعه كبدر الدين بن مالك .[٣]

---

[١] الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، ص ٤٣١ .

[٢] انظر : هامش تحرير التحبير ، تحقيق د. محمد حفني شرف ، ص ٣١٤ .

[٣] انظر : البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ، ص ٦٤ وما بعدها .

- التشريع :

عرف بدر الدين بن مالك التشريع بقوله " أن يأتي الشعر على ضربين فتكون لكل من أبياته قافيتان يصح المعنى في الاقتصار على الأولى منهما وفي زيادة الثانية عليها " (١) .

ونجد أنه أخذ هذا المعنى من سابقيه فصاحب تحرير التحبير والذي اعتمد عليه بدر الدين بن مالك بالدرجة الأولى في هذا القسم من كتابه يورد هذا اللون من ألوان البديع اللفظي إلا أنه يسميه التوءم " ويشير إلى أن من سماه بالتشريع هو الأجدابي في بديعه حيث يقول في ذلك : " وهذا الباب أيضا سماه الأجدابي التشريع وفسره بأن قال " هو أن يبني الشاعر البيت أو الناثر النثر على قافيتين إذا اقتصر على إحداهما كان البيت له وزن ، وإن كمله على القافية الأخرى كان له وزن آخر وتكون القافيتان متماثلتين ، وتكونان مختلفتين ، وهذه التسمية وإن كانت مطابقة لهذا المسمى فهى غير معلومة عند الكافة فسميته التوءم " (٢) .

إلا أن بدر الدين بن مالك يختلف مع ابن أبي الإصبع في التسمية حيث أنه سماه التشريع متابعا في ذلك الأجدابي في بديعه .

وهناك من تابع ابن مالك والأجدابي أيضا في هذه التسمية وهو الخطيب القزويني في التلخيص والإيضاح حيث يقول عند ذكره للمحسنات اللفظية :

---

(١) المصباح ، ص ١٧٥ .

(٢) تحرير التحبير ، ص ٥٢٢ .

" ومنه التشريع وهو بناء البيت على قافيتين يصح الوقوف على كل واحدة منهما " (1) .

وهناك من أنكر هذه التسمية وذكر أنها غير مناسبة لأن التشريع تقرير أحكام الشرع وقد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشرع المطهر وهؤلاء هم أصحاب شروح التلخيص .

حيث يقول سعد الدين التفتازاني " ومن البديع اللفظي التشريع أي النوع المسمى بالتشريع قيل أن تسميته بهذا لا تخلو من قلة أدب لأن أصل التشريع تقرير أحكام الشرع وهو وصف الباري أصالة ووصف رسوله نيابة فالأولى على هذا أن يسمى ببعض ما سمي به من غير هذه التسمية فإنه يسمى التوشيح وذا القافيتين والتسمية الأخيرة أصرح (2)" .
وتابعه صاحب عروس الأفراح في قوله . وقد أنكر هذه التسمية أيضا صاحب مواهب الفتاح (3) .

وهناك أيضا من سماه توشيحا كابن الأثير في المثل السائر حيث يقول : " وهو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فإذا وقفنا من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح " (4).

---

(1) الإيضاح ، ص ١١٤ - التلخيص ، ص ٤٠٥ .

(2) مختصر العلام ، سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ص ٤٦١ .

(3) انظر : شروح التلخيص ، ص ٤٦١ .

(4) المثل السائر ، لابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

وقد سماه العلوي أيضا توشيحا .[1]

وأنا أرى أن تسمية ابن أبي الإصبع له التوءم مناسبة جدا لأن الشاعر يبني بيته على قافيتين ووزنين من أوزان العروض .

ويشير محقق تحرير التحبير وبديع القرآن لابن أبي الإصبع الدكتور محمد حفني شرف إلى هذا المحسن اللفظي أنه بعلم العروض أولى ومن علم البديع براء [2] .

وأما بالنسبة للشواهد التي أوردها ابن مالك فهي شواهد ابن أبي الإصبع التي استشهد بها على هذا الباب [3] .

من مثل قول الشاعر [4] :

وإذا الرياح مع العشي تناوحت
هوج الرئال تتلنهن شمالا
ألفيتنا نقري العبيط لضيفنا
قبل النزال ونقتل الأبطالا

وموضع الشاهد هنا هو الوقوف على " الرئال " في البيت الأول ، و " النزال " في البيت الثاني .

---

(1) الطراز ، للعلوى ، ص ٧٠ .

(2) تحرير التحبير ، ص ٥٢٢ - بديع القرآن ، ص ٢٣١ .

(3) تحرير التحبير ، ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ - المصباح ، ص ١٧٥ - ١٧٦

(4) تحرير التحبير ، ص ٥٢٣ - المصباح ، ص ١٧٥ - خزانة الحموى ، ج١ ، ص ٢٦٧ - الطراز ، ج٣ ، ص ٧١ .

– الإلتزام :

تابع بدر الدين بن مالك ابن أبي الإصبع في تسميته لهذا النوع من أنواع البديع بالإلتزام [1] حيث نجد أن عبد الله بن المعتز في بديعه قد سماه " إعنات الشاعر نفسه في القوافي " [2] .

أما صاحب سر الفصاحة فقد سماه التزام ما لا يلزم في القوافي فيقول " وقد التزم بعض الشعراء في القوافي إعادة ما لا يلزمه طلبا للزيادة في التناسب والإغراق في التماثل " [3].

وقد سماه صاحب المثل السائر بلزوم ما لا يلزم حيث يقول في ذلك " وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه " [4] .

ونجد أن المتأخرين قد أكثروا من تعمده وكثر في شعرهم وأمثلته كثيرة .

وقد أشار بدر الدين بن مالك وغيره إلى أن أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان قد جمع في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم . أما بالنسبة للشواهد التي أوردها بدر الدين بن مالك على هذا المحسن اللفظي فقد أخذ بعضا من شواهد ابن أبي الإصبع الواردة في هذا الباب وأضاف إليها شواهد أخرى من عنده [5].

---

(1) المصباح ، ص ١٧٦ – تحرير التحبير ، ص ٥١٧ .

(2) البديع ، عبد الله بن المعتز ، ص ٧٤ .

(3) سر الفصاحة ، ص ١٧٩ .

(4) المثل السائر ، ج١ ، ص ٢٦١ .

(5) المصباح ، ص ١٧٦ – ١٧٨ – تحرير التحبير ، ص ٥١٧ – ٥١٩ .

وهي قول الشاعر [1]:

مضت لي من الأيام سبعون حجة ... وما أمسكت كفاي ثني عنان
ولا كان لي دار ولا ربع منزل ... ولا مسني من ذاك روع جنان
تيقنت أني هالك وابن هالك ... فهان علي الدهر والثقلان

وقول الشاعر الآخر [2]:

عنان يا منيتي وياسكني ... أما تريني أجول في سكك
ملكتني اليوم يا معذبتي ... فصيريني الغداة من فكك
وعجلي ذاك وارحمي قلقي ... ثم اكتبي لي الأمان في صكك

وقد لاحظت أن بدر الدين بن مالك قد تفرد بهذين الشاهدين ولم يردا عند غيره .

- التفويف :

عرف بدر الدين بن مالك التفويف بقوله " أن تأتي بمعان متلائمة في جمل مستوية المقدار أو متقاربة من قولهم ، ثوب مفوف للذي على لون وفيه خطوط بيض " [3] .

فبدر الدين بن مالك عرفه تعريفا مختصرا جمع فيه بين المعنيين في اللغة والاصطلاح ونجد أنه يتابع ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير حيث سمى

---

(1) غير معروف القائل .

(2) نسب بدر الدين بن مالك الأبيات إلى أبي نواس ، ولم أجدها في ديوانه .

(3) المصباح ، ص ١٧٨ .

هذا اللون " بالتفويف " ثم سار على ذلك العلماء من بعده ولم أعلم أن أحـــداً كتب عن هذا اللون وبهذا الاسم قبل ابن أبي الإصبع في تحرير التحبـــير[1] إلا أن صاحب الصناعتين بحثه تحت مسمى " جمع المؤتلف والمختلف "[2].

وقد قسم بدر الدين بن مالك التفويف إلى ضربين :

الأول ما جمله على المقاطع ، والثاني ما جمله مدمجه ۰ وقسمه إلى ثلاثـــة أقسام حيث أن جمله إما طوال وإما متوســـطة وإمـــا قصـــار ۰ ونجـــد أن الضرب الثاني الذي ذكره بدر الدين بن مالك هو ما ورد عنـــد ابـــن أبـــي الإصبع جملة في باب التفويف حيث يقول صاحب تحرير التحبير في حديثه عن التفويف [3].

" ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة "

ويقول صاحب المصباح " الضرب الثاني ما جمله مدمجة وهو ثلاثة أقســـام لأن جمله إما طوال وإما متوسطة وإما قصار "

ثم يستشهد ابن مالك بما استشهد به ابن أبي الإصبع علـــى ذلـــك [4]. ثـــم يضيف إلى القسم الثالث قوله إذا كانت الجمل قصاراً قول ديك الجن [5]:

أُحْلُ وأَمْرُرْ وَضُرْ وأنْفَعْ ولنْ وأخْـــ
شَنْ وُرُشْ وابرُ وانتدب للمعالـــــــي

وقول المتنبي [6]:

(1) تحرير التحبير ، ص ٢٦١ ۰

(2) الصناعتين ، ص ٤١٧ ۰

(3) تحرير التحبير ، ص ٢٦١ ۰

(4) المصباح ، ص ١٧٨ ۰

(5) المصباح – المثل السائر في المعاضلة اللفظية ، ص ٢٩٢ – ديوان ديك الجن ، ص ١٢٠ ۰

(6) ديوان المتنبي ، ج ٣ ، ص ٨٩ ۰

عِــشْ ابْــقَ اسْــمَ سُــدْ قَــدُ　　جُرْ ، مُرْ انْهُ ، ره فه اسر نـــل

عِظ ارْمِ صِــــبْ اصْــمُ اغْــزَ　　اِسْبِ رَع زع رَه له اثـــن بـــل

وهذه الشواهد ذكرها ابن رشيق في العمدة في باب التقسيم حيث يقول مشيراً إلى باب التقسيم " ثم أدخل المولدون في هذا الباب أشياء عدوها تقسيماً وتقطيعاً ثم يورد هذه الشواهد [1]. أما الضرب الأول من أضرب التفويف وهو ما جمله على المقاطع فقد أضافه بدر الدين بن مالك إلى ما أخذه عن ابن أبي الإصبع " أي الضرب الثاني " فجعل التفويف ضربين كما سبق أن ذكرت ، ولا أعلم لهذا الضرب مصدراً ولعله من جديد ابن مالك وشواهده هي :

قول الشاعر يصف سحاباً : [2]

يسربل وشياً من خزوز تطــوزت　　مطارفها طرزا من البرق كالتبر

فوشي بلا رقم ونقـــش بـــلا يـــد　　ودمع بلا عين وضحك بلا ثغـــر

وقوله : [3]

ومن عجب أن يحرسوك بخـــــادم　　وخدام هذا الحسن من ذاك أكـثر

عذارك ريحان وثغـــرك جوهـــر　　وخدك كـــافور وخـــالك عنـــبر

ولم أجد هذين الشاهدين عند أحد قبل ابن مالك فهما مما تفرد به في مصباحه .

---

(1) العمدة ، لابن رشيق ، ص ٦١٤ .

(2) البيت لأبي العباس الناشئ . المصباح ، ص ١٧٨ – الطــراز ، ج٣ ، ص ٨٦ – الإيضــاح ، ج٦ ، ص ٢٤ .

(3) المصباح ، ص ١٧٩ .

ومما سبق يتبين لنا أن ابن مالك يحاول أن يخالف من سبقه ومن عاصره من علماء البلاغة وأصحاب البديع الذين أخذ عنهم فيضيف الشواهد ويكثر من التقسيمات إذا تطلب الأمر ذلك وغرضه الزيادة في التوضيح والتبيين .

- الإطراد :

عرف بدر الدين بن مالك الإطراد بقوله " أن يولي الشاعر اسم ممدوحه ليزداد تعريفا أسماء آبائه على ترتيب صحيح ونسق غير مختل التسلسل من غير تكلف في النظم ولا تعسف في السبك ، حتى تكون الأسماء في تصدرها كاطراد الماء وسهولة انسجامه " [1] .

فتعريف ابن مالك للاطراد جاء موافقا لتعريف ابن أبي الإصبع . في معناه وفي لفظه وصياغته فلعله نقله عنه كما جاء في كتابه تحرير التحبير ، يقول ابن أبي الإصبع : " وهو أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا ، لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوقة صحيحة التسلسل غير منقطعة . من غير ظهور كلفه على النظم ، ولا تعسف في السبك ، بحيث يشبه تحررها باطراد الماء لسهولته وانسجامه"[2].

أما بالنسبة للشواهد التي أوردها بدر الدين بن مالك في هذا المبحث فهي مأخوذة عن ابن أبي الإصبع أيضا . والذي يدلنا على أنه قد نقلها عنه هو أن تعليقه على هذه الشواهد جاء موافقا لتعليق ابن أبي الإصبع عليها مع

[1] المصباح ، ص ١٨٠ .

[2] تحرير التحبير ، ص ٣٥٢ .

أنها وردت في كتب أخرى تحدثت عن هذا اللون من ألوان البديع كـالعمدة لابن رشيق (١) وبديع أسامة بن منقذ (٢) ، فبدر الدين بن مالك لم يخرج عن كلام ابن أبي الإصبع هنا وإنما نجده ينقل عنه بتصرف فحذف وأضاف إضافات بسيطة لبعض العبارات والشواهد .

فمن الشواهد التي اضافها بدر الدين بن مالك هنا إلى الشواهد التي نقلها عن ابن أبي الإصبع .

قول الشاعر (٣) :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن هشام

فهذا البيت استشهد به عبد القاهر الجرجاني في الدلائل على اللفظ والنظم وقد أشاد به (٤) ، وكذلك استشهد به الباقلاني في إعجاز القرآن على النظم (٥) .

– المزاوجه :

عرف بدر الدين بن مالك المزاوجة بقوله " أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بمتماثلين في أصل المعنى والاشتقاق " (٦) .

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ، ص ٦٩٨ .

(٢) البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ـ ص ٨٧ .

(٣) البيت لربيعة بن ذؤابه يرثي ابنا له .المصباح ، ص ١٨١ – الدلائل ، ص ٢٥٣ – الطراز ، ج٣ ، ص ٩٣

(٤) دلائل الإعجاز ، ص ٢٥٣ .

(٥) اعجاز القرآن ، للباقلاني . ت / أحمد صقر . (بدون) ، ص ٢٠٨ .

(٦) المصباح ، ص ١٨٢

وللرازي في نهاية الإيجاز تعريف آخر للمزاوجة والتي عدها من أوجه النظم حيث يقول في تعريفه لها " هي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء " [١].

ثم إن بدر الدين بن مالك يفرد المزاوجة بالبحث فبعد أن عرفها ذكر لها شاهدين : شاهدا من القرآن الكريم ، وشاهدا من الشعر ، وقد خالف من قبله من علماء البلاغة حيث أنهم لم يفردوها بالبحث ، فصاحب تحرير التحبير بحثها في باب التجنيس وعدها من أنواعه نقلا عن الرماني فيقول " حد الرماني التجنيس بأن قال " هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد في اللغة وجعله قسمين جناس مزاوجة وجناس مناسبة ". فالمزاوجة كقوله تعالى : { **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** } [٢]

وكقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣]

وتابعهما في ذلك الباقلاني في إعجاز القرآن الكريم [٤] فقد عدوها من أقسام التجنيس إضافة إلى أنهم لم يذكروا لها تعريفا وإنما استشهدوا عليها فقط .

---

(١) نهاية الإيجاز ، الرازي ، ص ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٤ .

(٣) تحرير التحبير ، ص ١٠٢ – النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ص ٩٩ .

(٤) إعجاز القرآن الكريم ، للباقلاني ، ص ٢٧١ .

– التجنيس :

" اعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام ، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ، لا سيما المحدثين منهم، وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة ، واختلفوا في ذلك، وادخلوا بعض تلك الأبواب في بعض ، فمنهم عبد الله بن المعتز ، وأبو على الحاتمي ، والقاضي أبو الحسين الجرجاني ، وقدامه بن جعفر الكاتب ، وغيرهم " [١]. ومن الذين بحثوا في التجنيس أيضا السكاكي في " المفتاح " وابن أبي الإصبع في " تحرير التحبير " وابن مالك في " المصباح " .

وقد عرف السكاكي التجنيس بقوله " هو تشابه الكلمتين في اللفظ"[٢] وذكر من أقسامه : التجنيس التام ، التجنيس الناقص ، التجنيس المذيل ، التجنيس المضارع أو المطرف ، التجنيس اللاحق ، التجنيس المشوش [٣]، والجناس المركب ، وجناس الاشتقاق " .

وعند بحث ابن مالك للتجنيس نراه يشير إلى قدامه وأنه قد سماه طباقا . ولم يشر إلى موقفه من هذه التسمية . ولم يذكر تعريف قدامه له وهو قوله " هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الإشتقاق " [٤]

---

[١] المثل السائر ، ابن الأثير ، ج١ ، ص ٢٤١ .

[٢] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٩ .

[٣] انظر : المصدر السابق ، ص ٤٢٩ – ٤٣٠ .

[٤] نقد الشعر ، قدامه ، ص ١٦٣ .

وعرفه ابن مالك بقوله " وهو أن تأتي في غير رد العجز على الصدر بلفظين بينهما تماثل في الحروف وتغاير في المعنى " [١].

ويرى ابن مالك هنا فرقا بين التجنيس ورد العجز على الصدر . وهو أن التجنيس تماثل في الحروف وتغاير في المعنى ، ورد العجز على الصدر تماثل في الكلمتين ولا بد أن تكون الأخيرة في آخر العجز .

وتعريف ابن مالك هذا جاء مطابقا لمعنى التجنيس ، ومشابها لتعريفات ابن مالك لألوان البديع الأخرى ، حيث أنه يجعل من العجز والصدر أساسا للكثير من تعريفاته حتى تتضح وتبين . من مثل تعريفه للتسهيم والمزاوجة والتطريز والتعطيف وغيرها من التعريفات الأخرى .

أما صاحب تحرير التحبير فقد ذكر تعريف الرماني للتجنيس فقال " حد الرماني التجنيس بأن قال : هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة " [٢] .

ثم ذكر تعريف قدامه ، وابن المعتز له ، وذكر أنه " أي الرماني " قد جعله قسمين : جناس مزاوجة ، وجناس مناسبة .

ثم بين أن هؤلاء العلماء وضعوا حدوده ولم يخرج من جاء بعدهم عن معنى الجناس . يقول " ولم يخرج من جاء بعد هؤلاء عما حدوه به . لكنهم فرعوه ثمانية فروع . وعلى هذا التفريع أكثر المتأخرين " [٣].

وابن أبي الإصبع من الذين قسموا الجناس إلى ثمانية أقسام . وكذلك ابن مالك في المصباح [٤] ، وابن منقذ في بديعه [٥] .

---

[١] المصباح ، ص ١٨٣ .

[٢] تحرير التحبير ، ص ١٠٢ .

[٣] المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

[٤] المصباح ، ص ١٨٣ إلى ١٩١ .

[٥] البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ١٢ إلى ٣٣ .

وقد ألفت فيه كتب مستقله " كجنان الجناس " للصفدي ، و " جنى الجناس " للسيوطي ٠

وقد كثرت شواهده في كتب البلاغة ، وتناقلها العلماء وتشابهت عند كل منهم ٠

وابن مالك من أوائل الذين أكثروا من أقسامه ، وأكثروا أيضا من الشواهد ٠ ويتفوق في كثرة شواهده على ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير عند بحثه لهذا اللون من ألوان البديع ٠

- المطابقة :

عرف ابن مالك المطابقة تعريفا موجزا جمع فيه بين معناها في اللغة والاصطلاح ولم يطل في حديثه عنها حيث يقول " أن يجمع في الكلام بين المتضادين من قولهم طابق الفرس إذا أوقع رجله في المشي مكان يده"[١]٠

فقد سار بدر الدين بن مالك على ما سار عليه معظم علماء البلاغة في معنى المطابقة ٠ فقد أجمعوا على أنها الجمع بين الشئ وضده ٠ حيث أن هناك من خالفهم كقدامة بن جعفر فقد أشار إلى ذلك صاحب الصناعتين فيقول " وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى كقول زياد الأعجم : [٢]

ونبئتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهل وسنام

---

[١] المصباح ، ص ١٩١ ٠

[٢] نقد الشعر ، قدامة ، ص ١٦٢ – الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص ٣١٦ ٥٠

وسمى النوع الأول التكافؤ ، وأهل الصنعه يسمون النوع الذي سماه المطابقة التعطف " [1]

وأشار إلى ذلك أيضا الباقلاني في إعجاز القرآن ، فيقول : ويرون من البديع أيضا" ما يسمونه " المطابقة " وأكثرهم على أن معناه أن يذكر الشئ وضده كالليل والنهار والسواد والبياض . وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي ، ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز، ثم يقول: " وقال آخرون : بل المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة ، وإليه ذهب قدامة بن جعفر الكاتب ثم ذكر قول زياد الأعجم الذي سبق ذكره [2].

وهناك من بحث المطابقة تحت مسمى آخر كابن منقذ في بديعه ، فقد بحثها تحت اسم التطبيق [3]، أما ابن الأثير فقد بحثها تحت اسم " التناسب بين المعانى " وعد المطابقة أحد أقسامه .[4]

فنلاحظ أن ابن مالك في مصباحه يتابع معظم علماء البلاغة قبله في التسمية ويتابعهم في معنى المطابقة إلا أنه قسمها إلى ثلاثة أضرب :
الأول : ما لفظاه حقيقتان ، وينقسم إلى طباق الإيجاب وطباق السلب . كقوله تعالى : { **وتحسبهم أيقاظا وهو رقود** } [5]
الثاني : ما لفظاه مجازان. كقوله تعالى : { **أو من كان ميتا فأحييناه** }[6] .

---

[1] الصناعتين ، أبي هلال العسكر ، ص ٣١٦ – وينظر : نقد الشعر لقدامة ، ص ١٤٣ ، ص ١٦٢ .
[2] إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص ٨٠ – ٨١ .
[3] البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ٣٦ .
[4] المثل السائر ، ابن الأثير ، ص ٢٦٤ .
[5] سورة الكهف ، آية ١٨ .
[6] سورة الأنعام ، آية ١٢٢ .

الثالث : ما كان أحد لفظيه حقيقة والآخر مجازا ۰ كقول أبي تمام :

له منظر في العين أبيض ناصع
ولكنه في القلب أسود أسفع[1]

ثم يستشهد على كل قسم بشاهد أو شاهدين فقط ۰ ولم يكثر ابن مالك هنا من الشواهد ۰ مقارنة بكتب البلاغة السابقة له والتي تعج بشواهد الطباق [2]، وإنما أوجز واختصر وأتى بشاهد أو شاهدين يدلان على كل قسم من الأقسام التي ذكرها ۰

ولعل ابن مالك في تقسيمه للطباق يحذو حذو ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير إلا أنه يختلف معه في التقسيم فابن أبي الإصبع يقسم الطباق إلى ضربين : ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة ، وضرب يأتي بألفاظ المجاز ، فما كان منه بلفظ الحقيقة سمي طباقا ، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا۰

ثم يقسم الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة إلى ثلاثة أقسام : طباق الإيجاب ، طباق السلب ، وطباق الترديد ۰[3]

---

(1) ديوان أبي تمام ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ۰

(2) انظر : البديع ، عبد الله بن المعتز ، ص ٣٦ – العمدة ، ابن رشيق ، ص ٥٧٦ – البديع ، أسامة بن منقذ ، ص ٣٦ – الصناعتين ، أبي هلال العسكري ، ص ٣١٦ – المثل السائر ، ص ٢٦٤ – سر الفصاحة ، ص ١٩٩ ۰

(3) انظر : تحرير التحبير ، ص ١١١ ۰

- المقابلة :

بحث بدر الدين بن مالك المقابلة ضمن المحسنات اللفظية [1] في حين نرى أن السكاكي بحثها في القسم الأول وهو البديع المعنوي [2].

ولم يختلف بدر الدين بن مالك عند بحثه للمقابلة عن العلماء السابقين له لا من حيث التسمية ولا من حيث المعنى إلا أن له تعريفاً يختلف عن التعريفات الأخرى التى سبقته ٠

يقول معرفاً " المقابلة : أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعداً ثم تعطف عليه متضمن أضدادها أو شبه أضدادها على الترتيب ، فإن اختل كانت مقابلة فاسدة " [3].

فابن مالك هنا يجعل العطف أساساً في المقابلة وقد جاءت شواهده مطابقة لتعريفه هذا تمام المطابقة فلم يخل شاهد من حرف العطف ٠

وأرى أن العطف ليس شرطاً في صحة المقابلة ٠ فلم أجد من أشار إليه في تعريفات السابقين ، من مثل تعريف قدامه الذي يعرف المقابلة بقوله " وهي أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض ، أو المخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، أو يشترط شروطاً ، ويعدّد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدّده ، وفيما يخالف بأضداد ذلك" [4] ٠

---

[1] المصباح ، ص ١٩٢ ٠

[2] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٣ ٠

[3] المصباح ، ص ١٩٢ ٠

[4] نقد الشعر ، ص ١٣٣ ٠

وعرفها السكاكي بقوله " وهي أن تجمع بين شـيئين متوافقيـن أو أكثر ، وبين ضديهما ، ثم إذا اشرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده " [١]

وعرفها ابن أبي الإصبع بقوله " صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي ، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتـى بأضدادها في عجزه على الترتيب " [٢].

أما شواهد ابن مالك على هذا اللون البديعي فهي موجودة في كتـب البلاغة السابقة له ، كالصناعتين ، والعمدة لابن رشيق ، وتحرير التحبـير . إلا أننا نلاحظ أنه أخذ من الشواهد ما يتفق مع تعريفه كما سبق وذكـرت . فلم تخل شواهده من حرف الواو العاطف .

- التدبيج :

عرف ابن مالك التدبيج بقوله " أن تذكر في المعنى من المـدح أو غيره ألواناً لقصد الكناية أو التورية " [٣] ثم يستشهد على ذلك .

فابن مالك يتابع ابن أبي الإصبع في إيراده لهذا اللون مـن ألـوان البديع ضمن بديع كتابة المصباح وحيث أشار ابن أبي الإصبع إلى أن هـذا اللون من مخترعاته وأنه لم يسبقه إليه أحد . فابن مالك لم يأت هنا بجديـد فقد تابعه في تعريفه وفي تسميته لهذا اللون بالتدبيج[٤] .

---

[١] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٤ .

[٢] تحرير التحبير ، ص ١٧٩ .

[٣] المصباح ، ص ١٩٥ .

[٤] انظر : تحرير التحبير ، ص ٥٣٢ .

يقول صاحب تحرير التحبير معرفاً التدبيج :

" وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألواناً يقصـــد الكنايــة بــها أو التوريــة بذكرها".

أما شواهد ابن مالك على هذا الفن البديعي فهي موافقـــة لشـــواهد صاحب تحرير التحبير وقد نقل ابن مالك ثلاثة من شواهد ابن أبي الإصبـــع منها قول أبي تمام [1]:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتـــى

لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وأنا أرى أن له فضل التسمية فقط . أما ما جاء تحت هذا المسمى فقد سبقه إليه علماء البديع ، فالتدبيج كما هو واضح من الأمثلة هو الكنايـــة والتورية ، ويتضح ذلك أيضا من خلال تعريفه للتدبيج . وقد أشار الخطيب القزويني إلى ذلك في الإيضاح .[2]

وأن التدبيج أيضا هو ما جاء عند ابن سنان فـــي ســـر الفصاحـــة وسماه المخالف وعده من الطباق .

وأنا في رأيي هذا أتفق مع محقق تحرير التحبير د/ حفني محمـــد شرف الذي أشار في الحاشية إلى ذلك نافيا أن يكون هذا اللون من ألـــوان البديع من مخترعات ابن أبي الإصبع وإنما له منه التسمية فقط .

---

[1] ديوان أبي تمام ، ج٤ ، ص ٨١ - تحرير التحبير ، ص ٥٣٥ .

[2] الإيضاح ، ج ٦ ، ص ١٣ .

- **المشاكلة :**

عرف ابن مالك المشاكلة بقوله " أن تذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه موقعه " [1] . ونعود هنا إلى مفتاح العلوم للسكاكي ونجده يذكر هذا اللون من ألوان البديع ، ونجد أن ابن مالك ينقل عنه هذا التعريف ويتابعه في شواهده التي استشهد بها أيضا . إلا أنه يخالفه من حيث التصنيف فبدر الدين بن مالك يرجع المشاكلة إلى الفصاحة اللفظية إلا أن السكاكي عدها من البديع المعنوي [2] .

أما ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير والذي اعتمد عليه ابن مالك في المقام الأول في قسم البديع من كتابه نجد أن له تعريفا آخر للمشاكلة ، وأطال في حديثه عنها أيضا وأكثر من الشواهد ولعله انفرد بهذا اللون في ذلك الباب عن غيره من العلماء وقد أشار إلى ذلك محقق تحرير التحبير[3].

- **التسهيم .**

اختلف العلماء في تسمية التسهيم . فمنهم من بحثه تحت اسم التوشيح كقدامة في نقد الشعر ولم يفرق بينهما[4]، وكصاحب الصناعتين[5].

---

(1) المصباح ، ص ١٩٦ .

(2) المفتاح ، ص ٤٢٤ .

(3) انظر : تحرير التحبير ، ص ٣٩٣ – ٣٩٩ – وانظر : هامش تحرير التحبير ، تحقيق د. حفني محمد شرف، ص ٣٩٣ .

(4) نقد الشعر ، لقدامة ، ص ١٦٨ .

(5) الصناعتين ، ص ٣٩٧ .

وهناك من بحثه تحت اسم الارصاد كالقزوينى[1] وابن الأثير[2] . ويقول ابن سنان في سر الفصاحة " وبعض الناس تسمى هذا الفن من الشعر التوشيح وبعضهم يسميه التسهيم "[3].

وقد فرق بدر الدين بن مالك بين التوشيح والتسهيم وبحث كلا منهما بحثا مستقلا متابعا ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير .

وقد عرف ابن مالك التسهيم تعريفا دقيقا واضحا يعرف منه ما بينه وبين التوشيح من فرق إذ يقول :
" التسهيم أن يكون صدر الفقرة أو البيت أو شطره مقتضيا لعجزة ودالا عليه دلالة تستدعي المجئ به ليكون الكلام في استواء أقسامه واعتدال أحكامه كالبرد المسهم في استواء خطوطه " [4].

وقسمه إلى قسمين : " ما دلالته لفظية ، وما دلالته معنوية " متابعا ابن أبي الإصبع في تقسيمه .

وقد استشهد ابن مالك بالكثير من الشواهد الشعرية على هذا المحسن البديعي والتي نجدها في الكتب البلاغية السابقة له كالعمدة لابن رشيق[5] ، وتحرير التحبير[6] ، والصناعتين[7].

---

[1] الإيضاح ، ج ٦ ، ص ٢٤ .
[2] المثل السائر ، ج٢ ، ص ٣٢٩ .
[3] سر الفصاحة ، ص ١٦٠ .
[4] المصباح ، ص ١٩٧ .
[5] العمدة ، ج١ ، ص ٦١٦ إلى ٦٢٠ .
[6] الصناعتين ، ص ١٤٨ .
[7] تحرير التحبير ، ص ٢٦٣ إلى ٢٦٧ .

ونذكر مثالا لذلك وهو شعر جنوب أخت عمرو ذي الكلب وهو[1]:

فأقسمت ياعمرو لو نبــــهاك إذا نبـــها منـــك داءا عضــــــالا
إذا نبــها ليــث عريســــــة مقيتـــا مفيـــدا نفوســـا ومــــــالا
وخرق تجــاوزت مجهولـــة بوجنـــاء لا تتشـــكى الكــــلالا
فكنت النـــهار بـــها شمســـه وكنت دجى الليل فيـــها الـــهلالا

وقد اجتمع في هذا الشاهد القسمان اللذان ذكرهما ابن مالك ٠ وهما ما دلالته لفظية ، وما دلالته معنوية ٠ فالبيت الأول والرابـــع مـــن القســـم الأول٠ وعجز البيت الثاني والبيت الثالث من القسم الثاني ٠

وهذه الأبيات قد اجتمع فيها ضربا التسهيم ٠
فالبيت الأول والرابع من الضرب الأول ٠ وعجز البيـــت الثـــاني والبيـــت الثالث من الضرب الثاني ٠ وهي من أبرز شواهد التسهيم ٠

*   *   *

وقد أحسن ابن أبي الإصبع في التفريق بيـــن التســـهيم والتوشـــيح حيث يقول : -
" والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه :
أحدهما أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره ، ويعلم مقطعة من حشوه من غير أن تتقدم سجعه النثر ولا قافية الشعر ، والتوشيح لا تعرف السجعة والقافية منه إلا بعد أن تتقدم معرفتهما ٠

---

(1) العمدة ، ج١ ، ص ٦١٦ – ٦١٧ ٠ تحرير التحبير ، ص ٢٦٣ ٠ المصباح، ص ١٩٨ ٠

والآخر أن التوشيح لا يدلك أوله إلا على القافية فحسب ، والتسهيم يدل تارة على عجز البيت وطورا على ما دون العجز ، بشرط الزيادة على القافية ٠ والثالث : أن التسهيم يدل تارة أوله على آخره ، وطورا آخره على أوله بخلاف التوشيح "[1] ٠

– التوشيح

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ٠ ولهذا سموه التوشيح فإنه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح"[2] ٠

وقد عرفه قدامة بقوله :

" وهو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به ، حتى أن الذي يعرف قافيه القصيدة التي البيت منها ٠ إذا سمع أول البيت عرف آخره ٠ وبانت له قافيته "[3] ٠

وقد أشار ابن أبي الإصبع إلى قدامة وإلى معنى التوشيح عنده ٠ فقال " سمي هذا الباب توشيحا لكون معنى أول الكلام يدل على لفظ آخره ٠ فيتنزل المعنى منزلة الوشاح ، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العائق والكشح اللذين يحول عليهما الوشاح ٠ وهذا الباب مما فرعه قدامة أيضا من

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٢٦٧ ٠

(2) خزانه الحموي ، ج١ ، ص ٢٢٢ ٠

(3) نقد الشعر ، قدامة ، ص ١٦٨ ٠

ائتلاف القافية مع ما يدل على سائر البيت ، وقال : " هو أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، أو من لوازم لفظه " [1].

وقد تبع ابن مالك صاحب تحرير التحبير في توضيحه لمعنى التوشيح ولم يخرج عن كلامه . إذ يقول :

" التوشيح أن يكون في الصدر كلمة إذا علم معناها علمت منه قافية البيت لكونه من جنس معنى القافية أو ملزوما له . سمي بذلك لأن دلالة أول ما في الكلام على ما في آخره تنزل المعنى منزلة الوشاح وأول الكلام وآخره بمنزلة العاتق والكشح الذي يحول عليهما " [2].

وقد استشهد ابن مالك بشاهدين من ضمن شواهد ابن أبي الإصبع وهما من أشهر شواهد هذا الفن البديعي .

أولهما : قوله تعالى : { **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** }[3].

أما الشاهد الثاني فهو قول الشاعر[4] :

وإن وزن الحصى فوزنت قومي
وجدت حصى ضريبتهم رزينا

وهذا الشاهد الشعري من أبرز شواهد التوشيح عند علماء البلاغة. وقد علق عليه ابن مالك موضحا إياه بقوله : -

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٢٢٨ .

(2) المصباح ، ص ١٩٩ .

(3) سورة آل عمران ، آية ٣٣ .

(4) البيت للراعي النميري ، تحرير التحبير ، ص ٢٢٩ . نقد الشعر ، ص ١٦٨ . الصناعتين ، ص ٣٩٨ . العمدة ، ج١ ، ص ٦١٧ . خزانة الحموي ، ج١ ، ص ٢٢٢ .

" فإن السامع متى فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وعلم أن القافية نونية مردفه مطلقة بالألف علم أن القافية رزينا ولا بد " [1] .

ويقابلة تعليق ابن أبي الأصبع الذي يقول :

" فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى ، وتحقق أن القافية مجردة مطلقة ، رويها النون وحرف اطلاقها ألف ، ورأى في صدر البيت ذكر الزنة ، تحقق أن القافية تكون رزينا ليس إلا " [2]

- القلب :

بحث ابن مالك القلب ضمن المحسنات البديعية الراجعة إلى الفصاحة اللفظية وقد وافق السكاكي في ذلك والذي عد القلب من البديع اللفظي . وقد قسم السكاكي القلب إلى مقلوب الكل ومقلوب البعض ، مقلوب مجنح ومقلوب مستو [3].

وهو في هذا التقسيم يتابع الرازي في نهاية الإيجاز الذي قسم القلب إلى هذه الأقسام الأربعة [4] .

واستشهد كل من السكاكي والرازي على هذه الأقسام واتفقا في بعض الشواهد واختلفا في البعض الآخر ، أما ابن مالك فقد تابع السكاكي والرازي في هذه الأقسام إلا أنه أضاف قسما خامسا تفرد به عنهما سماه التبديل وقد جعله أول الأقسام ذكرا وبدأ به حديثه عن القلب فقال " القلب : هو أصناف

---

(1) المصباح ، ص ٢٠٠ .

(2) تحرير التحبير ، ص ٢٢٩ .

(3) المفتاح ، ص ٤٣١ .

(4) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص ١٤٠ .

منها التبديل وهو عكس الكلمات في الترتيب ، كقولهم كلام الملوك ملـــوك الكلام ومثله قول المتنبي [1].

فلا مجد في الدنيا لمن قل مالـــه ‏ ‏ ‏ ‏ ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال تعالى { **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** }[2].

أما بالنسبة للشواهد التي استشهد بها ابن مالك على القلب فقد سبقه في الاستشهاد بها الرازي والسكاكي ، ما عدا ما استشهد بـــه علـــى قلـــب البعض .

وهو قول الشاعر [3] :

وقالوا أي شئ منه أحلـــــــــى ‏ ‏ ‏ ‏ فقلت المقلتان المقتـــــــــلان

وما استشهد به على القلب المجنح وهو قول الشاعر[4] :

لاح أنوار الندى مـــــــــــن ‏ ‏ ‏ ‏ كفه في كل حــــــــــــال

وأضاف إلى شواهد القلب المستو قول الشاعر :

عج تتم قربك وعد آمنـــــــا ‏ ‏ ‏ ‏ إنما دعد البرق منتجـــــــــع

وهو بيت غير معروف القائل ولعله مصنوع كما أشار إلـــى ذلـــك محقـــق المصباح .

---

(1) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص ٢٣ - الطراز ، ج٣ ، ص ٩٥ - البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ٢٧٨ .

(2) سورة يونس ، الآية ٣١ .

(3) الطراز ، ج٣ ، ص ٩٥ .

(4) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٩٥ .

وأشير هنا إلى أن القلب من المحسنات البديعية التي بحثها ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ولم يرجع إليه ابن مالك وإنما رجع إلى المفتاح وإلى نهاية الإيجاز .

وقد بحث أسامة بن منقذ القلب في بديعه ولكن المقصود به على خلاف ما جاء عند ابن مالك والسكاكي والرازي فهو عنده " أن يقصد شيئا ويكون المقتضى بضد الشئ " [1] .

---

[3] البديع ، أسامة بن منقذ ، ص ١٧٦

فيما يرجع إلى الفصاحة المعنوية ، ويختص بإفهام المعنى وتبيينه، وهو تسعة عشر نوعاً :

- حسن البيان :

أشار السيوطي في عقود الجمان إلى ابن مالك وبحثه لحسن البيان فقال " الثالث عشر : حسن البيان زاده في المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعاً له ، قال وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة ، قال ويكون مع الإيجاز والإطناب " [١].

فالسيوطي يرى أن ابن مالك متفرد بهذا الفن ولم يسبق إليه إلا أننا نرى أنه متابع لصاحب تحرير التحبير الذي بحث هذا الفن البديعي وبنفس المسمى عند ابن مالك [٢]. إلا أن تعريف ابن مالك يختلف عن تعريف ابن أبي الإصبع لكنه يدور معه في نفس المعنى ، يقول ابن مالك " هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة " [٣] ويقابله تعريف ابن أبي الإصبع وهو قوله " حسن البيان عبارة عن الإبانة عمّا في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة عن اللبس " [٤] ، ونشير هنا إلى أن الرماني أول من ذكر هذا الفن في رسالته النكت في إعجاز ضمن أقسام البلاغة العشرة التي ذكرها .[٥]

فابن مالك لم يأت بجديد هنا واقتصر على ما جاء في تحرير التحبير ولكن بشئ من الإيجاز والإقتضاب ، فبعد أن عرّف حسن البيان

---

[١] شرح عقود الجمان ، السيوطي ، ص ١٥٧ ،

[٢] تحرير التحبير ، ص ٤٨٩ - المصباح ، ص ٢٠٤ ،

[٣] المصباح ، ص ٢٠٤ ،

[٤] تحرير التحبير ، ص ٤٨٩ ،

[٥] النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ص ١٠٧ ،

قسمه إلى حسن ومتوسط وقبيح • ومثل لذلك ، ثم أشار إلى أنه يجئ مع الإطناب كما يجئ مع الإيجاز •

وعند استشهاده يختار من شواهد تحرير التحبير • فعندما أشار إلى مجئ حسن البيان مع الإيجاز استشهد بقول الشاعر [1].

له لحظات عن حفافي سريره إذا كرها فيه عقاب ونائل

أما عندما يجئ مع الإطناب فاستشهد بأبيات للحزين الكنائي في عبد الله بن عبد الملك بن مروان [2].

لما وقفت عليه في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة الناس عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياءا ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

وهذه الأبيات مثال للبيان الحسن حيث أطنب الشاعر في مدح ممدوحه بهذه الخصال كلها •

- الإيضاح :

الإيضاح أحد الأبواب التي استنبطها ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير • ولم يسبقه إليها أحد وقد أشار هو إلى ذلك في كتابه • وقد عرف الإيضاح بقوله " أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية

---

(١) البيت لابن هرمه ، تحرير التحبير ، ص ٤٩١ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٠ •

(٢) نقد الشعر ، ص ٦٤ – تحرير التحبير ، ص ٤٩٢ •

كلامه " [1] ، ثم أثرى هذا الباب بالشواهد الشعرية والقرآنية مع شرحه وتوضيحه لها ،

وقد تبع ابن مالك صاحب تحرير التحبير وأخذ عنه هذا اللون البديعي وعده مما يختص بإفهام المعنى وتبيينه ، وهو ما يرجع إلى الفصاحة المعنوية ، وقد أوجز واختصر عما جاء في تحرير التحبير ،

وأما جديده فهو تقسيمه للإيضاح ، حيث قسمه إلى إيضاح الموجه وإيضاح خفي الحكم ، وجاء ذلك ضمن تعريفه للإيضاح الذي يقول فيه " أن ترى بكلامك لبسا لكونه موجها أو خفي الحكم ، فتعمده بكلام يوضحه ويبين المراد " [2]، ثم ذكر شاهدا على إيضاح الموجه وهو قول الشاعر[3]:

يذكرنيك الخير والشر كله ... وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل
فألقاك عن مكروهها متنزها ... وألقاك في محبوبها ولك الفضل

ثم استشهد على ايضاح خفي الحكم بقول ابن حيوس [4] :

ومقرطق يغني النديم بوجهه ... عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقد اختار ابن مالك هذين الشاهدين من بين شواهد ابن أبي الإصبع على هذا الباب ، واكتفى بهما شواهد على القسمين اللذين ذكرهما ،

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٥٥٩ ،

(2) المصباح ، ص ٢٠٥ ،

(3) الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٢ – الخزانة ، ابن حجه الحموي ، ج٢ ، ص ٣٨٣ ،

(4) الإيضاح ، ج ٦ ، ص ٤٣ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٣ – الخزانة ، ابن حجة الحموي ، ج٢، ص ٣٨٣ ،

إلا أنه قصر هنا في أنه لم يذكر المقصود بكون الكلام موجها أو خفي الحكم إلا أن يستنبط القارئ ذلك من خلال الشواهد التي ذكرها .

ولعله قصد من إيضاح خفي الحكم ما ذكره ابن أبي الإصبع في قوله " وقد يكون الإيضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ، ولا هجاء . وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يقع التعجب منه ويشكل الأمر فيه . ثم يوضح ذلك الإشكال بأن يخبر عنه ما يفهم منه كشف اللبس عن الجزء الأول[١] " . ثم استشهد بقول ابن حيوس الذي سبق ذكره .

أما الإيضاح الموجه فيتضح معناه من تعريف الإيضاح الذي سبق ذكره وهو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس ، ثم يوضحه في بقيه كلامه .

ولعل ابن مالك له فضل التسمية فقط لهذين القسمين . وقد تبع العلوي في الطراز ابن مالك في تقسيمه للإيضاح. وقد استشهد بما استشهد به ابن مالك إلا أنه أحسن في تعليقه على الشواهد وبين كيف يكون الإيضاح الموجه وإيضاح خفي الحكم من خلال الشواهد [٢].

المذهب الكلامي :

بحث ابن المعتز هذا اللون من ألوان البديع في الباب الخامس من كتابه فقال : " الباب الخامس من البديع وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ

---

(١) تحرير التحبير ، ص ٥٥٩ .

(٢) الطراز ، العلوي ، ج٣ ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

المذهب الكلامي وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " [١].

ولقد تابع صاحب الصناعتين ابن المعتز عند بحثه للمذهب الكلامي حيث أنه لم يستشهد بشيء من القرآن. [٢]

وهناك من المتأخرين من خالف ابن المعتز في زعمه أنه لا يوجد منه شئ في القرآن • كصاحب تحرير التحبير حيث يقول : " وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز وهو محشو منه " [٣].

أما ابن مالك في مصباحه فقد أنكر زعم الجاحظ فقال : " وأول من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ وزعم أن ليس في القرآن منه شئ ولعله إنما عنى القسم المنطقي فإن الجدلي في القرآن كثير " [٤].

فنلاحظ أن ابن مالك في المصباح قد قسم المذهب الكلامي إلى قسمين جدلي ومنطقي • وهو في تقسيمه هذا يتفرد عن غيره من العلماء الذين تناولوا هذا اللون البديعي حيث أنه لم يقسمه أحد إلى قسمين سوى بدر الدين بن مالك في المصباح • إذ يقول : " المذهب الكلامي أن تورد مع الحكم ردا لمنكره حجة على طريق المتكلمين أي صحيحة مسلمة الإستلزام• وينقسم إلى منطقي وجدلي • فالمنطقي ما كانت حجته برهانا يقيني التأليف

---

[١] البديع ، ابن المعتز ، ص ٥٣ •

[٢] الصناعتين ، ص ٤٢٦ •

[٣] تحرير التحبير ، ص ١١٩ •

[٤] المصباح ، ص ٢٠٦ •

قطعي الاستلزام . والجدلي ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان"[1] .

فبدر الدين بن مالك في تقسيمه هذا يجمع بين رأيين مختلفين .
الأول : هو رأي الجاحظ ومن تبعه كابن المعتز في أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شئ في القرآن الكريم .
الثاني : رأي علماء آخرين منهم ابن أبي الإصبع ، في أنه وجد بكثرة في القرآن الكريم .

فبدر الدين بن مالك يشير إلى أن القسم المنطقي هو ما قصده الجاحظ ، حيث أنه ليس في القرآن منه شئ . أما ذكر في القرآن منه فهو القسم الجدلي .

أما بالنسبة للشواهد التي ذكرها ابن مالك فهي من شواهد ابن أبي الإصبع على هذا الباب [2] . وأضاف ابن مالك إلى الشواهد قوله تعالى : { **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض** } [3] .
وهذه الآية التي ذكرها ابن مالك من أبرز شواهد المذهب الكلامي وجاءت مطابقة للقسم الجدلي الذي ذكره ابن مالك تمام المطابقة . وقد أشار الباقلاني إلى هذه الآية في أنها نهاية في الحجاج " [4] .

---

(1) المصباح ، ص ٢٠٦ .
(2) انظر : تحرير التحبير ، ص ١١٩ إلى ١٢٢ .
(3) سورة المؤمنون ، آية ٩١ .
(4) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص ٢٨٣ .

ونجد أن البهاء السبكى عند بحثه للمذهب الكلامي يذكر تقسيم ابن مالك له ٠ ويناقش ذلك فيقول : " وهو أن يورد المتكلم حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ٠ وينقسم إلى قياس اقتراني واستثنائي واستقراء وتمثيل وهو القياس المذكور في الأصول وإنما لم يسموه المنطقي لأن هذا المذهب أصله كما ذكره ابن مالك عبارة عن نصب حجة صحيحة أما قطعية الاستلزام فهو منطقي أو ظنية فهي جدلية ، غير أنه قد يقال أيضا أن أهل الكلام مطالبهم قطعية فكيف تسمى الحجة الظنية كلاميه ٠ وجوابه أنهم ربما يذكرون الحجة الظنية ليحصل من مجموعها القطع كقوله تعالى : { **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** } ٠

فإن هذه مقدمة استثنائية ذكر فيها المقدمة الشرطية وتقديره لكنهما لم يفسدا ، فلم يكن فيهما آلهة ، فالمقدمة الثانية استثناء نقيض ٠ [١]

ومن خلال كلام السبكي يتأكد لنا أن بدر الدين بن مالك هو صاحب هذا التقسيم ، وأنه قد أحسن في ذلك ٠

– التبيين :

بحث بدر الدين بن مالك التبيين ضمن المحسنات المعنوية ، تحت اسم " التبيين " ٠ وهناك من العلماء من سماه " بالتفسير " أو " صحة التفسير [٢]" أما ابن أبي الإصبع فقد بحثه في باب صحة التفسير والتبيين ٠

---

[١] عروس الأفراح ، السبكى ، ج٤ ، ص ٣٦٩ ٠

[٢] انظر : بديع ابن منقذ ، ص ٧٢ – سر الفصاحة ، ص ٢٧٠ – الصناعتين ، ص ٣٥٥ – إعجاز القرآن ، للبلاقاني ، ص ٩٥ – نقد الشعر ، قدامة ، ص ١٣٥ – العمدة ، ابن رشيق ، ج ١ ، ص ٦٢١ ٠

وقد أطلق ابن مالك على التبيين اسم " تفسير الخفي " . وتفرد أيضا بتقسيمه إلى ضربين :
الأول : تبيين أحد ركني الإسناد بالآخر .
الثاني : تبيين أحد ركني الإسناد أو غيره بالنعت أو نحوه .

ونجد أن هناك علاقة بين البلاغة والنحو ، وهناك علاقة بين النعت وبين التبيين والتوضيح. " فالنعت يأتي لأغراض بلاغية منها : أن يكون الغرض البلاغي من الوصف هو الكشف عن معنى الموصوف وإيضاحه وزيادة بيانه لدرجة قد تصل إلى تحديد الموصوف تحديدا تاما . ومن ثم يتبين قيمة الوصف في بعض أغراضه التي يساق من أجلها . وأنه لم يأت عبثا أو نافلة ، وإنما جاء لغرض بلاغي معين يفوق مجرد إيصال المعنى إلى ذهن المخاطب . فالغرض الذي تأتي من أجله الصفة هو الكشف والتوضيح ، وذلك إذا كان الموصوف معرفة " [١] .

فنجد أن تقسيم ابن مالك للتبيين يدل على العلاقة بين النحو والبلاغة ، وعلى علاقة النعت بالتبيين . وهذه العلاقة فطن إليها ابن مالك. وجاء تقسيمه للتبيين قائما على إلمامه بالنحو . فهو عالم نحوي إلى جانب علمه وبحثه في البلاغة .

أما شواهد ابن مالك التي استشهد بها على أقسام التبيين فقد سبقه إليها العلماء من قبله وهي من شواهد ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير

---

[١] فن البلاغة ، عبد القادر حسين ، (مصر – بدون) ، ص ٢١٣ .

.. وقد صنف ابن مالك هذه الشواهد تحت أقسام التبيين . فالقسم الأول وهو تبيين أحد ركني الإسناد بالآخر . استشهد بقول الشاعر (١)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحق والقمر
يحكى أفاعيله في كل نائبة   الغيث والليث والصمصامة الذكر

والشاهد هنا في تفسير ما أجمله وهو لفظه ثلاثة حيث فصله في الشطر الثاني ، ثم فسره في البيت الثاني .

أما القسم الثاني وهو : تبيين أحد ركني الإسناد أو غيره بالنعت فاستشهد بقول الرومي (٢) :

آراؤكم ووجوهكم سيوفكم   في الحادثات إذا دحون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح   تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقد علق عليه ابن مالك بقوله " وقد أحسن ما شاء في جودة التركيب واستيفاء أقسام ما ذكره الله تعالى من منافع النجوم " (٣) .

وقد استحسن ابن أبي الإصبع هذا الشاهد وعلق عليه بقوله " وهذا أفضل ما سمعته في باب التفسير من الشعر ، فإنه راعى فيه الترتيب أحسن مراعاة ، فلو كمله بأن يستوعب فيه أقسام منافع النجوم ، بأن يضيف إلى ما

---

(١) البيتان لمحمد بن وهيب ، تحرير التحبير ، ص ١٩١ - الطراز ، ج٣ ، ص ١١٥ - الإيضاح ، ج٣ ، ص ١٣٦ .

(٢) الإيضاح ، ج ٦ ، ص ٤٣ - الطراز ، ج٣ ، ص ٨٨ .

(٣) المصباح ، ص ٢٠٩ .

ذكره سقياها الأرض ، حصل في بيته صحة التقسيم مع صحة التفسير ، وإن كان هذا غير لازم للشاعر ، لكنه لو اتفق له ذلك كان أحسن " [١].

ونجد أن ابن مالك قد أحسن في الاستشهاد بهذا الشاهد حيث أنه وافق هذا القسم من أقسام التبيين تمام الموافقة ٠

أما الشاهد الثاني الذي ذكره ابن مالك في هذا القسم فهو قول الفرزدق [٢] :

لقد خنت قوما لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت منهم معطيا أو مطاعنا وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والشاهد في البيتين في قوله : " حاملا ثقل مغرم " فسره بقوله : [تلقى فيهم معطيا ومطاعنا] ، وقوله : " طريد دم " فسره بقوله : [تلقى فيهم مطاعنا] ٠

وقد استشهد به ابن أبي الإصبع على وقوع التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط ٠

وقد علق ابن رشيق في العمدة على هذا الشاهد بقوله " وهذا جيد في معناه ، إلا أنه غير مرتب ، لأنه فسر الآخر أولا ، والأول آخرا ، فجاء

---

[١] تحرير التحبير ، ص ١٨٩ ٠

[٢] ديوان الفرزدق ٠ (بيروت – ١٩٨٧ م) ، ج٢ ، ص ١٨٧ ٠

فيه بعض التقصير والإشكال ، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب ، والأبعد على الأبعد أصح في الكلام " [1] .

فنجد أن شواهد ابن مالك التي ذكرها من أفضل الشواهد على هذا اللون البديعي التي استشهد بها العلماء .

- **التتميم .**

لم يختلف ابن مالك في بحثه للتتميم عمن سبقه من علماء البلاغة الذين بحثوه وساقوا له الكثير من الشواهد ، إلا أنه قسمه إلى قسمين على غرار تقسيم ابن أبي الإصبع له . يقول ابن مالك في التتميم : " وهو ضربان :

الضرب الأول : تتميم المعاني ، وهو تقييد الكلام بتابع أو فضله أو نحوها لقصد المبالغة أو الصيانة عن احتمال الخطأ .

كقول زهير [2]:

من يلق يوما على علاته هرما
يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله " على علاته " تتميم للمبالغة .

الضرب الثاني : تتميم الألفاظ ويسمى حشوا . وهو ما يقوم به الوزن ولا يحتاج إليه المعنى . ويستحسن منه ما أدمج فيه ضرب من البديع [3].

(١) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٢٢ .
(٢) ديوان زهير ، ص ٥٣ .
(٣) المصباح ، ص ٢١٠ – ٢١١ .

فابن مالك هنا يتابع ابن أبي الإصبع الذي قسم التتميم إلى قسمين [1]٠وأرى أنه لا حاجة إلى ذكر القسم الثاني حيث أنه يتعلق بالأوزان الشعرية ٠ ولكن نقول يمكن أن يستحسن كما قال ابن مالك إذا أدمج فيه ضرب من البديع ٠ كقول المتنبي [2] الذي استشهد به ابن مالك :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه　　　يا جنتي لرأيت فيه جهنما

فإنه لما تم له المعنى ، واحتاج في الوزن إلى مثل يا جنتي ، تمم به ، فحصل منه ومن القافية على طباق حسن ، ولو قال مثلا :
يا منيتي ، فتمم الوزن فقط ، لكان مستهجنا معيبا ٠ كالذي في قول أبي تمام[3]:

خذها ابنه الفكر المهذب في الدجى

والليل أسود رقعة الجلباب

أما شواهد ابن مالك على هذا اللون البديعي فقد كثر الإستشهاد بها في كتب البلاغة السابقة له ، كالعمدة لابن رشيق الذي وجدت عنده جميع شواهد الضرب الأول عند ابن مالك[4] وغيره من كتب البلاغة الأخرى ٠ وقد أجاد ابن مالك في استشهاده حيث استشهد على كل قسم بثلاثة شواهد شعرية جاءت مطابقة لذلك القسم تمام المطابقة ٠

ونجد أنه متأثر في الدرجة الأولى بصاحب تحرير التحبير إلا أنه خالفه في التسمية حيث سمى ابن أبي الإصبع هذا الباب بـ " باب التمام "

---

(1) انظر : تحرير التحبير ، ص ١٢٧ ٠

(2) ديوان المتنبي ، ج٤ ، ص ٢٨ – المصباح ، ص ٢١١ – الطراز ، ج١ ، ص ١٠٦ ٠

(3) ديوان أبي تمام ، ج١ ، ص ٩٠ ٠

(4) العمدة ، ابن رشيق ، باب : التتميم ، ج١ ، ص ٦٤٥ ٠

وقد ذكر أن الذي سمَّاه التتميم هو الحاتمي [١] ، إلا أن اسم التتميم عــــرف عند معظم علماء البلاغة وساروا على هذه التسميه ،

- التقسيم :

عرف ابن مالك التقسيم بقوله " أن تتعلق نسبة منطوق الكــــلام أو مفهومه بمعنى له أقسام عندك ، أو في نفس الأمر فتورد فـــي الذكــر مــا يستوعبها من متعلق تلك النسبة أو مغن عنه ، غير مقتصر على ذكر بعض الأقسام ولا مكتف بالإجمال " [٢] .

وقد عرفه قدامة بقوله :

" هي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها "[٣].

وقريب منه تعريف ابن أبي الإصبع حيث يقول : " وصحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً " [٤].

أما الشواهد التي ذكرها ابن مالك هنا فقد جاءت موافقة لشواهد ابن رشيق في العمدة [٥] وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير [٦]، وهذه الشواهد هي :

---

(١) تحرير التحبير ، ص ١٢٧ .

(٢) المصباح ، ص ٢١٢ .

(٣) نقد الشعر ، لقدامه ، ص ١٣١ .

(٤) تحرير التحبير ، ص ١٧٣ .

(٥) العمدة ، ص ٥٩٩ .

(٦) تحرير التحبير ، ص ١٧٦ – ١٧٨ .

قول الشاعر عمرو بن الاهتم : (١)

اشربا ما شربتما فهذيـــــل   من قتيل أو هارب أو أسيـــر

وقد استوعبت أقسام خبر هذيل كما يقول ابن مالك ٠

وبيت الحماسة :(٢)

فهبها كشئ لم يكن أو كنازحٍ   به الدار أو من غيبته المقابر

وقول نصيب : (٣)

فقال فريق القوم لا ، وفريقهم   نعم وفريق أيمن الله ما ندرى

وقد ورد هذا الشاهد عند كثير من علماء البلاغة وأشادوا بجودتـــه وأنه من جيد التقسيم ٠

وهناك بيتان لعمر بن أبي ربيعة ذكرهما ابن مـــالك فـــي شـــواهد التقسيم وقد أعجب ببراعة الشاعر فيهما وجودة تقســـيمه فقـــال : " وكمـــا استوعب ما أغنى عن أقسام المفعول له ٠ لتهيم عمر بن أبي ربيعة وهمـــا قوله : (٤)

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامــــــع
ولا الحبل موصول ولا أنت تقصر

ولا قرب نعم إن دنت لك نافـــــع
ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبـــــر

(١) العمدة ، ج١ ، ص ٥٩٩ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٨

(٢) ديوان عمرو بن أبي ربيعة ، ص ٧٠ - العمدة ، ج١ ، ص ٦٠١ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٨ ٠

(٣) العمدة ، ج١ ، ص ٦٠١ - الصناعتين ، ص ٣٥٠ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٨

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعه ، ص ٦٤ - العمدة ، ج١ ، ص ٦٠٥ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٧٠ ٠

بدليل أنك لو أتيت بلفظ لأنه مكان فاء العطف ، كان المعنى صحيحاً " [1] .

ويشير صاحب تحرير التحبير إلى أن قول عمر بن أبي ربيعه هذا من النادر في صحة الأقسام ولعل السبب هو ما ذكره ابن مالك فابن أبي الإصبع لم يبين السبب في ندرة هذا الشاهد [2] .

ويقول العلوي في ذلك :

" فانظر إلى استيعابه جميع متعلقاته قوله " تهيم " بحيث لو عددها بحرف العطف لكان ذلك صحيحاً جامعاً " [3] .

- الاحتراس .

بحث ابن رشيق في العمدة الاحتراس وعدَّه ضرباً من التتميم وساوى بينهما [4].

أما ابن أبي الإصبع فقد أفرد له باباً في تحرير التحبير وعرفه بقوله : " هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل . فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك " [5].

ويتابع بدر الدين بن مالك ابن أبي الإصبع في إفراده للاحتراس بالبحث إلا أن تعريفه جاء أكثر تفصيلاً من تعريف ابن أبي الإصبع .

---

[1] المصباح ، ص ٢١٤ .

[2] تحرير التحبير ، ص ١٧٨ .

[3] الطراز ، للعلوى ، ج٣ ، ص ١٠٧ .

[4] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٤٥ .

[5] تحرير التحبير ، ص ٢٤٥ .

يقول ابن مالك معرفاً الاحتراس : " أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فتراه مدخولاً بعيب من جهة دلالة منطوقة أو فحواه فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ "، ومثال ذلك ما جاء في حديث أم زرع " المس مس أرنب والريح ريح زرنب وأغلبه والناس يغلب " ٠ فإنها لو اقتصرت على قولها وأغلبه لقيل لها إن رجلاً تغلبه المرأة لضعيف مغلب ، فيصير المدح مشوباً بالقدح ، فزادت والناس يغلب ، فناسبت بين قرائنها بجملة تضمنت الاحتراس ٠ [1]

أما شواهد ابن مالك على الاحتراس فيبدو أنه قد نقلها عن صاحب تحرير التحبير في هذا الباب فتعليق ابن مالك على الشاهدين اللذين نقلهما موافق لتعليق صاحب تحرير التحبير ٠

ولنذكر أحد هذين الشاهدين للتمثيل ٠ وهو قول الخنساء[2] :

ولولا كثرة الباكين حولي　　　على إخوانهم لقتلت نفسي

يقول ابن مالك : " ففطنت لتوجه أن يقال لها قد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس ٠ فلم فرطت في الجزع عليه ؟ فاحترست بقولها

وما يبكون مثل أخي ولكن　　　أعزّي النفس عنه بالتأسّي

أما ابن أبي الإصبع فيقول : " ومن أمثال هذا الباب الشعرية قول الخنساء في أخيها صخر :

ولولا كثرة الباكين حولي　　　على إخوانهم لقتلت نفسي

---

(1) المصباح ، ص ٢١٥ ٠

(2) ديوان الخنساء ، ص ١٥٣ – البديع في نقد الشعر ، ابن منقذ ، ص ٥٦ ٠

ثم تخيلت أن قائلاً قال لها : لقد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس ، فكيف أفرطت في الجزع عليه دونهم ؟ فاحترست من ذلك بقولها:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسّي

- التكميل .

ذكر ابن مالك تعريفاً للتكميل قريباً من تعريف ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير إلا أنه كان وافياً ومعرفاً لمعنى التكميل على أكمل وجه . فيقول : " التكميل : أن تأتي في شئ من الفنون بكلام تراه ناقصاً لكونه مدخولاً بعيب من جهة دلالة مفهومه . فتكمله بجملة ترفع عنه النقص ، مثل أن تجيد مدح رب السيف بالكرم دون الشجاعة ، أو رب القلم بالبلاغة دون سداد الرأي ونفاذ العزم ، فتراه ناقصاً ، فتذكر معه كلاماً يكمل المدح ويرفع إيهام الذم " (1) .

يقول صاحب تحرير التحبير في باب التكميل : " وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، فيكمّله بمعنى آخر ، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى مدحه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً غير كامل ، فكمّله بذكر الكرم ، أو بالبأس دون الحلم، وما أشبهه " (2) .

---

(1) المصباح ، ص ٢١٦ .

(2) تحرير التحبير ، ص ٣٥٧ .

ومما يجعل تعريف ابن مالك وافيا بمعنى التكميل هو أنه يذكر السبب الذي يجعلك ترى الكلام ناقصا يحتاج إلى تكميل ، وهو : " كون الكلام مدخولا بعيب من جهة دلالة مفهومه "٠ وهذا ما لم يذكره ابن أبي الإصبع في تعريفه ٠ فلم يدع ابن مالك مجالا للتساؤل عما أحدثه النقص في الكلام ٠

وقد انطبق تعريف ابن مالك هذا على شواهده التي ذكرها وطبقه أيضا وبين كيف دخل النقص هذه الشواهد وما أضافه لها التكميل من كمال المعنى والمفهوم وهذه الشواهد التي ذكرها من أبرز شواهد التكميل وهما قول كعب بن سعد الغنوني [١]:

حليم إذا ما الحلم زين لأهله   مع الحلم في عين العدو مهيب

رأى أن وصفه الممدوح في الشطر الأول بمجرد الحلم غير واف بالغرض، لأن من لم يعرف عنه إلا الحلم ربما طمع فيه عدوه ، فينال منه ما يذم به ٠ فكمله بقوله :مع الحلم في عين العدو مهيب ٠

وقول السموءل [٢] :

وما مات منا سيد في فراشا   ولا طل منا حيث كان قتيل

رأى أنه قد وصف قومه بالصبر في الشطر الأول من البيت فكمله بقوله : ولا طل منا حيث كان قتيل ٠

---

[١] المصباح ، ص ٢١٦ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٠٩ - تحرير التحبير ، ص ٣٥٨ - الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢١٢ ٠

[٢] المصباح ، ص ٢١٧ - تحرير التحبير ، ص ٣٥٨ - الطراز ، ج٣ ، ص ١١٠ - الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢١١ ٠

وهما من شواهد ابن أبي الإصبع في باب التكميل .

وأما قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له يقول فيه " إني وليك الذي لم تزل تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لدي الرغبة مطلبا ولدي الرهبة مهربا " فلم أجد من استشهد به على التكميل قبل ابن مالك .

- التذييل .

يقول ابن مالك في معنى التذييل " أن تأتي بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق ، لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومة " [١] . ويكاد يكون تعريفه هذا قريبا من تعريف صاحب تحرير التحبير إلا أن تعريف ابن مالك كان أكثر دقة وترابطا وتوضيحا لمعنى التذييل .

يقول ابن أبي الإصبع في باب التذييل : " وهو أن يذيل المتكلم كلامه بجمله يتحقق فيها ما قبلها من الكلام ، وتلك الجملة على قسمين : قسم لا يزيد على المعنى الأول ، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق . وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله " [٢].

ولا يخفى أن ابن مالك قد اطلع على معنى التذييل عند ابن أبي الإصبع وحاول أن يصوغه بأسلوبه ويجعله أكثر ترابطا .

---

[١] المصباح ، ص ٢١٧ .

[٢] تحرير التحبير ، ص ٣٨٧ .

أما بالنسبة لشواهد ابن مالك فقد استشهد في البدء بثلاث آيات من القرآن الكريم نجدها عند صاحب الصناعتين ، اقتصر عليها دون سواها عند ذكره لأمثله التذييل من القرآن الكريم [1] مثل قوله تعالى : { **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور** } [2] .

ثم استشهد ابن مالك بأربعة شواهد شعرية نجدها من ضمن شواهد ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير مثل قول المتنبي [3] :

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه

فما يقول لشئ ليت ذلك لي

الشاهد أن الأماني لا تصل إلى مدى غاياته وآماله فهو لا يتمنى أمنية لأنه يدرك أكثر ما يتمناه أمثاله فلا تجده يتمنى شيئا يناله .
وهذا البيت شاهدا على الضرب الذي لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله .[4]

فابن مالك يأخذ من هنا وهناك ، إلا أن مصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتابه واضحة لاعتماده على النقل في أحايين كثيرة .

---

(1) الصناعتين ، ص ٣٨٧ .

(2) سورة سبأ ، الآية ١٧ .

(3) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ٨١ – المصباح ، ص ٢١٨ – تحرير التحبير ، ص ٣٩٠ – الطراز ، ج٣ ، ص ١١٣ .

(4) الإيضاح ، ج٣ ، ص ٢٠٥ .

– الاعتراض ٠

أشار ابن مالك في بداية كلامه عن الاعتراض إلى أن قدامة يسميه التفاتا ٠ وهذا يدلنا على أن ابن مالك قد أطلع على نقد الشعر لقدامة ٠
يقول ابن مالك : " الاعتراض ويسميه قدامة التفاتا " (١) ٠
فابن مالك لا يتفق مع ابن قدامة في التسمية ٠ فالاعتراض عند ابن مــــالك التفات عند قدامة ٠

ويشير ابن مالك إلى أن قدامة قد سماه التفاتا وهناك غـــيره ممــن بحثوا الاعتراض في باب الالتفات كابن أبي الإصبع في تحريـــر التحبـــير الذي لم يفرد بابا من أبوابه للاعتراض وإنما بحث الالتفات عند قدامة والذي سماه ابن مالك اعتراضا ٠ وبحث الالتفات عند المعتز ٠ وذلك فـــي بـــاب سماه باب الالتفات٠ وذكر فيه الرأييـــن: رأي قدامة ثم رأي ابن المعتز (٢).

وهناك ابن رشيق في العمدة والذي فسر الالتفات بأنـــه اعـــتراض فقال في باب الالتفات : " وهو الاعـــتراض عنـــد قـــوم وســـماه آخـــرون الاستدراك ، حكاه قدامة " (٣).

ولعل ابن مالك أشار إلى قدامة وأنه سماه التفاتا لأنه قد أخذ تعريف الاعتراض وأقسامه من كلام قدامة عن الالتفات ٠

(١) المصباح ، ص ٢١٩ ٠
(٢) انظر : تحرير التحبير ، ص ١٢٣ ٠
(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٣٦ ٠

وقد عرف ابن مالك الاعتراض بقوله : " وهو أن تأتي في أثناء الكلام بكلام يفيد إما رفع الشك والاغناء عن تقدير السؤال وأما تقرير المعنى وتوكيده " [١] .

وعند الرجوع إلى نقد الشعر لقدامة نجده يقول في بحثه للالتفات : " ومن نعوت المعاني الالتفات وبعض الناس يسميه الاستدراك ٠ وهو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله ، أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا على ما قدمه ٠ فإما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه " [٢].

ولم يبتعد ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير عن قدامة في تفسيره للالتفات ٠ إلا أنه جعل باب الالتفات مشتملا على تفسير قدامة له أو لا ٠ ثم تفسير ابن المعتز له ثانيا [٣].

فما سماه قدامة التفاتا سماه ابن مالك اعتراضا وبحثه بحثا مستقلا مرجعا إياه إلى الفصاحة المعنوية متابعا في ذلك السكاكي في المفتاح [٤].

وليس ابن مالك وحده الذي سمي الالتفات عند قدامة اعتراضا

---

[١] المصباح ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ ٠

[٢] نقد الشعر ، قدامة ، ص ١٤٦ – ١٤٧

[٣] تحرير التحبير ، ص ١٢٣ ٠

[٤] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٨ ٠

وبحثه بحثا مستقلا بل هناك ابن الأثير في المثل السائر [١]، وأبو هلال العسكري في الصناعتين [٢].

فابن مالك قد وفق في التصنيف والتسميه وأحسن في التقسيم والتبويب .

أما فيما يتعلق بشواهد ابن مالك على الاعتراض فهي كالتالي :
في القسم الأول من الاعتراض وهو ما يفيد رفع الشك والاغناء عن تقدير السؤال فقد استشهد بقول الشاعر[٣] :

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحة
ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

وقول نصيب [٤]:

فكدت ولم أخلق من الطير إن بدا
سنا بارق نحو الحجاز أطير

والشاهد الأول كثر الاستشهاد به في كتب البلاغة السابقة . على الاعتراض أو الالتفات كما سماه قدامة .

أما الشاهد الثاني فلم أجد من استشهد به قبل ابن مالك سوى ابن رشيق في العمدة والذي أشار إلى إعجابه به .

يقول ابن رشيق في تعليقه على هذا البيت :

---

(١) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٧٢ .
(٢) الصناعتين ، ص ٤١٩ .
(٣) البيت لابن ميادة ، نقد الشعر ، لقدامة ، ص ١٤٧ .
(٤) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٤١ .

" فقوله " ولم أخلق من الطير " عجب ، ولما سمعت التي قيل فيها هذا البيت تنفست تنفسا شديدا . فصاح ابن أبي عتيق : أوه ! قد – والله – أجبته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك ، لنعق ، وطار . فجعله غرابا لسواده"[1].

أما بدر الدين بن مالك فيقول معلقا على هذا البيت :
" فقوله : " ولم أخلق من الطير " عجب في الجودة لكونه مغنيا عن سؤال متضمن الإنكار " [2].

فنجد أن بدر الدين بن مالك أتى بتعليق موجز مختصر وضح فيه قيمة هذا الشاهد البلاغية والسبب في إعجابه به وسر جودته وهو أنه أغنى عن سؤال متضمن للإنكار بقوله : " ولم أخلق من الطير " فأغنانا عن أن نقول هل المتحدث طائر ! فعرفنا أنه ليس من جنس الطيور . وكاد أن يطير شوقا إلى من يهوى فكيف لو كان طائرا .

وهناك فرق بين تعليل ابن رشيق وابن مالك لسبب إعجاب كل منهما بالبيت وجودته .
فتعليل ابن مالك أتى من ناحية بلاغية ومناسبا لهذا القسم من أقسام الاعتراض حيث أن الشاهد جاء مطابقا لهذا القسم تمام المطابقة .

بينما ذكر ابن رشيق حادثة أو قصة لها تعلق بهذا البيت جعلته يستحسنه .

---

[1] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٤١ .
[2] المصباح ، ص ٢٣٠ .

أما القسم الثاني من أقسام الاعتراض عند ابن مالك وهو ما يفيد تقرير المعنى وتوكيده ، فاستشهد بقوله تعالى : { **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** } [١] .

وقد أحسن ابن مالك في اختياره لهذا الشاهد حيث أنه اعتراض في اعتراض ، وهو من شواهد السكاكي [٢] ، وابن الأثير [٣]، والرازي [٤].

يقول ابن مالك مبينا الاعتراض في الآية :

" فقوله { **وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** } اعتراض بين القسم وجوابه تقرير للتوكيد ، وتعظيم للمحلوف به ، وقوله { **لو تعلمون** } اعتراض في اعتراض " [٥].

وأبدع من ذلك ما ذكره العلوي في الطراز مبينا الاعتراض في الآية وبلاغته واتقانه ،

يقول العلوي :

" ففي هذه الآية اعتراضان : أحدهما بجملة اسمية ابتدائية ، وهي قوله { **وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** } فأتي بها اعتراضا بين القسم وجوابه ، وإنما أتى به على قصد المبالغة للمقسم به واهتماما بذكر حاله قبل جواب القسم ، وفيه الإعظام له والتفخيم لشأنه وذلك يكون أوقع في النفوس وأدخل في البلاغة ،

---

(١) سورة الواقعة ، الآية ٧٥ – ٧٦

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٤٢٨ ،

(٣) المثل السائر ، ج٢ ، ص ١٧٣ ،

(٤) نهاية الإيجاز ، ص ٢٨٧ ،

(٥) المصباح ، ص ٢٣٠ ،

وثانيهما بجملة فعلية بين الصفة والموصوف وهـــو قولـــه { **لـــو تعلمون** } فإنه وسطه بين الصفة وموصوفها تفخيما لشأنه وتعظيما لأمـــره ، كأنه قال : وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره لعرفتم عظمه وفخامـــة شأنه .

فهذان الاعتراضان قد اختصا بمزيد البلاغة وموقـــع الفخامـــة مبلغـــا لا ينال"[١].

– المبالغة :

بحث علماء البلاغة المبالغة وأطالوا في الحديث عنها . يقول ابـــن رشيق " وهي ضروب كثيرة والناس فيها مختلفون " [٢] . ويقول ابن منقـــذ " اعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سمي مبالغة وقد اختلفت ألفاظـــه فـــي كتبهم ، فسماه قوم الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة . وبعضه أرفع مـــن بعض "[٣] .

والإفراط مذهب عام في المحدثين ، وموجـــود عنـــد كثـــير مـــن الأوائل، والناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل ، ومستقبح راد . وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدهـــا جمـــع بيـــن القصـــد والإستيفاء وسلم من النقص والأعتداء فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية وأدتـــه الحال إلى الإحالة وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشـــعبة مـــن الإغـــراق ، والباب واحد ولكنه درج ومراتب [٤] .

---

[١] الطراز ، العلوي ، ج٢ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

[٢] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٤٩ .

[٣] البديع في نقد الشعر ، ابن منقذ ، ص ١٠٤ .

[٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، ص ٤٢٠ .

وقد بحث ابن مالك المبالغة ضمن المحسنات المعنوية تحت مسمى المبالغة ٠ وهذه أفضل تسمية لهذا اللون من ألوان البديع ٠ إذ أن هناك من بحثها تحت مسمى الإفراط في الصفة [١] ، أو الإفراط في الإغـراق [٢]، أو في الاقتصاد والتفريط والإفراط [٣] ٠ وسار صاحب تحرير التحبير على تسمية ابن المعتز وبحثها في باب " الإفراط في الصفة " ٠ وأشار إلى تسمية قدامه لها بالمبالغة ٠ يقول " وهو الذي سماه قدامه المبالغة ، وسماه من بعده التبليغ ، وأكثر الناس على تسمية قدامه ، لأنها أخف وأعرف " [٤] ٠

وابن مالك تابع قدامه في تسميته لها بالمبالغة ٠

وقبل أن يذكر ابن مالك تعريف البلاغة ويبدأ في بحثها نراه يبدأ بذكر اختلاف الناس فيها وفي فضلها ، ونراه ينقل ذلك عن ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير بشيء من التصرف والتقديم والتأخير والإيجاز ٠

فصاحب تحرير التحبير أطال في حديثة عن الاختلاف في المبالغة وفضلها٠ وابن مالك يأخذ من كلامه ويترك ويقدم ويؤخر ٠

ولنعرض من كلام ابن مالك ما يقابله من كلام ابن أبـي الإصبع للتمثيل فقط ٠

---

(١) البديع ، ابن المعتز ، ص ٦٦ ٠

(٢) قواعد الشعر ، أبو العباس ثعلب ، (القاهرة – ١٩٩٥م) ، ص ٤٥ ٠

(٣) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ ، ص ٣١٣ ٠

(٤) تحرير التحبير ، ص ١٤٧ ٠

يقول ابن أبي الإصبع " وأنا أقول : قد اختلف في المبالغة فقوم يرون أن أجود الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ، ويحتجون بما جرى بين النابغة الذبياني وبين حسان في استدراك النابغة عليه في قوله : [1]

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما"[2]

وذلك أن النابغة قال لحسان بن ثابت حين أنشده هذا البيت :قللت جفانك ولو قلت الجفان لكان أكثر ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وقلت يلمعن بالضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ لأن الضيف بالليل أكثر طروقا .

أما ابن مالك فيقول " ومنهم من يقصر الفضل عليها وينسب المحاسن إليها ، محتجا بأن أحسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ، وباستدراك النابغة على حسان في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما"[3]

وفي موضع آخر يقول ابن أبي الإصبع " وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام . ولا يرون من محاسنة إلا ما خرج مخرج الصدق وجاء على منهج الحق . فإذا عجز عن ذلك كله أتى بالمبالغة لسد خلله . وتتميم نقصه لما فيها من التهويل على السامع . ويدعون أنها ربما أحالت المعاني فأخرجتها من حد الإمكان إلى حد الإمتناع " [4].

---

[1] ديوان حسان بن ثابت . ت سيد حنفي حسنين ، (بدون) ، ص ١٣١ - العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٥٠ .

[2] تحرير التحبير ، ص ١٤٩ .

[3] المصباح ، ص ٢٢١ .

[4] تحرير التحبير ، ص ١٤٨ .

وفي المقابل يقول ابن مالك :

" ومنهم من لا يرى لها فضلا ولا يعدها من محاسن الكلام ، محتجـا بـأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على نهج الصدق وبأن المبالغـة لا تأتي إلا من ضعيف قد عجز عن الإختراع والتوليد فعمد إليها ليسد خلله بما فيها من التهويل وربما أحالت المعاني وأخرجتها إلى حد الإمتناع " [١].

ويقول ابن مالك مرجحا المذهب الوسط فـي المبالغـة " فعـائب المبالغة على الإطلاق مخطئ • وعائب الكلام الحسن بترك المبالغة غـير مصيب ، وخير الأمور أوسطها " [٢] .

وهو مأخوذ من كلام ابن أبي الإصبع الذي يقول : " فعائب الكلام الحسـن بترك المبالغة فقط مخطئ ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيـب ، وخير الأمور أوساطها " [٣]

إلى غير ذلك من المواضع التى نقل فيها ابن مالك من كلام ابـن أبي الإصبع • ويتخلل ذلك شواهد شعرية اتفقا فيها تمام الإتفاق [٤].

وبالرغم من أن بدر الدين بن مالك قد نقل من تحرير التحبير فـهو إلى جانب ذلك أتى بالجديد والمتميز عند بحثه للمبالغة • فقد هذب مسـائلها وقسمها تقسيما لم يسبق إليه • وعرفها تعريفا سار عليه العلماء من بعده•

---

[١] المصباح ، ص ٢٢١ •

[٢] المصدر السابق ، ص ٢٢٣ •

[٣] تحرير التحبير ، ص ١٥٠ •

[٤] انظر : تحرير التحبير ، ص ١٤٧ إلى ص ١٥٠ – وينظر المصباح ، ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢٢ .

يقول ابن مالك في تعريف المبالغة : " هي أن يكون للشئ عندك وصف فتزيد التعريف بمقدار شدته أو ضعفه فتدعي له من مقدار زيادة الشدة أو الضعف ما يستبعد أو يحيل العقل ثبوته له ، لئلا يظن بالوصف دون مقدار ما هو عليه في نفس الأمر " (١).

وقد غطى تعريفه هذا على تعريف قدامه للمبالغة والذي ذكره ابن أبي الإصبع في كتابه ، حيث يقول " وحد قدامه المبالغة بأن قال " هي أن يذكر المتكلم حالا من الأحوال لو وقف عندها لأجزأت . فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون أبلغ في معنى قصده " (٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تعريف ابن مالك السابق الذكر نجده في إيضاح القزويني وقد صيغ بأسلوب بلاغي جميل . وبشئ من الإيجاز . وهو في الأصل مستخلص من تعريف ابن مالك . وقد تناقله العلماء عن القزويني وأشاروا إلى تميزه ودقته .

يقول القزويني في تعريفه " والمبالغة أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف "(٣).

أما أبرز ما تميز به ابن مالك في بحثه للمبالغة هو أنه قد جعل لها طرقا . إذ يقول بعد تعريفه للمبالغة " ولها طريقان :

---

(١) المصباح ، ص ٢٢٣ .

(٢) تحرير التحبير ، ص ١٤٧ – وينظر نقد الشعر ، ص ١٤١ .

(٣) الإيضاح ، ج٦ ، ص ٦٠ .

الأول : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة كما في الكناية والتشبية والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز التي سبق التنبية عليها ٠

وثانيه : أن يشفع ما يفهم المعنى على وجه بما يقتضى فيه تلك الزيادة من ترادف الصفات لقصد التهويل كما في قوله تعالى : { **في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض** } [١] أو من التتميم بما يبلغ به المتكلم أقصى ما يمكن من الوصف أو يزيد عليه ٠ كما قال[٢] ٠

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا"[٣]

وهذه هي طرق المبالغة عند ابن مالك وإليها أشار البهاء السبكى في عروس الأفراح ظنا منه أن بدر الدين بن مالك هو الذي قسم المبالغة هذا التقسيم ٠ حيث يقول :

" وقسم في المصباح المبالغة إلى ما كان باستعمال في غير موضوع كالاستعارة ٠ وما كان بتكرار مثل " أو كظلمات في بحر لجي " أو تتميم مثل " ونكرم جارنا " "[٤]٠

إلا أننا نجد أن بدر الدين بن مالك قد أخذ هذه الأقسام من كتاب العمدة لابن رشيق ورتبها هذا الترتيب ٠

---

[١] سورة النور ، الآية ٤٠ ٠

[٢] العمدة ، ج ٢ ، ص ٦٥٢ – نقد الشعر ، ص ١٤٤ – والبيت لعمرو بن الأيهم التغلبي ٠

[٣] المصباح ، ص ٢٢٣ إلى ٢٢٤ ٠

[٤] عروس الأفراح ، السبكي ، ص ٣٥٨ ٠

يقول ابن رشيق في كتابة " وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فـــهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها " [1].

ونستطيع أن نقول أن هذا هو أول طرق المبالغة عند ابن مالك .

ثم يقول ابن رشيق في موضع آخر " ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضربا من المبالغة " [2] .

ويقول في موضع آخر أيضا " فمن أحسن المبالغة وأغربها عنـــد الحذاق التقصي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشئ كقول عمر بن الأيهم التغلبي .

ونكرم جارنا ما دام فينـــــــــا

ونتبعه الكرامة حيث مـــــــالا

ومن أغربها أيضا ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مـــع صحـــة لفظ لا تحيل معنى كقول الله تعالى { **أو كظلمات في بحر لجي يغشاه مـــوج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض** } [3].

وما تقدم ذكره من كلام ابن رشيق في العمدة هو طرق المبالغة التـــي ذكرها ابن مالك في مصباحه . ورتبها في كتابه .

ومن أبرز ما يميز ابن مالك في بحث المبالغة ، ويمـــيز المبالغـــة أيضا ، أنها قسمت إلى ثلاثة أقسام ، سار عليها المتأخرون .

---

[1] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٥٠ .

[2] المصدر السابق .

[3] المصدر السابق .

يقول ابن مالك " والمبالغة ثلاثة أصناف : لأنها راجعة إلى دعـوى المتكلم للوصف اشتدادا أو ضعفا على ما فوق ما يسلمه العقل ويستقر بــه ، وذلك المقدار إما ممكن في نفسه أو غير ممكن ٠ والممكن إما ممتنع عــادة أو غير ممتنع ٠ فدعوى كون الوصف على مقدار مستبعد يصـــح وقوعــه عادة يسمى تبليغا ٠ وفيما تقدم من أمثلته كفاية ودعوى كون الوصف علــى مقدار ممكن ممتنع وقوعه عادة يسمى إغراقا ٠ ودعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن يسمى غلوا " [١].

وهذا هو أفضل تقسيم للمبالغة وحصرها في هذه الأقسام الثلاثة : التبليــغ ، والإغراق ، والغلو ٠

وقد تابع القزويني في إيضاحه ابن مالك في تقسيمه هذا يقول بعــد تعريفه للمبالغة " وتنحصر في التبليغ ، والإغراق ، والغلو " [٢].

وقد أكثر ابن مالك من التقسيمات في هذا المبحث فبعد أن قسم المبالغة إلــى تبليغ وإغراق وغلو ، نجده يقسم الإغراق إلى قسمين :

الأول : أحسنهما وأدخلهما في القبول وهو ما اقترن به ما يقربه مـــن حــد الصحة كقد ، وكاد ، ولو ، ولولا ، وحرف التشبية ٠

الثاني : ما لم يقترن به شئ من ذلك ٠

ثم يقسم الغلو إلى ضربين : مقبول ، ومردود ٠ ويقسم المقبول إلى قسمين : ما اقترن به ما يقربه من الحق ، وما كان غير مقترن ٠ والمردود

---

(١) المصباح ، ص ٢٢٥ ٠

(٢) الإيضاح ، ج٦ ، ص ٦٠ ٠

أن يتضمن دعوى كون الوصف غير ممكن الوصف بما هو خـــارج عـن طباع الموصوف ٠ [١]

وهذه الأقسام التي ذكرها ابن مالك وردت عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ٠ غير أن ابن أبي الإصبع لم يقسم الإغراق إلى قسمين ، بل جعله قسماً واحداً وأنه لا يقع منه شئ إلا مقروناً بما يخرجـــه مــن بــاب الإستحاله ٠

أما ابن مالك فجعل القسم الثاني على ضوء هذا القسم وهو ما لـــم يقترن به شئ من ذلك ٠

أما الغلو فقال عنه ابن أبي الإصبع أنه لا يعد من المحاســن إلا إذا اقترن به ما يقربه من الحق ، وأما ما جاء غير مقترن كان مستقبحاً ٠[٢]

وأرى أن الأفضل في الغلو والإغراق أن يقترن بهما ما يقربـــهما من الصحة ٠

أما شواهد ابن مالك على المبالغة وأقسامها فقد كثر الاستشهاد بــها في كتب البلاغة السابقة ، عند كثير من علماء البلاغة إلا أننـــي أرى أنـــه اعتمد في استشهاده وبحثه للمبالغة على كتابين هما : العمدة لابن رشـــيق ، وتحرير التحبير ٠

---

[١] المصباح ، ص ٢٢٥ إلى ص ٢٢٨ ٠

[٢] تحرير التحبير ، ص ٣٢١ – ٣٢٦ ٠

أما أبرز ما يميز شواهده فهو استشهاده على الغلو المقبول بقـــول الشاعر :[1]

أليـــس عجيبـــاً بـــأن امــــرءاً   شـــديد الجـــدال دقيـــق الكلـــم
يمـــوت ومـــا علمـــت نفســـــه   ســـوى علمـــه أنـــه مـــا علـــم

وقد انتقد ابن أبي الإصبع من استشهد بهذين البيتين فقال : " وقـــد أنشد بعض المؤلفين بيتين في هذا الباب مستحسناً لهما وهما "ويذكر البيتين " ثم يعلق عليهما بقوله " وعندي أن هذين البيتين ليس فيهما إغراق البته ، بل لو قيل أنهما ليس فيهما مبالغة لما ردّ هذا القول ، لأن الشاعر أخـــبر عـــن نفسه أو نفس من قصده بذلك أنه عارف بجهله ، وأنه يموت وما علم ســـوى ذلك من نفسه ، وهذا أصدق الشعر الذي استحسنه أكثر الفحول ، وجـــاءت أكثر أشعارهم عليه ، ولو كان قال : إنه يموت ، وما علم بجهله لكان ذلـــك إغراقاً ، فلا تثبت له مبالغة إلا بوجه بعيد ، وذلك أنه أثبت لنفســـه الجـــهل المحض ، ونفى عنها العلم بتّةً ، وهو لا بد وأن يكون عالماً بشئٍ ما ، فنفيه كلّ العلم عنه وهو يعلم بعضه إنما هو من جهة المبالغة " [2] .

وابن أبي الإصبع هنا يشير إلى أسامة بن منقذ فهو الذي استشـــهد بهذين البيتين في باب الإغراق . يقول ابن منقذ : [3]
" وقال بعض الشعراء : ليس معي من العلم إلا أني أعلم أنى لا أعلم " .
أخذه بعض الشعراء :

---

[1] البيت للنمر بن تولب ، بديع ابن منقذ ، ص ٨٤ - تحرير التحبير ، ص ٣٢١ .
[2] تحرير التحبير ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .
[3] البديع ، أسامة بن منقذ ، ص ٨٤ .

أليس عجيباً بـــأنيّ امـــرؤ شديد الجـــدال دقيـــق الكلـــم
يموتُ وما علمـــت نفســـه سوى علمه أنـــه مـــا علـــم

ولعل ابن مالك قد استجاد هذا البيت واستحسنه وأتى به شاهداً على الغلو ٠

وابن أبي الإصبع نفى عنه الإغراق فكيف بالغلو ٠

وأرى أن هذين البيتين ليس فيهما مبالغة أصلاً ، ناهيك عن الغلـــو ٠ وقد أحسن ابن أبي الإصبع في التعليق عليها ونقدهما ٠

ونشير هنا إلى أن تقسيم ابن مالك وشواهده جاءت متطابقة تمـــام المطابقة ومرتبة أحسن ترتيب ٠ في حين نجد أن بحث المبالغة عند صاحب تحرير التحبير فيه شئ من الاضطراب ٠ وقد أكثر من أقسام المبالغة أقساماً لا لزوم لها ٠ وذكر من شواهد الإغراق في باب المبالغة والعكس ٠

– الإيغـــــــال ٠

" أن تأتي في المقطع من البيت أو الفقرة بنعت لما قبلـــه ، مفيـــداً زيادة المبالغة أو تتميمها " (١).

هكذا عرف ابن مالك الإيغال ٠ ونجد أنه يختلف عن غـــيره مـــن علمـــاء البلاغة ، فلكل منهم رأي في الإيغال فمنهم من عدَّه خاصاً بـــالقوافي وفـــي الشعر فقط كابن رشيق في العمدة ، حيث يقول : " وإنه في القوافي خاصـــة

---

(١) المصباح ، ص ٢٣٠ ٠

لا يعدوها " [1]، وكذلك قدامه في نقد الشعر [2] وابن سنان في سر الفصاحة[3] . أما ابن أبي الإصبع وأبو هلال العسكري وتبعهم ابن مالك والعلوي في الطراز ، فقد جعلوا الإيغال عاماً يشمل الشعر والنثر أيضاً واتضح ذلك من تعريفاتهم له .[4]

والإيغال ليس مقصوراً على الشعر ، وإنما يجئ في الشعر والنثر على حد سواء ، ومجيئة في النثر المسجوع أكثر وذلك لاتمام الفواصل وزيادة المعنى .[5]

أما ما ساقه ابن مالك من شواهد الإيغال فقد سبقه البلاغيون في الإستشهاد بها كابن رشيق في العمدة ، وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، وقدامه في نقد الشعر ، وابن سنان في سر الفصاحة وغيرهم .

ومن أمثله شواهد الإيغال قول الخنساء [6] :

وإن صخراً لتأتم الهداة بـــه ... كأنه علم في رأسه نـــار

وقول امرئ القيس [7]:

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

---

[1] العمدة ، لابن رشيق ، ص ٦٥٤ .

[2] نقد الشعر لقدامه ، ص ١٦٩ .

[3] سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص ١٤٧ .

[4] تحرير التحبير ، ص ٢٣٢ – الصناعتين ، ص ٣٩٥ .

[5] علم البديع ، عبد العزيز عتيق . (بيروت – ١٩٨٥ م) ، ص ١١٦ .

[6] ديوان الخنساء ، ص ٨٠ – المصباح ، ص ٢٣٠ – تحرير التحبير ، ص ٢٣٤ – العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٥٨ .

[7] المصباح ، ص ٢٣١ – تحرير التحبير ، ص ٢٣٣ – سر الفصاحة ، ص ١٥٤ – نقد الشعر ، لقدامة، ص ١٦٩ .

– التكرار ٠

" وهو إعادة اللفظ لتقرير معناه " [١] ٠ يقول ابن رشيق في العمدة: " وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ٠ فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل " [٢].

وقد تأثر ابن مالك في بحثه للتكرار بابن رشيق في العمدة ٠ ومما يؤكد لنا أنه اعتمد عليه في بحثه للتكرار هو أن ابن مالك بعد حديثه عن التكرار اللفظي والفراغ من شواهده التي نقلها أيضاً عن ابن رشيق نجده يقول : " وقد قسَّم ابن رشيق التكرار إلى لفظي مثل ما ذكرنا وإلى معنوي وعدد منه قول امرئ القيس [٣]:

فيا لك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدّت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صمِّ جندل

قال " يعنى ابن رشيق " ٠ لأن النجوم تشتمل على الثريا اشتمال يذبل على صُمّ الجندل ٠ وقوله : شدت بكل مغار الفتل مثل قوله : علقت بأمراس كتان ، فمعنى البيتين المذكورين سواء ٠ ثم يعلق ابن مالك على ذلك بقوله " وهو الذي ذكره وإن كان حقاً غير أن الناس قد سموا نحو ما في البيتين تذييلاً ٠ فلا حاجة إلى تقسيمه ولا إلى ما أحدث من تسميته" [٤]. فنجد أن ابن مالك ينتقد ابن رشيق في ذكره لهذا القسم ٠ فيقول أن ذلك

---

[١] المصباح ، ص ٢٣٢ ٠
[٢] العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٦٨٣ ٠
[٣] ديوان امرئ القيس ، ص ١٥٢ – العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٦٩٠ ٠
[٤] المصباح ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ٠

سمي تذييلا ٠ ولا أعلم من الذي سمى ذلك تذييلا ٠وهذا يدخل في كمال الاتصال الذي هو تأكيد معنى لمعنى ٠

فنقول أنه لا يمكن أن تكون أبيات امرئ القيس شاهدا على التكرار اللفظي وشاهدا على التذييل أيضا ٠ وتكرير المعنى قسم من أقسام التكرار ٠ أشار إليه العلماء وذكروه في مؤلفاتهم ٠ ولعل أول من نبه عليه ابن رشيق في العمدة وقد أشار إلى ذلك [١].
وذكره أيضا ابن الأثير في المثل السائر وقد بحث التكرار بحثا مفصلا وذكر أقسامه [٢].

أما ابن مالك فيفضل الإقتصار على التكرار اللفظي ولا يرى حاجة إلى تقسيمه إلى قسمين مع أنه يميل إلى كثرة التقسيمات ٠
فنقول أن جميع أغراض التكرار التي ذكرها ابن مالك وشواهدها قد نقلها عن ابن رشيق في العمدة ٠

- الاستطراد

لم يبتعد ابن مالك في تعريفه للاستطراد عمن سبقه من علماء البلاغة ٠ ويكاد يكون تعريفه له قريبا من تعريف ابن رشيق في العمدة الذي يقول : " وهو أن يري الشاعر أنه في وصف شئ ، وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه ، فذلك استطراد ، وإن تمادى فذلك خروج ، وأكثر الناس يسمون الجميع استطرادا " [٣].

---

[١] العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٦٩٠ ٠
[٢] المثل السائر ، ابن الأثير ، ج٢ ، ص ١٤٦ ٠
[٣] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٢٨ ٠

أما ابن مالك فيقول : " الاستطراد أن يكون في شئ من الفنون ، فتوهم استمرارك فيه ، وتخرج منه إلى غيره ، ثم ترجع فإن تماديت فذاك الخروج ولا بد من التصريح باسم المستطرد به، وأكثر ما يجئ بالهجاء"[١].

وهذا أفضل تعريف للاستطراد نظرا لأنه موجز وقد جعله شاملا لجميع الفنون ثم ذكر أنه أكثر ما يجئ في الهجاء ، ولم يحدد كيف يكون الخروج وبأي طريقة من المعنى الأول إلى الثاني ٠

أما شواهد ابن مالك على الاستطراد فقد سبقه البلاغيون بالاستشهاد بها ٠ كالصناعتين ، والعمدة ، وإعجاز القرآن ، والبديع لابن المعتز الذي سمى هذا الفن " الخروج من معنى إلى معنى " [٢] ، إلا أن أهم مصدر يبدو أن ابن مالك قد اعتمد عليه في استشهاده هو تحرير التحبير [٣].

ومن أمثلة شواهد الاستطراد قول البحتري [٤] :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته　　　يوما خلائق حمدويه الأحول

- التجريد ٠

اتفق ابن مالك مع غيرة من علماء البلاغة على معنى التجريد ، وتسميته بذلك وعرفه بقوله " أن تدل على أن الشئ بليغ في وصف بدعوى

---

(١) المصباح ، ص ٢٣٤ ٠

(٢) البديع ، ابن المعتز ، ص ٦٠ ٠

(٣) انظر : تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ص ١٣٠ إلى ١٣٢ – المصباح ، ص ٢٣٤ إلى ٢٣٦ ٠

(٤) ديوان البحتري ، ص ١٤١ – سر الفصاحة ، ص ٢٩١ – الصناعتين ، ص ٤١٥ ٠

ما يستلزمه صحة استخلاص موصوف بها منه " (1) . وقد عرفه الخطيب القزويني بقوله " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه " (2) وهذا أشهر تعريف وهو الشائع عند علماء البلاغة .

وعند النظر إلى تعريف ابن مالك للتجريد نجده قد عبر بلفظ " الإستخلاص " بدلا من " الإنتزاع " الذي عبر به القزويني . فتعريف القزويني أبلغ وأقوى من تعريف ابن مالك . " فكلمة مثله فيها أي يكون الأمر المنتزع عن ذي صفة مثل ذي الصفة في تلك الصفة ويدل على أنه مثله في الصفة تعبير المتكلم عنه بما يدل على تلك الصفة ، أما لفظ الإستخلاص الذي عبر به ابن مالك فإنما يناسب الإنتزاع بالدعوى وفيها الإشعار بالتطلب والتكلف وإن كان يفيد أنه قد اشتمل على زائد يستخلص منه إلا أن المعنى الأول أقوى "(3) .

أما شواهد ابن مالك على هذا المبحث فقد استشهد بثلاثة شواهد شعرية ، لم أجدها في الكتب السابقة له وهي قول الشاعر (4) :

بنزوة لص بعدما مر مصعب بأشعث لا يفلى ولا هو يقمل

وقول الآخر :

ولست بعل شرة قبل خيره ألف إذا ما رعته اهتاج أعزل

---

(1) المصباح ، ص ٢٣٦ .

(2) الإيضاح ، القزويني ، ج ٦ ، ص ٥٤ .

(3) انظر : مواهب الفتاح ، أبو يعقوب المغربي ، ص ٣٤٨ – ٣٥٠ .

(4) لا يعرف قائله .

وقول الآخر :

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى
بمستلئم مثل الفنيق المرحل

وهذا الشاهد الأخير عند ابن مالك نجده عند علماء البلاغة من بعده. فقد استشهد به صاحب الإيضاح[1] على الصنف الثاني من التجريد عنده الذي منه " لئن سألت فلانا لتسألن به البحر " . وكذلك ورد عند أصحاب شروح التلخيص [2] .

ونشير هنا إلى أن ابن الأثير قد بحث التجريد وتأثر به العلوي في الطراز عند بحثه له وقد نبه ابن الأثير إلى أنه قد سبق إليه من غيره . وأشار إلى ذلك بقوله : " وهذا اسم كنت قد سمعته " [3].

– التفريع :

قسم ابن مالك التفريع إلى قسمين :

الأول : أن تأتي بالاسم منفيا بما . وتتبعه بمعظم أوصافه اللائقة به . ثم تخبر عنه بأفعل التفضيل موافقا لمعنى الأوصاف معدى بمن ، فيفرع من ذلك مبالغة في مدح المجرور بها أو ذمه .

الضرب الثاني : أن تأتي للممدوح أو غيره بصفه يقرب منها أبلغ منها في معناها فيذكرك به فتفرعه منها .[3]

---

(1) الإيضاح ، ج٦ ، ص ٥٥ .

(2) شروح التلخيص ، ص ٣٥٠ .

(3) المثل السائر ، ص ٤٠٥ .

(1) انظر : المصباح ، ص ٢٣٧ إلى ٢٣٩ .

فابن مالك يميل إلى كثرة التقسيمات والجمع بين آراء من سبقه من العلماء. فقد جمع عند بحثه للتفريع بين رأي ابن رشيق في العمدة وبين رأي ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير .

فالضرب الأول من أضرب التفريع أخذه ابن مالك عن صاحب تحرير التحبير الذي قسم التفريع إلى قسمين .

الأول : لم يسبق إلى استخراجه وقد أشار إلى ذلك .

الثاني : ما عده ابن مالك الضرب الأول عنده .

ويقول فيه ابن أبي الإصبع : " والنوع الآخر من التفريع وهو الذي تقدمني الناس باستخراجه وتسميته ، إنما يتفرع منه معنى واحد من أصل واحد . إما في بيت أو أبيات . وإما في جملة من الكلام أو جمل . وهو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بـ " ما خاصه " . ثم يصف الاسم المنفي بمعظم أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلا يفرع منه معنى في جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك " [١] .

أما الضرب الثاني فقد أخذه ابن مالك عن ابن رشيق في العمدة، يقول ابن رشيق في معنى التفريع : " أن يقصد الشاعر وصفا ما ، ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا " [٢].

---

[١] تحرير التحبير ، ص ٣٧٢ .

[٢] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٣٢ .

أما الشواهد التي استشهد بها ابن مالك هنا فقد نقلها عن الكتـــابين السابقين • ففي الضرب الأول نقل شواهد ابن أبي الإصبع الواردة على هذا القسم من مثل قول الأعشى • [1]

ما روضه من رياض الحزن معشبه   غناء جاد عليها مســـبل هطــل
يضاحك الشمس منها كوكب شــرق   مؤزر بعميـــم النبــت مكتــهل
يوما بأطيب منـــها طيـــب رائحـــة   ولا بأحسن منها إذ دنا الأصـــل

أما في الضرب الثاني فقد نقل بعضا من شواهد ابن رشيق في هذا الباب من مثل قول ابن المعتز [2] •

كلامه أخدع من لحظه   ووعده أكذب من طيفه

موضع الشاهد " أنه بينما هو يصف خدع كلامه ، فرع منه وصف كذب وعده " [3] •

ونلاحظ أن ابن مالك لم يأت بجديد هنا سوى أنه قسم التفريع إلـــى قسمين جاء كل واحد منهما في كتاب مستقل • وجمعهما في كتابه •

---

[1] ديوان الأعشى بشرح محمد محمد حسين • (بدون – ١٩٤٨ م) ، ص ١٠٧ – تحرير التحبير ، ص ٣٧٣- الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٣ •

[2] العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٣٣ •

[3] المصباح ، ص ٢٣٩ •

- تأكيد المدح بما يشبه الذم ٠

اختلف علماء البلاغة في تسمية هذا اللون من ألوان البديع بهذا الاسم ٠ فمنهم من بحثه تحت اسم الإستثناء كصاحب الصناعتين[1]٠والباقلاني في إعجاز القرآن[2] ٠ وابن سنان في سر الفصاحة[3] ٠ وابن منقذ في بديعه[4] ٠

أما بدر الدين بن مالك فقد تبع ابن المعتز في تسميته له بتأكيد المدح بما يشبه الذم [5]٠ وابن أبي الإصبع أيضا والذي فرق بينه وبين الاستثناء وأفرد لكل منهما بابا في كتابه [6] ٠

ونجد أن الكثيرين من علماء البلاغة لم يعرفوا تأكيد المدح بما يشبه الذم عند بحثهم له ٠ إنما اكتفوا بالاستشهاد فقط ٠

إلا أن ابن مالك لم يدع مبحثا من مباحث علم البديع إلا وجعل له تعريفا ٠ ولم يهمل تعريف أي نوع ٠ سواءا ينقل التعريف عن غيره أو يتصرف فيه ويغير في عباراته أو يجعل له تعريفا من عنده ٠

وقد عرف تأكيد المدح بما يشبه الذم بقوله :

---

(١) الصناعتين ، ص ٤٢٤ ٠

(٢) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، ص ١٠٧ ٠

(٣) سر الفصاحة ، ص ٢٧٣ ٠

(٤) البديع في نقد الشعر ، ابن منقذ ، ص ١٢١ ٠

(٥) بديع ابن المعتز ، ص ٦٢ ٠

(٦) تحرير التحبير ، ص ١٣٢ ٠

" أن تنفي عن الممدوح وصفا معيبا ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أن ستثبت له ما يذم به وفيه المبالغة في المدح " [1].

ثم يستشهد ابن مالك بأربعة شواهد شعرية على هذا الفن البديعي. اثنان منهما كثر الاستشهاد بهما في كتب البلاغة واتفق في الاستشهاد بهما كثير من العلماء . وهما :

قول النابغة [2]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

وقول الآخر [3]:

ولا عيب فينا غير أن سماحنا   أضر بنا واليأس من كل جانب
وأفنى الردى أرواحنا غير ظالم   وأفنى الندى أموالنا غير عائب
أبونا أب لو كان للناس كلهم   أبا واحدا أغناهم بالمناقب

أما الشاهدان اللذان تفرد بهما ابن مالك عمن سبقوه فهما قول ابن الرومي [4]:

وما يعتريها آفة وسنية   من النوم إلا أنها تتبخر
كذلك أنفاس الرياض بسحره   تطيب وأنفاس الورى تتغير

الشاهد في استثنائه : " إلا أنها تتبخر " على أنها آفه ، وهي ليست كذلك ، بل هي فضيلة وصفه حسنه .

---

(1) المصباح ، ص ٢٣٩ .

(2) ديوان النابغة ، ص ٤٤ - تحرير التحبير ، ص ١٣٣ - الايضاح ، ج٦ ، ص ٧٥ .

(3) البيت لأبي هفان ، العمدة ، ج١ ، ص ٦٤٣ - سر الفصاحة ، ص ٢٧٣ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٧ .

(4) ديوان ابن الرومي ، ج٣ ، ص ٩٠٧ - العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٩٨١ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٦ .

وهذا البيت من اختراعات ابن الرومي جاء ذلك في العمدة لابن رشيق مع اختلاف في روايته .

يقول ابن رشيق : " وقوله " أي ابن الرومي " ولم أسمع أحسن منه في معناه.

وما تعتريها آفة بشرية   من النوم إلا أنها تتختر " [1]

وقد ذكره العلوي شاهدا على التوجيه كما سماه . مع اختلاف في روايته أيضا .

قال العلوي مستشهدا على التوجيه :

" ومن ذلك ما قاله ابن الرومي :

وما تعتريها آفة بشرية   من النوم إلا أنها تتخير " [2]

والشاهد الآخر الذي تفرد به ابن مالك كان على نوع آخر ألحقه بتأكيد المدح بما يشبه الذم . وهو توكيد الذم بما يشبه المدح ..

يقول ابن مالك :

" وألحق بهذا النوع توكيد الذم بما يشبه المدح كقول ابن أبي الإصبع [3]:

خير ما فيهم ولا خير فيهم   أنهم غير مؤثمي المغتاب[4]

---

(1) العمدة ، ابن رشيق ، ج٢ ، ص ٩٨١ .

(2) الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٦ ..

(3) شرح عقود الجمان ، ص ١٢٦ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٧ .

(4) المصباح ، ص ٢٤١ .

أشار ابن مالك إلى أن قائله هو ابن أبي الإصبع ولم يرد هذا الشاهد في كتابه " تحرير التحبير " الذي كان أحد أهم الكتب التي اعتمد عليها ابن مالك في مصباحه بالرغم من أن فيه الكثير من الشواهد الشعرية التي تنسب إلى ابن أبي الإصبع ٠

والشاهد لم يرد إلا في الكتب المتأخرة عن ابن مالك ولعلها نقلت هذا الشاهد عنه ٠ حيث أنه لم يسبق إليه ٠ ولعل ابن مالك استحدث هذا النوع واستشهد عليه بهذا الشاهد الذي ربما يكون قد نسبه ابن مالك خطأ إلى ابن أبي الإصبع أو أنه من صنع ابن مالك ٠

والشاهد لا بأس به من حيث دلالته على توكيد الذم بما يشبه المدح٠ والتكلف ظاهر فيه ٠

- التعليل :

يقول ابن مالك في معنى التعليل : " أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعدا لكونه قريبا أو عجيبا أو لطيفا أو نحو ذلك ، فتأتي على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل ، فتدعى كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه ، فإن إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه " [1]٠

وهذا التعريف بمعنى التعليل من أفضل معاني التعليل التي اطلعت عليها حيث جاء دقيقا واضحا ومبينا لمعنى التعليل أفضل تبيين ٠

---

[1] المصباح ، ص ٢٤١ ٠

وفي مقابله نذكر هنا معنى التعليل عند صاحب تحرير التحبير الذي جاء مختصرا . يقول ابن أبي الإصبع في باب التعليل : " وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع ، أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه ، لكون رتبة العلة أن تقدم على المعلول " [1] .

وقد استشهد ابن مالك بأربعة شواهد شعرية نجدها عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير من ضمن شواهده على التعليل من مثل قول مسلم بن الوليد [2]:

يا واشيا حسنت فينا اساءته   نجى حذارك إنساني من الغرق

وقول أبي تمام [3] :

ربى شفعت ريح الصبا بنسيمها   إلى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها   حبيبا فما ترقى لهن مدامع

ومن ضمن هذه الشواهد تعليلات لا تليق ولا تناسب قداسة الشرع الحنيف وحرمته . فالتعليل الأدبي لم يفرض نفسه على الشاعر أو الأديب إنما نتج عن خياله وعاطفته . " فالتعليل العلمي تعليل واقعي موضوعي يرجع فيه العالم إلى الواقع والحقيقة ، أما التعليل الأدبي فتعليل ذاتي نفسي يرجع فيه الأديب إلى ذوقه الفني وخياله الأدبي وعاطفته الجمالية "[4].

---

[1] تحرير التحبير ، ص ٣٠٩ .

[2] ديوان مسلم بن الوليد . (القاهرة – ١٩٧٠ م) ، ص ٣٢٨ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٤٠ – الإيضاح ، ج٦ ، ص ٧١ .

[3] ديوان أبي تمام ، ج٤ ، ص ٥٨٠ – الإيضاح ، ج٦ ، ص ٧٢ .

[4] دراسات في علم النفس الأدبي ، حامد عبد القادر ، ص ١١٤ .

ويجب على الأديب أن يحرص على عدم تجاوز الحد المعقول في التعليل والذي ينافي الأدب ولا يتفق مع الشرع الحنيف ٠

وفي الشواهد التي ساقها ابن مالك هناك تعليلات غير مناسبة كقول ابن هانئ المغربي [١]:

لو لم تصافح رجلها صفحة الثرى

لما كنت أدري علة للتيمم

يقول ابن مالك معلقا على هذا البيت " أراد الإغراب والطرفة فوقع في الغلو الذي أحال المعنى وأخرجه عن وجه الصحة " [٢]، وأجمل من ذلك تعليق ابن أبي الإصبع على هذا البيت إذ يقول " علل درايته علة التيمم بمصافحة رجل صاحبته صفحة الثرى وهذا من غلو ابن هانئ المعروف فلحى الله غلوه كيف يقول :
إنه لم يدر علة التيمم إلا بما ذكر ، وقد وردت علة التيمم من نص الكتاب والسنة ٠ أما نص الكتاب فقوله تعالى : { **فتيمموا صعيدا طيبا** } [٣] وأما نص السنة فقوله ﷺ " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "[٤] وحديث عمار بن ياسر في التيمم مشهور وأخرجه مسلم ٠
أراد ابن هانئ الإغراب في هذا المعنى ، فوقع فيما عادته أن يقع فيه من الغلو [٥].

---

[١] الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٩ ، ونسب إلى أبي نواس ، تحرير التحبير ، ص ٣١٠ ٠
[٢] المصباح ، ص ٢٤٣ ٠
[٣] سورة المائدة ، الآية ٦
[٤] صحيح البخاري ٠
[٥] تحرير التحبير ، ص ٣١٠ ٠

وأما الشاهد الآخر الذي أرى أنه غلو أيضا وتعليل غير مناسب ، إلا أن ابن مالك وابن أبي الإصبع قد استحسناه ، هو قول ابن رشيق [1] في تعليل قوله عليه السلام " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "

سألت الأرض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة ، لأني حويت لكل إنسان حبيبا

يقول ابن مالك : " وقد أحسن في الإستخراج لكون الأرض مسجدا وطهورا ، علة مناسبة لا حرج عليه في ذكرها على لسانه ، فكيف إذا ذكرها على لسان الأرض في جواب سؤاله " [2].

وأخيرا نقول أن ابن مالك تابع ابن أبي الإصبع في بحثه للتعليل – وبالأخص في شواهده حيث اتفقت مع شواهد تحرير التحبير وفي التعليق أيضا على هذه الشواهد .

– **التهكم .**

تأثر بدر الدين بن مالك عند بحثه للتهكم بابن أبي الإصبع كما هي الحال في معظم ألوان البديع التي ذكرها . والتهكم من الأنواع التي ذكر ابن أبي الإصبع أنها من مخترعاته .

يقول ابن حجة مشيرا إلى بحث صاحب تحرير التحبير للتهكم : " ولكن ابن أبي الإصبع أزال بكارة أشكاله ، وكان أبا عذرته وأرضع

---

(1) الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٩ – خزانة الحموي ، ج٢ ، ص ٣٩٢ .

(2) المصباح ، ص ٢٤٢ .

الأذواق لبان فهمه ، وكان فارس حلبته " [1].

ويخالف ابن حجه ، ابن معصوم في الرأي حيث يقول : " وقول ابن أبي الإصبع أن هذا النوع من مخترعاته إن أراد أنه أول من عده من أنواع البديع وذكره في كتابه فمسلم به ، وإن أراد أنه أول من اخترعه وسماه بهذا الاسم فليس بصحيح . فإن كتب المتقدمين في علم البيان لا يكاد يخلو كتاب منها من هذا النوع . لكنهم يذكرونه في بحث الاستعارة عند ذكر الاستعارة التهكمية .

وهذا جار الله الزمخشري أقدم من ابن أبي الإصبع بأكثر من مائة سنة نص على هذا النوع في كشافه "[2]

وتأثر ابن مالك بابن أبي الإصبع عند بحثه للتهكم – واضح في ذكره لمعنى التهكم – ويتضح أكثر في أخذه لبعض شواهده .
وفي تعريف ابن مالك للتهكم نراه يعرف بدقه وتفصيل يفوق ما ذكره ابن أبي الإصبع إذ يقول " " التهكم إخراج الكلام ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب وغيره . أو تعريضا بقوة المحرك للغضب . وأصله من تهكمت البئر تهدمت وتهكم الشئ تعيب ، أو من تهكم عليه اشتد غضبه فإن تناهي غضبه ربما عظم كبره فاستهان بالمخاطب واستهزأ به ، وربما أحمى الغضب مزاجه حتى خيل إليه ضد مقتضى الحال " فبنى عليه فأتى في مقام الوعيد والإنذار بالوعد والبشارة . وفي مقام الهجاء بالمدح بكلماته أو

---

[1] الخزانة ، ابن حجة ، ص ٢١٧ .

[2] أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني . (العراق – ١٩٦٨ م) ، ج٢ ، ص ١٩٤ .

كلمات الذم ، وفي مقام تحقيق الخبر بتقليلة ، وفي مقام جحده باثباته وقبوله، وسمى تهكما لتسببه عنه . ثم اطلق التهكم على كل كلام أخرج استهزاءا على ضد مقتضى الحال .

فنجد أن ابن مالك تكلم عن معنى التهكم في اللغة والاصطلاح ويشرحه ثم يوجزه في آخر كلام بأنه " كل كلام أخرج استهزاء على ضد مقتضى الحال"(١).

أما شواهد ابن مالك التي ذكرها هنا إضافة إلى الشواهد التي نقلها عن تحرير التحبير فهي قوله تعالى : { **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** } (٢) ، وقوله تعالى : { **قد نرى تقلب وجهك في السماء** }(٣) ، وقوله تعالى : { **قد يعلم الله المعوقين منكم** } (٤).

فنجد أن التهكم في هذه الآيات الكريمة يكاد يكون خفيا فلم أجد من أشار إلى هذه الآيات واستشهد بها على التهكم سوى ابن مالك .

فالتهكم من الألوان البديعية التي هي صعبة المسلك وتلتبس بغيرها من الألوان الأخرى .

فقوله تعالى : { **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** } .

نجد أن التهكم غير ظاهر في هذه الآية . وقد أشار سيد قطب في ظلال

(١) انظر : المصباح ، ص ٢٤٣ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٢ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٤ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ١٨ .

القرآن إلى ما في الآية من خفي التهكم فقال " ربما ، وفيها التهديد الخفي والاستهزاء الملفوف "[١].

وأشار الطيبي إلى التهكم في الآية وفصّل القول فيه فقال : " استعار ربما للتكثير بعد تشبيه التكثير بالتقليل تهكما ، أو تلميحاً . أي كثيراً ما يودّون ذلك وإنما قلل ليفيد معنى توخّي فرصة الإسلام . أي اغتنموا فرصة الإسلام وسارعوا في تحصيلة . فإنكم لو كنتم تودّون الإسلام مرَّة فبالأحرى أن تسارعوا فيه فكيف والحال ما ذكر "[٢].

فالتهكم في هذه الآية غير واضح ويحتاج إلى إعمال الفكر وكان الأولى بابن مالك أن يوضحه .

أما قوله تعالى : { **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** } .

فأرجح أنه ذكرها بين الآيتين ليس من باب الاستشهاد . وإنما من باب شرح معنى التهكم في كلمة ربما في قوله تعالى : { **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا** } لأن ربما هنا للتقليل مع أن ودادة الذين كفروا كائنة قطعاً وعلى سبيل التحقيق والتكثير وليس على سبيل التقليل والاحتمال .
وتشبهها في هذه الدلالة آية : { **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ** } { **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ** } أعنى في الدلالة على التقليل مع أن رؤية الله تقلب وجه رسوله ﷺ أمر محقق وعلمه بالمعوقين في الأحزاب علم محقق .
ربما تشبه قد في الدلالة وليس في غرض التهكم .

---

[١] في ظلال القرآن ، سيد قطب . (بيروت ، ١٩٨٢م) ، ج ٤ ، ص ٢١٢٦ .
[٢] التبيان ، الطيبي ، ص ٢٣٨ .

" حيث أن التهكم يفهم من لفظه أو من فحواة أو أسـلوبه ، أو مقامـه أن المقصود السخرية والإستهزاء " (١) .

ويقول ابن مالك أنه إخراج الكلام علـى ضـد مقتضـى الحـال استهزاءاً بالمخاطب وغيره . فكيف يكون في هذه الآيـة تـهكم . وهـي خطاب من الله جلّت عظمته إلى رسوله الكريم محمد ﷺ . وهـو خطـاب تتجلّى فيه الرحمة من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ، واستجابته له فـي شأن تحويل القبلة .

{ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** } .

وهو يشي بتلك الرغبة القوية في أن يوجهه ربه إلى قبلة غير القبلـة التـى كان عليها . بعدما كثر لجاج اليهود وحجاجهم . ووجدوا في اتجاه الجماعة المسلمة لقبلتهم وسيلة للتموية والتضليل والبلبلة والتلبيس . فكان ﷺ يقلـب وجهه في السماء ولا يصرّح بدعاء ، تأدباً مع ربّه ، وتحرجـاً أن يقـترح عليه شيئاً أو أن يقدّم بين يديه شيئاً ولقد أجابه ربـه إلـى مـا يرضيـه . والتعبير عن هذه الاستجابة يشي بتلك الصلة الرحيمـة الحانيـة الـودود : { **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** } .

ثم يعين له هذه القبلة التى علم سبحانه أنه يرضاها { **فَـوَلِّ وَجْـهَكَ شَـطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** }

قبلة له ولأمته . من معه منها ومن يأتي بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . (٢)

---

(١) أنوار الربيع ، ابن معصوم ، ج٢ ، ص ١٩٥ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١ ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

وأما قوله تعالى : { **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ** } قد يكـــون فيـــها تـهكم إلا أنه غير واضح ٠ ففي الآية إشارة إلى مكرهم وأنـهم مكشوفون لعلم الله ومكرهم مكشوف ٠ (١)

---

(١) انظر : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٨٤٠ ٠

ما يرجع إلى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه الدال على قوة عارضة المتكلم وتمكنه هو خمسة عشر نوعاً : -

- اللف والنشر ٠

عرفه ابن مالك تعريفاً يكاد يكون قريباً من تعريف السكاكي في المفتاح إلا أنه أكثر إيجازاً منه وكأنه تلخيص له ٠ يقول ابن مالك في تعريفه " أن تلف شيئين في الذكر أو أكثر ثم يتبعهما متعلقات بهما " (١)٠ ويقابله تعريف السكاكي الذي يقول فيه : " أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له " (٢)٠

ثم يستشهد ابن مالك بالآية الكريمة التي استشهد بها السكاكي أيضاً وهي قوله تعالى : { **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } ٠ فالسكون راجع إلى الليل والإبتغاء إلى النهار ٠

ثم ذكر ابن مالك بعد هذا الشاهد شاهدين آخرين لابن حيوس (٣) وهما قوله : -

فعل المدام ولونها ومذاقها   في مقلتيه ووجنتيه وريقة

---

(١) المصباح ، ص ٢٤٦ ٠

(٢) المفتاح ، ص ٤٢٥ ٠

(٣) خزانة الحموي ، ج١ ، ص ١٥٠ - شرح عقود الجمان ، ص ١١٨ ٠

ولم أجد من استشهد به قبل ابن مالك سوى ابن أبي الإصبع في باب الإيضاح [1] وكان هذا البيت إيضاحا للبيت الذي قبله وذكره ابن أبي الإصبع وهو قول الشاعر :

ومقرطق يغني النديم بوجهه   عن كأسه الملأى وعن ابريقه

ثم أوضح اللبس في البيت الثاني الذي ذكره ابن مالك شاهدا على اللف والنشر . ففي الشطر الأول منه لف وفي الثاني النشر .

والشاهد الثاني قوله[2]:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن   وغزال لحظا وقدا وردفا

وقد ابدع ابن مالك وأجاد في استشهاده بهذا البيت حيث أن اللف والنشر جاء مختلفا عن البيت الذي سبقه فلم يأت على الترتيب كما هو معروف ، إنما جاء على العكس فكان اللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف وهو الرمل المستدير .

ونجد أن هذا البيت جاء منسوبا إلى العسكري في الصناعتين مستشهدا به على صحة التفسير .[3]

وهناك من تابع ابن مالك في الاستشهاد بهذا البيت وأنه جاء على غير الترتيب المعروف للف والنشر كالقزويني في الإيضاح [4]، وابن حجه

---

[1] تحرير التحبير ، ص ٥٦٠

[2] البديع ، باب : التفسير ، ابن منقذ ، ص ٧٣

[3] الصناعتين ، ص ٣٥٦ .

[4] الإيضاح ، القزويني ، ج٦ ، ص ٤٣ .

في الخزانة [١] ، والطيبي في التبيان [٢] فقد أخذوا عن ابن مالك هذا القسم من أقسام اللف والنشر وذكروا الشاهد الذي ذكره أيضاً ٠

أما الألوان البديعية التالية : وهي : -

- **التفريق ٠**
- **الجمع ٠**
- **الجمع مع التفريق ٠**
- **الجمع مع التقسيم ٠**

فنجد أن بدر الدين بن مالك رجع فيها إلى مفتاح العلوم ، وبحثه لهذه الألوان البديعية الأربعة جاء مطابقاً لبحث السكاكي لها [٣] .
ولنعرض أحد هذه الألوان لنرى مدى التطابق في التعريف والإستشهاد ٠ وليكن " الجمع مع التفريق " ٠

يقول السكاكي معرفاً له : " وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد ، وتفرّق جهتي الإدخال ، كقوله [٤] :

قد اسود كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا

فإنه شبه الصدغ والخلق بالمسك ، ثم فرق بين وجهي المشابهة كما ترى " [٥].

---

[١] الخزانة ، ابن حجة الحموي ، ج١ ، ص ١٥٣ ٠
[٢] التبيان ، الطيبي ، ص ٤٠٠ ٠
[٣] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ – المصباح ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ ٠
[٤] الطراز ، ج٣ ، ص ١٤٣ ٠
[٥] مفتاح العلوم ، ص ٤٢٦ ٠

ويقابله كلام ابن مالك في معنى الجمع مع التفريق قائلا : " أن تدخل شيئين فصاعدا في معنى ثم تفرق بين جهتي الإدخال كقوله :

قد اسود كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا

فإنه جمع بين الصدغ والخلق والتشبيه بالمسك ثم فرق بين جهتي التشبيه "[1] .

– الإئتلاف :

صنف ابن مالك الإئتلاف إلى سبعة أصناف :

الأول : ائتلاف اللفظ مع المعنى .

الثاني : ائتلاف اللفظ مع اللفظ .

الثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى . وقسمه إلى قسمين : أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران ، أو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له .

الرابع : ائتلاف اللفظ مع الوزن .

الخامس : ائتلاف المعنى مع الوزن .

السادس : ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت .

السابع : الائتلاف مع الاختلاف . وقسمه إلى ضربين :

الأول : ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة .

الثاني : ما كانت المؤتلفة فيه مداخله للمختلفة .

---

[1] المصباح ، ص ٢٤٨ .

- **الصنف الأول : ائتلاف اللفظ مع المعنى ٠**

تابع ابن مالك ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير في بحثه لائتلاف اللفظ مع المعنى ٠ واستخلص من كلام ابن أبي الإصبع في هذا الباب تعريفا لائتلاف اللفظ مع المعنى ٠ يقول ابن مالك في تعريفه : " وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ٠ فإذا كان المعنى فخما كان اللفظ جزلا ٠ وإذا كان المعنى رشيقا كان اللفظ رقيقا ، وإذا كان المعنى أعرابيا كان اللفظ غريبا ٠ وإذا كان المعنى مولدا كان اللفظ مستعملا" [١]٠

وقد أخذ ابن مالك أيضا شواهد ابن أبي الإصبع على هذا الباب ، وهي قوله تعالى : { **قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين** } [٢] ٠

يقول ابن مالك معلقا على الآية " فأتى في مقام تفخيم الخطب وتهويل ما خيف على يعقوب عليه السلام من دوام حزنه وطول أسفه بتفتؤ التى هي أغرب ما في بابها بين أغرب صيغ القسم وألفاظ الهلاك فلاءم بين الألفاظ والمعاني وألف بينهما " [٣]٠

وقول زهير : [٤]

أثا في سفعا في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

---

[١] المصباح ، ص ٢٤٩ - انظر : تحرير التحبير ، ص ١٩٤ ٠

[٢] سورة يوسف ، آية ٨٥ ٠

[٣] المصباح ، ص ٢٤٩ ٠

[٤] ديوان زهير ، ص ٧ - تحرير التحبير ، ص ١٩٥ ٠

فلما عرفت الدار قلت لربعها

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فأتى في البيت الأول لكون معانيه أعرابية بألفاظ متوسطة مناسبة في الغرابة ، وأتي في البيت الثاني لكون معانيه أبين وأقرب إلى العرف بألفاظ مستعمله كثيرة الدور [١].

- الصنف الثاني ائتلاف اللفظ مع اللفظ

وقد عرفه ابن مالك بقوله : " هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معان ، فتختار منها ما بينه وبين بعض الكلام ائتلاف لاشتراك في الحقيقة أو ملاءمة المزاج أو نحو ذلك " [٢] .

وتعريف ابن مالك من أبرز تعريفات ائتلاف اللفظ مع اللفظ وعليه سار أصحاب البديعيات من بعده .

وقد استشهد ابن مالك بقول البحتري [٣] :

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

وقد طابق هذا الشاهد تعريف ابن مالك تمام المطابقة يقول ابن مالك معلقا على الشاهد : " فإن تشبيهه الإبل بالقسي من حيث هو كناية عن وصفها بالهزال يصح معه تشبيهها بالعراجين والأهلة والإطناب وغيرها ،

---

(١) المصباح ، ص ٢٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) ديوان البحتري ، ص ٩٨٧ - خزانة الحموي ، ج٢ ، ص ٤٤٥ .

فاختار مع ذلك كل تشبيهها بالأسهم والأوتار لما بينها وبين القسي من الملاءمة والائتلاف "[١].

فيصح كما قال تشبيهها بالعراجين والاطناب ولكنه اختار الأسهم والأوتار لمناسبة القسي لاشتراك في الحقيقة وهي النحول في كل .

ومن بلاغة هذا الشاهد أيضا أنه جمع بين أكثر من لون بلاغي . يقول ابن مالك " وقد أحسن في هذا البيت ما شاء مما اتفق له فيه من الإيجاز والمبالغة والتتميم وحسن النسق والإئتلاف والإيغال " [٢].

وقد زاد ابن مالك على ما ذكره ابن أبي الإصبع من الألوان البلاغية في هذا الشاهد . يقول صاحب تحرير التحبير في باب الاستقصاء " وإذا وصلت في هذا الباب إلى قول البحتري في صفة انضاء الإبل . وصلت إلى الغاية في الشعر ، لأنه جمع مع الاستقصاء المبالغة والرمي على الترتيب ، على مقتضى البلاغة ، والتتميم في موضعين ، في قوله : " المعطفات " ، وقوله : " مبرية " والإيغال في القافية " [٣].

فابن مالك أشاد بحسن هذا الشاهد لما فيه من الإيجاز والمبالغة والتتميم وحسن النسق والائتلاف والإيغال .

وقد استشهد ابن مالك أيضا بقول المتنبي [٤] :

على سابح موج المنايا بنحره   غداة كان النبل في صدره وبل

---

(١) المصباح ، ص ٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) تحرير التحبير ، ص ٥٤٢ .

(٤) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ١٨٦ – خزانة الحموي ، ج١ ، ص ٣٦٨ .

وقول ابن رشيق [1]:

أصح وأقوى ما رويناه في النـــدى   من الخبر المـــأثور منـــذ قديـــم
أحاديث ترويها السيول عن الحيـــا   عن البحر عن جود الأمير تميـــم

ونجد أن هذين الشاهدين من أمثلة المناسبة المعنوية عند ابن أبـــي الإصبع في تحرير التحبير ، إذ يقول " ومن أمثلة المناسبة المعنويـــة فـــي الشعر قول المتنبي :

على سابح موج المنايا بنحـــره   غداة كأن النبل في صدره وبـــل

فإن بين لفظه السباحة ، ولفظة الموج ، ولفظة الوبل تناسبا معنويـــا صار البيت به متلاحما شديد ملاءمة الألفاظ ٠ وأحســـن منـــه قـــول ابـــن رشيق:-

أصح وأقوى ما رويناه في النـــدى   من الخبر المـــأثور منـــذ قديـــم
أحاديث ترويها السيول عن الحيـــا   عن البحر عن جود الأمير تميـــم

وهذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية ، لأنه ناســـب بيـــن الصحة والقوة ، والرواية والخبر المأثور ، والقدم مناسبة معنويـــة إذ هـــذه الألفاظ يناسب بعضها بعضا " [2].

فنقول متى كان البيت متلاحما شديد ملاءمـــة الألفـــاظ ٠ وكـــانت الألفاظ مناسبة لبعضها البعض كان هناك ائتلاف بين اللفظ واللفظ ، وصـــار البيت محكم النسج مؤتلف الألفاظ ٠

وهذا أحد أصناف الإئتلاف وهو ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، كما ذكر ذلك ابـــن مالك ٠

---

[1] الطراز ، ج٣ ، ص ١٤٧ – خزانة الحموى ، ج١ ، ص ٣٦٨ ٠

[2] تحرير التحبير ، ص ٣٦٦ ٠

- **الصنف الثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى .**

وقسمه ابن مالك إلى قسمين :

الأول : أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران . أحدهما ملائم والآخر بخلافه فتقرنه بالملائم .

والثاني : أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فتقرن به منهما ما لاقترانه به مزية .

ونجد أن هذا التقسيم لم يسبق إليه ابن مالك على حد علمي . والقسم الأول الذي ذكره ابن مالك استشهد عليه بقول المتنبي[1] .

فالعرب منه مع الكدري طائرة   والروم طائرة منه مع الحجل

إلا أن ابن مالك لم يعلق على هذا البيت ويبين موضع الشاهد فيه .

وقد أحسن العلوي في الطراز عند تعليقه على هذا الشاهد إذ يقول " أنه يصف انهزام الناس من خوفه وشدة سطوته ، فالكدري والحجل طائران، لكن الكدري أكثر ما يكون في الصحاري والقفار والمغازات ، فضمه مع العرب ، لأن أكثر ما يسكنون هذه المواضع ، وضم الحجل إلى الروم لأنها أكثر ما تأوي إلى الأمواه وشطوط الأنهار . وبلاد الروم فيها الأنهار الكثيرة ، فلأجل هذه المناسبة والتزامها ضم كل واحد إلى ما يليق به ويناسبه بعض مناسبة [2].

[1] ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ٨٢ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٠ .
[2] الطراز ، العلوي ، ج٣ ، ص ١٥٠ .

أما القسم الثاني الذي ذكره ابن مالك فقد عرف عند من سبقه من البلاغيين بالتوهم أو قطع النظير عن النظير . دل على ذلك الشواهد التي ساقها تحت هذا القسم .

وقد ورد في الكشاف للزمخشري بعد الآية الكريمة التي استشهد بها ابن مالك وهي قوله تعالى : { **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** } [1]. قال " ذكر تعالى الأصناف التي بها قوام الإنسان .. الخ " . قال أحمد : تنبيه حسن . وفي الآية سر بديع مع البلاغة يسمى قطع النظير عن النظير ، وذلك أن قطع الظمأ من الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كل بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة . وذكر قول المتنبي [2] :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

يقول : " فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطع الشئ عن نظيره، ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبي الطيب من هذا المعنى الطائل البديع "[3] .

---

(1) سورة طه ، الآية ١١٨ – ١١٩ .

(2) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ٣٨٦ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٤٨ .

(3) انظر : الكشاف ، الزمخشري ، ج٢ ، ص ٥٥٦ .

وقد علق ابن مالك على هذه الأبيات بقوله : -

" فإن عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين ، ولكنـــه اختـــار ذلـــك الترتيب لأمرين : -

أحدهما أن قوله : :انك في جفن الردى وهو نائم . مسوق لتمثيل الســـلامة في مقام العطب ، فجعله مقررا للوقوف والبقاء في موقـــف يقطـــع علـــى صاحبه بالموت فيه أنسب من جعله مقررا لثباته حال هزيمة الأبطال والثاني أن يكون في تأخير التتميم بقوله : ووجهك وضاح وثغرك باسم "[1] .

وقد ساق ابن أبي الإصبع في بديع القرآن هذين الشـــاهدين ، فـــي باب التوهيم . يقول حكاية عن الثعالبي في يتيمة الدهر .. " وقـــد حكـــى الثعالبي في " اليتيمة " أن سيف الدولة بن حمدان أعترض على المتنبي فـــي قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقـــــــف
كأنك في جفن الردى وهو نائـــــــم
تمر بك الأبطال كلمـــــــــى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باســـــــــم

يقول : " فاعترضه سيف الدولة بأنه ليس فيه قطـــع الشـــئ عـــن نظيره، ولكنه على فطنته قصر فهمه عما طالت إليه يد أبي الطيب من هـــذا المعنى الطائل البديع " [2] .

---

(1) المصباح ، ص ٢٥٣ .

(2) انظر : الكشاف ، الزمخشرى ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .

وقد ساق ابن أبي الإصبع في بديع القرآن هذين الشاهدين ، في باب التوهيم ٠ يقول حكاية عن الثعالبي في يتيمة الدهر ٠٠ " وقد حكى الثعالبي في " اليتيمة " أن سيف الدولة بن حمدان أعترض على المتنبي في قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال كلاما معناه : أنك فعلت في تركيب صدر البيت الأول على عجز يصلح أن يكون عجز الصدر الثاني وبالعكس ٠ وتلا قوله تعالى : { **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** } ، وذكر فيها ما يدل على توهمه فيها عدم الملاءمة ٠ ثم يقول : وقد تكلمت على الشعرين ، واستدللت على أنهما لا عيب فيهما ، وأن ألفاظهما مؤتلفة بمعانيهما ، ملائم بعضها لبعض " [1].

- الصنف الرابع : ائتلاف اللفظ مع الوزن ٠

يقول ابن مالك : وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى والوزن من غير حاجة إلى تقديم وتأخير يمتنع مثله في السعة " [2] وقصد بقوله " في السعة " أي بدون الأخذ بضرورة الوزن والاهتمام به على حساب الألفاظ ونقصانها

(1) بديع القرآن ، ص ١٣٩ ٠
(2) المصباح ، ص ٢٥٤ ٠

وزيادتها وتقديمها وتأخيرها وهو نفس المعنى الذي نقله ابن أبي الإصبع عن قدامه في نقد الشعر[1] ، ثم نجد أن ابن مالك قد نقل عن ابن أبي الإصبع شواهده التي ساقها في هذا الباب من مثل قول الشاعر [2] :

وما مثله في الناس إلا مملكا
أبو أمه حي أبوه يقاربه

فأبن مالك لم يأت بجديد في هذا المبحث وهو متأثر بما ورد في تحرير التحبير ،

- الصنف الخامس : ائتلاف المعنى مع الوزن ،

يقول ابن مالك " وهو أن يأتي الشاعر باللفظ والوزن من غير حاجة إلى إخراج المعنى عن وجه الصحة " [3] ، وهذا المعنى مطابق لما ذكره ابن أبي الإصبع الذي يقول : " وهو أن تأتي المعاني في الشعر على صحتها ، لا يضطر الشاعر الوزن إلى قلبها عن وجهها ، ولا خروجها عن صحتها "[4] ،

أما ما استشهد به ابن مالك على هذا الصنف فهو نفس الشاهد الذي ذكره ابن أبي الإصبع في نهاية هذا الباب وهو قول عروة بن الورد [5]:

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٢٢١ - نقد الشعر ، قدامه ، ص ١٦٦ ،

(2) الإيضاح ، ج١ ، ص ٣٢ - نهاية الإيجاز ، الرازي ، ص ٢٧٩ ،

(3) المصباح ، ص ٢٥٥ ،

(4) تحرير التحبير ، ص ٢٢٣ ،

(5) سر الفصاحة ، ص ١١٤ - تحرير التحبير ، ص ٢٢٣ - الإيضاح ، ج٢ ، ص ٩٩ ،

فإني لو شهدت أبا خبيـــــــــــــب
غداة غدا بمهجته يفـــــــــــــــوق
فديت بنفسه نفسي ومالـــــــــــــــي
وما آلوه إلا ما أطيـــــــــــــــــق

أراد فديت نفسه بنفسي ولكنه اضطر فقلب المعنى لإصلاح الوزن.
وقد استشهد أيضا بقول المتنبي (١) :

خرجوا به ولكل باك خلـــــــــــفه
صعقات موسى يوم دك الطـــــــور

فجمع الصعقه ، وإن لم يكن لموسى عليه السلام إلا صعقة واحدة ، توصلا إلى الوزن .
ولم أجد من استشهد بهذا الشاهد قبل ابن مالك .

- الصنف السادس : ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت

يقول ابن مالك : " ويسمى التمكين : وهو أن يكون لقافية البيـت أو سجعة الفقرة تعلق بما قبلها وفيه تمهيد لها ودلالة منه أو من بعض جملـــة عليها ، فتكون ممكنة في مكانها مستقرة في موضعها " (٢) .

ونجد أن ابن مالك تابع ابن أبي الإصبع في تعريفه وســـمى هـــذا الصنف من أصناف الإئتلاف بالتمكين وإلى ذلك أشار ابن أبي الإصبـع ، إذ

---
(٤) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص ١٢٩ .
(٢) المصباح ، ص ٢٥٦ .

يقول : " وهو الذي سماه من بعد قدامه التمكين " [1]. كأبن الأثير الحلبـي ، والحموى ، والسيوطي ، والمدني .

ومن شواهد هذا الصنف من أصناف الإئتـلاف قولـه تعـالى : { **قالو ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين** }[2] .

ومن أمثلته الشعرية قول أبي تمام[3] : -

ومن يأذن إلى الواشين تسلق   مسامعه بألسنة حـــداد

أما شواهد ابن مالك التي ساقها على هذا الصنف من الإئتلاف فهي منقولة عن ابن أبي الإصبع في باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليـه سـائر البيت [4].

أما الشاهد الذي لم يرد في تحرير التحبير وأورده ابن مالك ، وكان أول شاهد يذكره بعد التعريف فهو قوله تعالى : { **إن الذين آمنوا وعملـوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** } [5] .

وهذا الشاهد مطابق لمعنى التمكين الذي ذكره ابن مالك .

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٢٢٤ .

(2) سورة يس ، الآية ١٦ ، ١٧ .

(3) ديوان أبي تمام ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

(4) انظر : تحرير التحبير ، ص ٢٢٥ إلى ص ٢٢٧ .

(5) سورة الكهف ، آية ١٠٧ .

- الصنف السابع : الإئتلاف مع الاختلاف ٠

وقد قسمه ابن مالك إلى ضربين :

الأول : ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة ٠

الثاني : ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة٠

ونجد أن ابن مالك قد انفرد بهذا النوع من أنواع الإئتلاف وبتقسيمه إلى هذين القسمين ٠

تقول الدكتورة إنعام فوال في المعجم المفصل في علوم البديع والبيان والمعاني في معنى الائتلاف : " من ألف الشيء ! وصل بعضه ببعض : جمعه ، والاختلاف ضد الموافقة ٠ انفرد في هذا النوع كل من ابن مالك والعلوي وجعلاه على ضربين " [١]٠

ويقول أحمد مطلوب بعد حديثة عن الإئتلاف وأضربه وشواهده " وبذلك يكون ابن مالك والعلوي قد انفردا بهذا الفن – كما تذكر المصادر التي بين أيدي الباحثين " [٢] ٠

أما ما ذكره ابن مالك من شواهد على هذا النوع فشاهدان :
الأول : استشهد به على الضرب الأول من أضرب الإئتلاف وهو قول الشاعر [٣] :

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله
وإن قيل عيش بالسدير غزير

---

[١] المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، إنعام عكاوى ، ص ١٤ ٠

[٢] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د٠ أحمد مطلوب ، ص ٢٤ ٠

[٣] الصناعتين ، ص ٤١٨ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٥١ ٠

به البق والحمى وأسد تحفـــــــــــــه

وعمرو بن هند يعتدي ويجـــــــــــور

وهذا الشاهد ورد قبل ابن مالك استشهد به صاحب الصناعتين فـــي الباب التاسع من كتابه في جمع المؤتلف والمختلف يقول في تعريفه " وهـــو أن تجمع كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو مؤتلفة " (١).

أما الشاهد الثاني عند ابن مالك والذي استشهد به علـــى الضـــرب الثاني للإئتلاف فهو قول العباس بن الأحنف (٢) :

وصالكم هجر وحبكم قـــــــــــلى

وعطفكم صد وسلمكم حــــــــــرب

ونجد أن هذا الشاهد ذكره ابن أبي الإصبع في باب جمع المختلفـــة والمؤتلفه ٠

ومع أن ابن أبي الإصبع وأبا هلال العسكري قـــد بحثـــا جمـــع المختلفـــة والمؤتلفه فإن لكل منها تفسيرا يختلف عن صاحبه ٠ يقول ابن أبي الإصبـــع مشيرا إلى أبي هلال العسكري : " رأيت من المؤلفين من فسر هذه التسـمية بما لا يليق بها ٠ وقد استشهد عليها بشواهد من جنس ما فسر به " ٠

وقد أشار الدكتور حفني محمد شرف إلى أن ابن أبي الإصبع قـــد قصد أبا هلال العسكري إلا أنه قد جانبه الصواب فتعريـــف أبـــي هـــلال

---

(١) الصناعتين ، ص ٤١٧ ٠

(٢) الطراز ، ج٣ ، ص ١٥١ – العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٠٧ ٠

وشواهده لا يمكن أن توصف بأنها لا تليق بأي حال من الأحوال حتى وإن خالف ابن أبي الإصبع .

ولعل ابن مالك عند بحثه للائتلاف مع الاختلاف قد جمع بين أبي هلال العسكري وابن أبي الإصبع في تفسيرهما له .

يقول ابن أبي الإصبع " ومن جمع المختلفة والمؤتلفة ضرب يأتي الشاعر فيه بأسماء مؤتلفة ثم يصفها بصفات مختلفة . ثم يستشهد بقول العباس بن الأحنف الذي سبق ذكره . ويقول " أن الوصل والحب ، والعطف والسلم من المؤتلفة ، والعدم والقلى والصدّ والحرب من المختلفة"[1]. فنقول أن هذا الضرب الذي ذكره ابن أبي الإصبع هو الضرب الثاني عند ابن مالك وهو ما عبرّ عنه بقوله " ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة " [2] .

أما الضرب الأول الذي ذكره ابن مالك وهو ما كانت فيه المؤتلفة بمعزل عن المختلفة فقد طابق الشاهد الذي استشهد به ابن مالك تمام المطابقة . والذي ورد أيضاً ضمن شواهد أبي هلال العسكري وطابق تعريف أبي هلال لجمع المؤتلفة والمختلفة تمام المطابقة والذي يقول " هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو مؤتلفة " .

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٣٤٦ .

(2) المصباح ، ص ٢٥٩ .

وأخيراً نقول إن ابن مالك قد انفرد بهذا الصنف من أصناف الإئتلاف وفي تقسيمه إلى قسمين حتى وإن اعتمد على كتب بلاغية سابقة في استقاء مادته ٠ أضف إلى ذلك أن ابن مالك قد قسم الإئتلاف إلى سبعة أصناف وبحث جميع أصنافه في مبحث واحد ٠ ولم يسبق إلى ذلك من قبل٠ فقد جاءت أصناف الإئتلاف متفرقة عند العلماء ٠ وفي أبواب ومباحث يبعد بعضها عن بعض ٠

ونجد أن العلوي في الطراز قد تابع ابن مالك في المصباح ، في تقسيمه وفي شواهده ، إلا أنه لم يقسمه إلى سبعة أصناف إنما إلى أربعة أصناف وهي : " تأليف اللفظ مع المعنى ٠ ائتلاف اللفظ مع اللفظ ٠ ائتلاف المعنى مع المعنى ٠ الائتلاف مع الاختلاف وقسمه إلى قسمين متابعاً ابن مالك في ذلك " ٠ وبعد ذكر العلوي لهذه الأقسام نجده يقول " فهذا ما أوردنا ذكره من الائتلاف ، وبعد هذه الأقسام أمور تتعلق بالقوافي الشعرية ، وليس وراءها كبير فائدة فأعرضنا عنها لقلة جدواها " [(١)]
ولعله يشير إلى الأقسام الأخرى التي ذكرها ابن مالك وهي " ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ائتلاف المعنى مع الوزن ، ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت " ٠ فالعلوي يرى قلّة جدواها ٠ بينما ابن مالك جمع كل ما يتعلق بالإئتلاف من أصناف في مبحث واحد وهذا هو الصواب ٠

---

(١) الطراز ، العلوي ، ج٣ ، ص ١٥١ ٠

- **التورية :**

سمى ابن مالك هذا اللون البديعي بالتورية وهذه هي أفضل تسميه له • ويقال لهذا اللون البديعي الإيهام ، والتوجيه ، والتخيير • والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى ، لأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر •[1]

وعرف ابن مالك التورية بقوله : " وتسمى التوجيه وهي أن يكون للفظ معنيان : قريب وبعيد ، فتذكره موهما إرادة القريب وأنت تريد البعيد"[2] •

وقد اجمع علماء البلاغة على هذا المعنى للتورية • أما جديد ابن مالك هنا فهو تقسيمه التوريه إلى أربعة أقسام وهي :
التورية المجردة ، والتورية المرشحة بما قبلها ، والتورية المرشحة بما بعدها ، والتورية المرشحة بلفظين •

ونجد أن ابن مالك قد أعد العلماء من بعده للتكثير من أقسامها • فقد قسم ابن حجة الحموي التورية إلى عدة أقسام وهي : التورية المجردة ، والتورية المرشحة وقسميها • والمبنية وقسميها ، والمهيأة وأقسامها •
ويقول مشيرا إلى ابن أبي الإصبع في أنه لم يذكر في كتابة المسمى

---

(١) الخزانة لابن حجة الحموي ، ج٢ ، ص ٣٩ •

(٢) المصباح ، ص ٢٦٠ •

" بتحرير التحبير " نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها ، مع أن كتابة ما وضع في هذا الفن له نظير ، بل قال : التورية وتسمى التوجيه ، وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليه ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله ، وأما صاحب التلخيص فإنه قال ، مشيرا إلى البديع ، ومنه التورية ، وتسمى الإيهام أيضا ، وهي أن يطلق لفظ له معنيان ، قريب وبعيد ، وهي ضربان : مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيئا .

وإذا أردت ما وعدت بإيراده من طلاوة المتأخرين في التورية ، شرعت في الكلام على أنواعها وأقسامها ، ليسير ركب الأدب في طرقها المتشعبة بدليل ، ويصير لديباجة هذا النوع تفصيل ، وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعدة .[1]

أما شواهد ابن مالك فنجده استشهد على كل قسم من أقسام التورية بشاهد أو شاهدين وقد أحسن وأجاد في تعليقه على الشواهد التي ذكرها . وقد وافقت شواهده الأقسام التي ذكرها تمام الموافقة .

إلا أنه في الضرب الأول وهو التورية المجردة استشهد بقول أبي الفضل عياض [2] :

كأن كانون أهدى من ملابسه ... لشهر تموز أنواعا من الحلل
أو الغزاله من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدي والحمل

---

[1] الخزانة ، ابن حجة الحموي ، ج٢ ، ص ٤٥ .
[2] تحرير التحبير ، ص ٢٧٠ – الإيضاح ، ج٦ ، ص ٤٠ .

وفي هذا الشاهد توريه مرشحه لم يشر إليها ابن مالك وهـــي فـــي قوله الغزالة ٠ فالمراد منها المعنى البعيد وهو الشـــمس ٠ وهـــي توريـــه مرشحة بما بعدها ٠

وأما استشهاد ابن مالك بهذا البيت على التورية المجـــردة فلعلـــه يقصد " الجدي والحمل " ففي ذلك تورية مجردة ٠ إلا أن التورية المرشـــحة هنا أولى بالذكر ٠

وقد أشاد ابن أبي الإصبع بقيمة هذا الشاهد وعلو شأنه في التورية ٠ فقـــال: " وما رأيت لعربي ولا لعجمي مثل تورية وقعت للقاضي عياض صـــاحب [الشفا في تعريف حقوق المصطفى] " (١)٠

- القسم :

القسم وهو الحلف وقد اتفق معظم علماء البلاغة على تعريفه ومنهم ابن مالك الذي عرفه بقوله " أن تحلف على شئ بما فيه فخـــر أو مـــدح أو تعظيم أو تغزل أو زهد أو غير ذلك " (٢) ٠

وقد ذكر هذا التعريف قبل ابن مالك ابن أبي الإصبع في تحريـــــر التحبير إذ يقول " أن يريد الشاعر الحلف على شئ ، فيحلف بما يكون لـــــه مدحا ، وما يكسبه فخرا ، أو ما يكون هجاءا لغيره أو وعيدا له ، أو جاريـــا مجرى التغزل والترقق " (٣) ٠

---

(١) تحرير التحبير ، ص ٢٦٩

(٢) المصباح ، ص ٢٦٢ ٠

(٣) تحرير التحبير ، ص ٣٢٧ ٠

أما العلوى في الطراز والذي يعد متأخرا عن ابن مالك فقد طابقه في تعريفه وكأنه قد نقله عن المصباح حيث يعرفه بقوله " أن يحلف على شئ بما فيه فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهد أو غير ذلك " [1].

أما أفضل تعريف للقسم فهو ما ذكره أسامة بن منقذ في نقد الشعر حيث عرفه بقوله " اعلم أن محاسن الشعر الأقسام الشريفة للمعاني اللطيفة"[2] فهكذا يجب أن يكون القسم شريفا والمعاني لطيفة بعيدة عن الابتذال .

أما شواهد ابن مالك فنجد أنه قد استشهد على الفخر والمدح والتعظيم بشاهد أو أكثر وجميع هذه الشواهد سبقه إليها علماء البلاغة قبله وقد وردت مجتمعة في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع [3] ، وقد نقلها ابن مالك عنه .

ومن أمثلة تلك الشواهد قوله تعالى : { **لعمرك إنهم لفي سكرتهم** يعمهون}[4] أقسم سبحانه وتعالى بحياة رسوله تعظيما لقدرة وتبينا لمكانته عنده " [5]

ويقول صاحب تحرير التحبير : " أقسم سبحانه بحياة نبيه ﷺ ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه سبحانه " [6].

---

(1) الطراز ، العلوي ، ص ١٥٤ .

(2) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ١٤٠ .

(3) تحرير التحبير ، ص ٣٢٧ إلى ٣٢٩ .

(4) سورة الحجر ، الآية ٧٢ .

(5) المصباح ، ص ٢٦٣ .

(6) تحرير التحبير ، ص ٣٢٩ .

ما عدا شاهد واحد استشهد به ابن مالك على الغزل وهو قول عمر بن أبي ربيعه[1]:

قالت وعيش أخي وحرمة والدي لا نبهن الحـــي إن لـــم تخـــرج

فخرجت خيفة قولـــها فتبســـمت فعلمت أن يمينـــها لـــم تحـــرج

فضممتها ولثمتها وفديـــت مـــن حلفت علي يمين غير المحـــرج

فابن أبي الإصبع لم يستشهد على التغزل وإنما اقتصر على المـدح والفخر والتعظيم وهذا الشاهد الذي ذكره ابن مالك على الغزل يكاد يكـــون بعيدا عن الأقسام الشريفه وكان الأولى به أن لا يسوق هذا الشاهد .

- المراجعة :

يقول ابن مالك في تعريفه للمراجعة : " أن يحكي المتكلم مراجعـة في القول ومجاورة جرت بين غيره وبينه بأوجز عبارة وأعذب لفظ " [2].

وتعريف ابن مالك هذا نقله عن ابن أبي الإصبع بلفظه ، وأخذ عنه أيضا هذه التسمية . يقول معرفا المراجعة : " وهـــو أن يحكـي المتكلـم مراجعة في القول ، ومحاورة في الحديث جرت بينه وبين غـــيره أو بيـــن اثنين غيرة بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ " [3].

(1) ديوان عمر بن أبي ربيعه ، ص ٤٣ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٥ - خزانة الحموي ، ج١ ، ص ٣٢٣ .
(2) المصباح ، ص ٢٦٤ .
(3) تحرير التحبير ، ص ٥٩٠ .

وهذا الباب ضمن الأبواب التي ذكر ابن أبي الإصبع أنها من مخترعاته وأنه استنبطها • فبالتالي لم يكن أمام ابن مالك سوى تحرير التحبير فاعتمد عليه في بحثه للمراجعة كما اعتمد عليه في بحثه لمعظم ألوان البديع • إلا أن ابن مالك لم ينقل عن ابن أبي الإصبع جميع ما جاء في باب المراجعة إنما نقل عنه التعريف وشاهدين من شواهده أحدهما لأبي نواس والآخر للبحتري • وأشار ابن أبي الإصبع إلى أنهما من جيد أمثلة هذا الباب وأشار أيضا إلى لطافة أبيات البحتري وأن إليها تنتهي الرياسة في هذا الباب [1].

أما الشاهد الذي كان أول شواهد ابن مالك على هذا اللون البديعي فهو لوضاح اليمن من أبيات طويلة يقول في مطلعها [2]:

قالت ألا لا تلجن دارنا ... إن أبانا رجل غائر

أما رأيت الباب من دوننا ... قلت فإني واثب ظافر

قالت فإن القصر من دوننا ... قلت فإني فوقه طائر

•••• الخ الأبيات وهي من جيد أمثلة المراجعة ، وقد أجمع علماء البديع على استحسانها •

---

(1) المصدر السابق ، ص ٥٩١ – ٥٩٢ •

(2) الطراز ، العلوي ، ج ٣ ، ص ١٥٢ – خزانة الأدب ، الحموى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ •

- **الإدماج :**

تابع ابن مالك ابن أبي الإصبع في تسميته لهذا اللون البديعي بالإدماج وإفراده في البحث عن التعليق الذي ارتبط به عند بعض البلاغيين. فابن منقذ في بديعه يبحث التعليق والإدماج في باب واحد [١]. وصاحب الصناعتين بحث التعليق والإدماج تحت باب واحد سماه المضاعفة[٢]. أما ابن رشيق في العمدة فجعل الإدماج نوعا من الاستطراد، ولم يذكر المقصود بالإدماج . يقول : " ومن الإستطراد نوع يسمى الإدماج"[٣] . وفي التبيان لم يفرق الطيبي بين الإدماج والتعليق [٤]. أما ابن مالك في المصباح فقد سار على منهج ابن أبي الإصبع في بحثه فأفرد كلا من التعليق والإدماج بالبحث . والفرق بينهما واضح ، وقد ذكره ابن أبي الإصبع ، إذ يقول : " والفرق بين التعليق والإدماج ، أن التعليق يصرح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما ، والإدماج يصرح فيه بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود " [٥] .

أما جديد ابن مالك هنا فهو تقسيمه الإدماج إلى قسمين كعادته في كثرة التقسيمات . فقد قسمه إلى ضربين :

الأول : أن يتضمن التصريح بمعنى من فن كناية عن معنى من فن آخر .

الثاني : أن يقصد المتكلم إلى نوع من البديع فيجئ في ضمنه بنوع آخر .

---

(١) البديع ، أسامة بن منقذ ، ص ٥٨ .

(٢) الصناعتين ، ص ٤٤١ .

(٣) العمدة ، ابن رشيق ، ج١ ، ص ٦٣١ .

(٤) التبيان ، الطيبي ، ص ٣٩٠ .

(٥) تحرير التحبير ، ص ٤٥١ .

وأقسام الإدماج عند ابن مالك قد استنبطها من بحث ابن أبي الإصبع للإدماج ، حيث أن الجزء الأول الذي عرف فيه ابن أبي الإصبع الإدماج بقوله : " وهو أن يدمج المتكلم غرضا له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتمه معناه الذي قصد إليه "[1] . واستشهد ببيتين وهما قول عبد الله بن عبد الله لعبد الله بن سليمان [2] :

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهم المقدم

أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلاف الأحوال في التهيئة ، فأحسن التخيل في بلوغ غرضه ، وتلطف في المسألة مع صيانه نفسه عن التصريح بالسؤال لا جرم أنه فطن له سليمان فوصله واستعمله .[3]

وقول ابن نباته السعدي [4] :

ولا بد لي من جهلة في وصاله فمن لي بخل أودع الحلم عنده

نقول أن هذا هو الضرب الأول عند ابن مالك .

أما الجزء الثاني من كلام ابن أبي الإصبع وهو قوله : " ومثل هذا الإدماج ما وقع لبعض الأندلسيين في قوله [5]:

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ٦٠ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٧ - تحرير التحبير ، ص ٤٤٩

(٣) المصباح ، ص ٢٦٧ .

(٤) الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٨ - تحرير التحبير ، ص ٤٥٠ - الإيضاح ، ج٦ ، ص ٨٠ .

(٥) الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٩ .

أأرضى أن تصاحبنى بغيضا مجاملة وتحملني ثقيلا
وحقك لآرضيت بذا لأني جعلت وحقك القسم الجليلا

يقول ابن أبي الإصبع : " والبيت الثاني أردت لأنه أدمج فيه الغزل في العتاب من الفنون ، والمبالغة في القسم من البديع " ثم استشهد بقوله تعالى : { **له الحمد في الأولى والآخرة** }[1] . فنقول أن هذا الجزء من كلام ابن أبي الإصبع وشواهده هو الضرب الثاني عند ابن مالك . فكلامه موافق لكلام ابن أبي الإصبع وشواهده أيضا وتعليقه على الشواهد [2].

وأخيرا نقول أن جميع شواهد ابن أبي الإصبع في هذا الباب قد نقلها ابن مالك عنه حيث جاءت في المصباح على نفس الترتيب في تحرير التحبير إضافة إلى أن تعليق ابن مالك موافق لتعليق ابن أبي الإصبع على هذه الأبيات .

وقد تابع العلوي في الطراز ابن مالك وقسم الإدماج إلى قسمين وذكر نفس الشواهد الواردة عند ابن مالك في المصباح .[3]

- التعليق .

ذكر السكاكي هذا اللون من ألوان البديع في المفتاح ضمن البديع المعنوي . إلا أنه بحثه تحت اسم الإستتباع . وعرفه بقوله : " وهو المدح

---

[1] سورة القصص ، آية ٧٠ .

[2] تحرير التحبير ، ص ٤٥٠ – ٤٥١ ، وينظر المصباح ، ابن مالك ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

[3] الطراز ، ج٣ ، ص ١٥٧ .

بشئ على وجه يستتبع مدحا آخر " [1].

وبحثه أبو هلال العسكري في الصناعتين تحت اسم المضاعفة [2].

وهناك من بحث التعليق والإدماج تحت باب واحد كـابن منقـذ فـي نقـد الشعر [3].

إلا أن ابن مالك في المصباح بحثه تحت اسم التعليق وقسمه إلـى قسمين :

الأول : أن تأتي في شئ من الفنون بمعنى تام فيه توطئة لما تذكره بعده من معنى آخر . إما من ذلك الفن وإما من فن آخر كقـول المتنبـي (صفـة الليل) [4]:

أقلب فيه أجفاني كأنـي   أعد به على الدهر الذنوبا

فعلق فن عتاب الزمان بفن الغزل اللازم من الوصف

الثاني : أن يتضمن التعليق بالشرط وراء التلازم الدلالة على زيادة المبالغة، كقول أبي تمام :[5]

فإن أنا لم يحمدك عني صاغرا   عدوك فاعلم أنني غير حامـد

فإنه كنى بتعليق عدم حمده لممدوحه على عدم حمد عـدوه صـاغرا عـن المبالغة ، وعلو همته واقتدار ممدوحه على كثرة العطاء [6].

---

(1) المفتاح ، ص ٤٢٨ .

(2) الصناعتين ، ص ٤٤١ .

(3) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، ص ٥٨ .

(4) ديوان المتنبي ، ج١ ، ص ١٤٠ – تحرير التحبير ، ص ٤٤٥ .

(5) ديوان أبي تمام ، ج٢ ، ص ٧٧ .

(6) المصباح ، ص ٢٦٨ .

ونجد أن ابن مالك في بحثه للتعليق وفي تسميته وتقسيمه واستشهاده متأثر بابن أبي الإصبع في تحرير التحبير ، وناقلا عنه مع الإيجاز والإختصار .(1)

- حسن الابتداء .

عرفه ابن مالك بقوله " أن يكون مطلع القصيدة أو غيرها مع عذوبة لفظه وسهولة سبكة صحيح المعاني متناسب القسمة ، وأحسنه ما تضمن معنى ما سبق الكلام لأجله ، ويسمى براعة الإستهلال " (2).

وتعريف ابن مالك هذا قريب من تعريف ابن الأثير الذي يقول أن المقصود به " أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام وهذا هو براعة الإستهلال " . وقد بحثه ابن الأثير تحت اسم " المبادئ والإفتتاحات " (3) .
وكذلك سماه صاحب الصناعتين وبحثه في باب " ذكر المبادئ " (4).

وبحثه ابن منقذ تحت باب " المبادئ والمطالع " (5) . أما ابن مالك فبحثه تحت اسم حسن الابتداء ، متابعا لابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الذي سماه بـ " حسن الابتداءآت " (6) .

---

(1) تحرير التحبير ، ص ٤٤٣ إلى ص ٤٤٨ .
(2) المصباح ، ص ٢٦٩ .
(3) المثل السائر ، ص ٢٢٣ .
(4) الصناعتين ، ص ٤٥١ .
(5) البديع ، ابن منقذ ، ص ٢٨٦ .
(6) تحرير التحبير ، ص ١٦٨ .

أما فيما يتعلق بالشواهد فجميع الشواهد التي ساقها ابن مالك على هذا البحث وردت في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع مثل قول امرئ القيس [(١)]:

خليلي مرابي على أم جندب نقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقول النابغة [(٢)] :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطئ الكواكب

فنجد أنه قد اعتمد عليه في بحثه لهذا اللون من ألوان البديع ، وتأثر به تأثرا واضحا ولم يضف سوى شاهد واحد إلى ما نقله عن تحرير التحبير وهو قول المتنبي [(٣)] :

أتظنني من زلة أتعتب قلبي أرق عليك مما تحسب

ويختتم ابن مالك بحثه لحسن الابتداء بقول قريب من عبارات ختم بها ابن أبي الإصبع هذا الباب وهي قوله : " وإذا نظرت إلى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن وأنواع الإشارة ما يقصر عن كنه وصفه العبارة " [(٤)].

ويقابله قول ابن أبي الإصبع " وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه " [(٥)].

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ج١ ، ص ٤٧ - تحرير التحبير ، ص ١٦٩ - المصباح ، ص ٢٦٩ .

(٢) ديوان النابغة ، ص ٤٠ - تحرير التحبير ، ص ١٦٨ - المصباح ، ص ٢٦٩ .

(٣) ديوان المتنبي ، ج٣ ، ص ٣٦٢ .

(٤) المصباح ، ص ٢٧١ .

(٥) تحرير التحبير ، ص ١٧٢ .

- **حسن التخلص ٠**

يقول ابن مالك في تعريفه لحسن التخلص " أن يمزج الشاعر آخر ما يقدمه من البسط أمام المدح أو غيره من نسيب أو أدب أو فخر أو نحو ذلك من الفنون بأول المدح ٠ ويلائم بينهما في بيت أو بيتين أو ثلاثة ٠ وهو قليل في أشعار المتقدمين " [١].

وتعريف ابن مالك هذا يكاد يكون قريبا من تعريف ابن أبي الإصبع، أو نقول أنه مطابق له ، والذي يقول في تعريفه : " وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح ٠ وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين ، وقد يقع في بيت واحد ، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم ، فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها " [٢].

فنلاحظ أن ابن مالك قد تابع ابن أبي الإصبع في تعريفه له إلا أنه خالفه في التسمية ٠ إذ سمى صاحب تحرير التحبير هذا الباب بـ " براعة التخلص " وكلا المسميين بنفس المعنى ٠

أما فيما يتعلق بشواهد هذا اللون من ألوان البديع فنجد أن معظم

---

[١] المصباح ، ص ٢٧١ ٠

[٢] تحرير التحبير ، ص ٤٣٣ ٠

شواهد ابن مالك جاءت موافقة لشواهد ابن أبي الإصبع على هذا الباب وأول شاهد أورده ابن مالك هو من أشعار المتقدمين وهو قول زهير [١] :

إن البخيل ملوم حيث كـــــــان
ولكن الجواد على علاته هـــــرم

وهذا الشاهد ورد عند الكثيرين من علماء البلاغة شاهدا على حسن التخلص ٠ وورد عند ابن رشيق في العمدة شاهدا على الإستطراد ٠ فـــهو يرى أن الخروج وحسن التخلص شبيه بالإستطراد ٠[٢]

أما الشاهد الذي اختلف فيه ابن مالك مع ابن أبي الإصبع فهو قـول أبي نواس [٣] :

وإذا جلست إلى المدام وشربها   فاجعل حديثك كله في الكـــأس
وإذا نزعت عن الغواية فليكـــن   لله ذاك النزع لا للنـــــــاس

فهذا الشاهد من شواهد ابن مالك على حسن التخلص إلا أن ابن أبي الإصبع استشهد به على حسن النسق ، وقال معلقا على الشاهد " فإن حســن النسق لاءم بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد حتــى صارا كأنهما فنا واحدا " [٤] ٠

---

[١] ديوان زهير ، ص ١٥٢ – الصناعتين ، ص ٤٧٦ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٨٠ – خزانة الحمـــوي ، ج١ ، ص ٣٢٩ ٠

[٢] العمدة ، ابن رشيق ، ص ٤٠٩ ٠

[٣] ديوان أبي نواس ، ص ١٠٥ – خزانة الحموي ، ج١ ، ص ٣٣٠ – الطراز ، ج٣ ، ص ١٨١ ٠

[٤] تحرير التحبير ، ص ٤٢٧ ٠

وأشار إلى أنه من أفضل شواهد حسن النسق الذي يكون في الأبيات بحيث يعطف بيت على بيت قبله بالواو عطف تلاحم من غير تضمين ٠
فهذا الشاهد يتضح فيه حسن النسق وموافق لكلام ابن أبي الإصبع ، ومطابق للقسم الأول من أقسام حسن النسق الذي ذكره ٠

وعندما أضاف إليه ابن مالك البيت الأخير وهو قول الشاعر :

وإذا أردت مديح قوم لم تمن   في مدحهم فامدح بني العباس

أصبح شاهدا بارزا على حسن التخلص ودل على براعة الشاعر إذ خلص إلى مدح بني العباس في البيت الأخير ٠

- حسن الخاتمة

يتضح في هذا المبحث تأثر ابن مالك بابن أبي الإصبع – كغيره من المباحث الأخرى ٠ يقول ابن مالك نقلا عن ابن أبي الإصبع : " يجب على البليغ أن يختم كلامه بأحسن خاتمة فإنها آخر ما يبقى في الأسماع وربما حفظت من دون سائر الكلام ، فليجتهد في نضجها وحلاوتها وفي قوتها وجزالتها " [١] ٠

وفي المقابل نذكر كلام ابن أبي الإصبع وهو قوله : " يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، ولأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها " [٣].

---

[١] المصباح ، ص ٢٧٣ ٠

[٢] تحرير التحبير ، ص ٦١٦ ٠

ولا يشك من يطلع على تحرير التحبير في بحثه لباب حسن الخاتمة أن ابن مالك قد نقل ذلك عنه حتى وأن غير في بعـض الكلمـات وحـذف بعضا منها .

أما شواهد ابن مالك فقد نقلها أيضا عن ابن أبي الإصبع من مثـل قول المتنبي [1] :

فلاحطت لك الهيجاء سرجـــا
ولا ذاقت لك الدنيا فراقـــا

وقوله [2] :

لا زلت تضرب من عاداك عن عرض
بعاجل النصر في مستأخر الأجـل

ما عدا شاهد واحد وكان أول شاهد عند ابن مـالك علـى حسـن الخاتمة وهو قول المتنبي [3] :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنـها
وشرف الناس إذ سواك إنسانـا

وبعد نقل ابن مالك لشواهد ابن أبي الإصبع . نراه ينقل عبارتـه الأخيرة التي ختم بها هذا الباب فيقول : " وجميع خواتم السور في غاية مـن الحس ونهاية الكمال ، أنها بين أدعية ووصايا وفرائض ، ومواعظ تحميـد ،

---

(1) ديوان المتنبي ، ج٢ ، ص ٣٠٣ .

(2) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٨٨٠

(3) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٣١ - الطراز ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

ووعد ووعيد ، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطلع ولا تشوق لما يقال • كتفصيل جملة المطلوب في الفاتحة ، والدعاء الذي ختمت به البقرة ، والوصايا في خاتمة آل عمران • والفرائض في خاتمة النساء والتبجيل والتعظيم الذي في خاتمة المائدة ، والوعد والوعيد الذي في خاتمة الأنعام " [١].

ولنعرض ما يقابل ذلك من كلام ابن أبي الإصبع وهو قوله : " وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال ، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ، وتحميد وتهليل ، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلع ولا تشوف إلى ما يقال ، كالدعاء الذي ختمت به سورة البقرة ، والوصايا التي ختمت بها آل عمران ، والفرائض التي ختمت بها النساء ، والتبجيل والتعظيم الذي ختمت بها المائدة ، والوعد والوعيد الذي ختمت بهما الأنعام " [٢].

---

[١] المصباح ، ص ٢٧٥ •

[٢] تحرير التحبير ، ص ٦٢٠ •

- الاستخدام :

لون من ألوان البديع ذكره ابن مالك لكنه لم يوجد في المصبـــاح ، ولعله سقط في نسخة المصباح المطبوعة . ولابن مالك في هذا اللون مـــن ألوان البديع رأي خاص وهو " أن الاستخدام اطلاق لفـــظ مشـــترك بيـــن معنيين، ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنـــى الآخر ، ثم أن اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونـــان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما كقوله تعالى : { **لكل أجـــل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** } (1) يحتمـــل أن يـــراد الأجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتين " أجل " , " يمحو" فاستخدمت أحد مفهوميها وهو " الأمد " بقرينه " الأجل " واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة " يمحو " (2) .

وهناك رأي آخر وهو رأي الخطيب القزويني يؤخذ مـــن تعريفـــه للاستخدام حيث يقول " وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ، ثم بضمـــير معناه الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، وبالآخر الآخر " (3).
وعلى هذا الرأي سار أصحاب البديعيات .

ويشير ابن حجه الحموي إلى طريقة بدر الدين بن مـــالك بعـــد أن ذكر طريقة صاحب الإيضاح ومن تبعه فيقول :

---

(1) سورة الرعد ، آية ٣٨ – ٣٩ .

(2) انظر : فنون بلاغية ، أحمد مطلوب . (بدون – ١٩٧٥م) ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(3) الإيضاح ، القزويني ، ج٦ ، ص ٤١ .

" الاستخدام هو استفعال من الخدمة ، وأما في الاصطلاح فقد اختلفت العبارات في ذلك على طريقتين : -

الأولى : طريقة صاحب الإيضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهي أن الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين ، فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ، ثم تعيد عليه ضميرا تزيد به المعنى الآخر ، أو تعيد عليه إن شئت ضميرين تزيد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر ، وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفي الدين الحلي والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا .

والثانية : طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى في المصباح ، وهي أن الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين المعنيين ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر . ثم أن اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين . وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما .

والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين ، وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام ، فإن المراد من التورية هو أحد المعنيين ، وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد " [1] .

وأرى أن الاستخدام بالمعنى الذي ذكره ابن مالك أدق ملحظا وأشف بلاغة من الذي ذكره الخطيب . وأن الخطيب لما شهر في الناس حجب عنهم علم كثير .

---

[1] خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، ج١ ، ص ١١٩ .

الفصل الرابع

بين المصباح والإيضاح

شُغل البلاغيون في القرن السادس وما بعده بكتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي ٠ فوضعوا عليه التلخيصات والشروح ٠

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمـــر المعـــروف بـــالخطيب القزويني " ٧٣٩هــ " ٠ من أشهر الذين اختصروا القسم الثالث من " مفتاح العلوم " ٠ فكان كتاباه " التلخيص " و " الإيضاح " من أروع الكتـــب التـــي سيطرت على الدراسات البلاغية ٠

" وكان كتاب الإيضاح أوفى شرحاً وأحسن أسلوباً وأكثر أمثلة مـــن كتاب " مفتاح العلوم " ٠ ولهذا اشتهر وذاع وعكف الناس عليه يتدارســـونه ويعلقون عليه ٠ حتى كاد " مفتاح العلوم " يكون نسياً منسياً ٠

وقد اختار القزويني مفتاح العلوم من بين كتب البلاغة السابقة لـــه ، والتي ألفت في عصره ٠ وقد ذكر في خطبة كتابه أنه لخص مفتاح السكاكي وأضاف إليه بعضاً من الفوائد ٠

يقول في فاتحة التلخيص :

" وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي ٠ أعظم ما صُنِّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً ٠ لكونـــه أحسنها ترتيباً ، وأتمها تحريراً ، وأكثرها للأصول جمعاً ٠ ولكن كان غـــير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلاً للاختصار مفتقراً إلى الإيضـــاح والتجريد ٠ ألفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل علـــى مـــا

يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد . ولم آل جهداً في تحقيقه وتهذيبه ورتّبته ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه . ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه ، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه . وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم أظفر في كلام أحد بالتصريح بها ولا الإشارة إليها وسّميته " تلخيص المفتاح " [1].

ونلاحظ هنا أن القزويني أشار في مقدمة كتابة إلى إعجابه بكتاب المفتاح للسكاكي . وأنه عمد إلى تلخيصه وتهذيبه وترتيبه . والإضافة إليه سواء من الأمثلة والشواهد . أو الفوائد الأخرى .

وهذا مما يحمد عليه القزويني حيث أنه لم ينسب التلخيص إلى نفسه متناسياً مصدره الأول وهو المفتاح . بل إنه أشاد إشادةً عظمى بمفتاح السكاكي وبين مكانته في التأليف البلاغي وشدَّة إعجابه به .

وهذا ما لم يفعله بدر الدين بن مالك في مقدمة كتابة " المصباح " ولا في خاتمته أيضاً ، فلم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى " مفتاح العلوم للسكاكي " .

ومما جاء من كلام ابن مالك في مقدمته مبيِّناً قيمة كتابة المصباح قوله :

" فجاء كتاباً له حظ من التحقيق ، وحسن التهذيب في ضمير مزيد الإتقان ، وجودة الترتيب . على أنّي لم أبلغ بمقدار لفظه حجم أدنى المطولات ، ولا

---

[1] التلخيص ، الخطيب القزويني ، ص ٢١ – ٢٢ .

بالتَضيِّيق على معانيه غموض أكـــثر المختصـــرات ، وســـميته " كتـــاب المصباح"[1] .

أما ما ختم به كتاب " المصباح " فهو قوله :

" وليكن هذا آخر الكتاب ٠ واعلم أني قد مهّدت لك فيه قواعد متـــى بنيـــت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ، ونهجت لك مناهج متى سلكتها اعترف لـــك بكمال الحذق والبلاغة أبناؤها ، ونصبت لك أعلاماً متى انتحيتها أعـــثرتك على ضوالّ منشودة ، وحشدت لك من الأمثلة ما ليست عند أحد بمحشودة ، فمن لم يستضئ بهذا المصباح ، فليس ينفعه نور الصّباح " [2].

والذي لا يمكن أن ننكره أن كتاب الإيضاح للقزويني غطى علـــى كل من لخص " مفتاح العلوم " للسكاكي ٠

" ولقد تبوأ إيضاح القزويني خاصة المنزلة الكبرى بين ما صنـــف في علوم البلاغة لما حواه من الأبحاث البلاغية القيمة والمســـتفيضة ، ولأن صاحبه كان في هذه الأبحاث قويّ الشخصية ، غزير المادة العلمية ، ظاهر الاستقلال ، عميق النظرة ، كثير التقليب لوجوه المسائل ، رصين الجدال ٠ فأكثر فيها من مناقشة من سبقوه ومن الاعتراض على الســـكاكي خاصـــة وعلى عبد القاهر في بعض الأحيان " [3].

---

[1] المصباح ، ص ٣ ٠

[2] المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ٠

[3] أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها ، عبد الكريم الأسعد ، ص ٢١٣ ٠

وقد كان الخطيب القزويني حسن العبارة ، واضح الدلالة ، عميق النظرة . وقد ناقش السكاكي في كثير من المواضع . وقد أكثر من قوله " وفيه نظر " عند معارضته للسكاكي ومناقشة آرائه .

" وفي كتاب الإيضاح مواقف كثيرة يصحّح فيها القزويني للسكاكي بل ولعبد القاهر . ونجد عند القزويني وفي جهوده البلاغية كثيراً من النظرات النقدية . منها ما يتخلل كلامه في المعاني والبيان والبديع ، ومنها ما يتصل ويلتحم في الفصلين الذّين ختم بهما كتابيه .

أما أولهما : ففي السرقات الأدبية .

وأما ثانيهما : ففي الابتداء والتخلص والإنتهاء .

وقد شارك القزويني بآرائه النقدية في موضوعات الذوق الأدبي " [1].

وما نودّ الإشارة إليه هنا هو مدى تأثر القزويني بكتاب " المصباح ". وهل كان من ضمن الكتب التي كان لها أثر في الإيضاح .

ونستطيع أن نؤكد ذلك من خلال النظر إلى الكتابين ومعرفة ما إذا كان هناك تأثر أم لا .

ولكن قبل ذلك كلّه . نعرض لأقوال بعض المؤلفين الدالّة على تأثر القزويني بابن مالك . ومتابعته له .

---

[1] النقد الأدبي في العصر المملوكي ، عبد العزيز قليقلة ، ص ٨٦ .

يقول الدكتور أحمد مطلوب " تأثر القزويني ببدر الدين بن مالك وأن لم يشر إليه ، ويتضح ذلك في متابعته في تلخيص مفتاح العلوم . وقد سنّ بدر الدين سنّة الاختصار .

ونُرجِّح أن القزويني تابعه في تسمية المحسنات بالبديع ، لأننا لم نجد أحداً قبل بدر الدين أطلق عليه هذا المصطلح الذي أطلقه الرواة وابن المعتز على فنون البلاغة المختلفة . وأن السكاكي الذي قسّم البلاغة وصاغها الصياغة الأخيرة لم يسمِّه بهذا وإنما هي عنده وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام "[1].

ويقول الدكتور شوقي ضيف في معرض حديثه عن الخطيب القزويني :

" ونحسُّ منذ السطور الأولى أنه اطّلع على تلخيص بدر الدين بن مالك الذي سمّاه " المصباح " فقد استهدى به في نقل حديث السكاكي عن البلاغة والفصاحة عقب علم البيان إلى فاتحة الكلام عن العلوم البلاغية جميعاً " [2].

ثم يقول في موضع آخر :

" وبذلك جعل البلاغة تشمل المقدمة الخاصة بها وبالفصاحة ثم علوم المعاني والبيان والبديع ، وهو في هذا الصّنيع يتابع بدر الدين بن مالك " [3].

* * *

(1) انظر : القزويني وشروح التلخيص ، أحمد مطلوب . (بغداد – ١٩٦٧ م) ، ص ٢٠٥ .
(2) البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ص ٣٣٦ .
(3) المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

ويمكن أن نشير هنا إلى أبرز مظاهر التأثر عند القزويني • في عدّة نقاط •

- نقل القزويني عن بدر الدين بن مالك بحث تقديم المسند إليه على المسند واعترض عليه في تعليله لتقديم المسند إليه " كل " لإفادة العموم • وأن ذلك غير مسلم به • وذكر كلام عبد القاهر الذي يؤيد قول بدر الدين وإن اختلفا في التعليل •

" فالخطيب القزويني استفاد من بدر الدين بن مالك وعبد القاهر الجرجاني في التوجيه • وهي استفادة تظهر قدرته على الرّد والمناقشة ونفي ما يراه غير مفيد ، وأخذ ما يرى فيه النفع وإنارة السبيل "[1].

- قسم القزويني البلاغة إلى ثلاثة علوم : المعاني والبيان والبديع •

- نقل مبحث الفصاحة والبلاغة من ذيل البيان إلى فاتحة الكتاب • قبل الحديث عن علوم البلاغة • إلى غير ذلك •

* * *

ومن الكتب البلاغية التي كان لكتاب " المصباح " أثر فيها :

كتاب " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " للإمام يحى بن حمزة العلوي • ويقع في ثلاثة أجزاء •

---

[1] القزويني وشروح التلخيص ، أحمد مطلوب ، ص ٢٠٧ •

يقول في مقدمته " ان الذين ألفوا في البلاغة ، منهم من بسط كلامه نهاية البسط ، وخلط فيه ما ليس منه فكان آفته الإملال . ومنهم من أوجز فيه غاية الإيجاز ، وحذف منه بعض مقاصده فكان آفته الإخلال. "[1] .

ثم أشار إلى أنه اطّلع على أربعة كتب ألفت قبله هي : " المثل السائر ، التبيان ، النهاية ، المصباح " .

وكتاب المصباح لبدر الدين بن مالك من الكتب التي اعتمد عليها العلوي في تأليف كتابه ، وقد أشار بعض الدارسين إلى نقل العلوي من كتاب المصباح في كثير من المواضع .

يقول الدكتور : نزيه فراج عند حديثه عن الكناية مشيراً إلى العلوي " أما القسم الثاني وهو تقسيمها باعتبار حالها إلى قريبة وبعيدة ، فقد ولىّ وجهه شطر كتاب " المصباح " فأخذ منه ما ذكره بدر الدين بن مالك في الكناية عن صفة . وإن كان العلوي لم يذكر إطلاقاً كلمة الصفة ولا الموصوف ولا النسبة . ولك ما ذكره من شواهد لهذا القسم الثاني فهو من الكتاب المذكور "[2] " يعني المصباح " .

وقال في موضع آخر من كتابه مشيراً إلى العلوي " بعد ذلك قسّم " البديع " تقسيم بدر الدين بن مالك له في كتابه " المصباح " قال : علم البديع ينقسم إلى ما يكون متعلقاً بالفصاحة اللفظية وإلى ما يكون متعلقاً بالفصاحة المعنوية "[3] .

---

(1) الطراز ، العلوي ، ج1 ، ص ٣ .

(2) من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي ، نزيه فراج . (مصر – ١٩٩٧م) ، ص ٢١٩ .

(3) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

وتأثر العلوي ببدر الدين بن مالك واضح جداً ونراه في كثير من الأحايين ينقل عنه تعريفاته وأقسامه وشواهده ٠

ولنقتصر على عرض نموذج لتأثر العلوي بابن مالك في تناوله لبعض الألوان البديعية وليكن " تأكيد المدح بما يشبه الذم " فلنعرضه عند الرجلين ٠ يقول ابن مالك " تأكيد المدح بما يشبه الذم أن تنفي عن الممدوح وصفاً معيباً ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أن ستثبت له ما يذم به ، فتأتي بما من شأنه أن يذم به ، وفيه المبالغة في المدح " [1].

وهذا التعريف نقله العلوي فقال : " أن تنفي عن الممدوح وصفاً معيناً ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم أنك استثنيت ما يذم به فتأتي بما من شأنه أن يذم به وفيه المبالغة في مدح الممدوح " [2].

ونقل العلوي شواهد ابن مالك على هذا اللون البديعي أيضاً ٠

فالعلوي ينقل ما قاله ابن مالك دون أن يضيف شيئاً ٠

ولنكتف بما أوردناه إذ ليس الهدف هو حصر كل مواطن التأثر في الكتاب حتى نسرد كل ما أورده ٠

* * *

(1) المصباح ، ص ٢٣٩ ٠

(2) الطراز ، ج٣ ، ص ١٣٦ ٠

ومن الكتب التى اعتمدت على كتاب " المصباح " لبدر الدين بن مالك • كتاب " التبيان في المعاني والبيان " للعلاّمه شرف الدين حسين بن محمد الطيبي • يقول في مقدمة كتابه :

" هذا وإنّ كتابي إذا تركت المراء ، واتبعت الهدى قلت : هو بديع في إغرابه ، وإذا رمقت بعين الرضى وجانبت الهوى خلته مفرداً في بابه ، لما ضمنته من مباحث المفتاح ما كان أصولها ، ومن منافث الكشاف ما آخر محصولها ، ورشحته بما في المصباح والإيضاح من النوادر ، ورشحته بزبدة النهاية ، والمثل السائر " [1]•

فالطيبي في مقدمته يشير إلى الكتب التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ومن ضمنها " المصباح " لبدر الدين بن مالك •

ونجد أن كتاب " المصباح " من الكتب البلاغية المهمة التي اعتمد عليها العلماء ، فنجد أنهم يذكرونه إلى جانب أبرز كتب البلاغة كنهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ، وكتاب المثل السائر لابن الأثير •

---

[1] التبيان ، الطيبي ، ص ٤٤ •

الخاتمة

أحمد الله العلي القدير على نعمه التى لا تحصى ، وما هيأه لي من أسباب حتى اكتمل هذا البحث الذي تناولت فيه كتاب " المصباح في المعاني والبيان والبديع " لبدر الدين بن مالك ، بالتحليل والدراسة ٠

وقد بدأ البحث بمقدِّمة بينت فيها أهمية علم البلاغة واهتمام العلماء بهذا العلم ، وتطوره على أيديهم ، ومكانة عبد القاهر الجرجاني في تاريخ البلاغة ، ويليه السكاكي صاحب " المفتاح " ، ثم بدر الدين بن مالك الذي كان أول من تناول " مفتاح العلوم " بالتلخيص ٠

ثم ذكرت الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ليكون مجال دراستي ، والصعوبات التي واجهتني ٠

ثم التمهيد ، وبدأته بالتعريف ببدر الدين بن مالك ثم تحدثت عن البيئة العلمية في عصره وبلاغته ، وأن هناك مدرستين للبلاغة إحداهما المدرسة الكلامية والأخرى المدرسة الأدبية ، وذكرت أهم خصائص كلّ منهما وأبرز رجال المدرستين ، وظهور اتجاه ثالث جمع بين خصائص الإتجاهين السابقين ٠ ثم وضحت منهج ابن مالك الذي سار عليه في كتاب " المصباح " ٠

ثم انتقلت إلى صلب الدراسة وقسمت البحث إلى أربعة فصول ٠

أشرت في الفصلين الأولين إلى أبرز ما أضافه ابن مالك في كتابه " المصباح " من آراء أو شواهد أو تقسيمات إلى ما نقله عن السكاكي ، وذكرت أبرز المباحث التى رأيت أنه اختلف في بحثه لها عن السكاكي في " المفتاح " ٠

وفي الفصل الأول من علم المعاني تناولت :

الفصاحة والبلاغة ، تقديم المسند إليه ، الإلتفات ، الإيجاز والإطناب ، أحوال الطلب ٠

أما الفصل الثاني من علم البيان ٠ فتناولت فيه : التشبيه ، المجاز، الاستعارة ، الكناية ٠

أما الفصل الثالث من الرسالة فقد خصصته لعلم البديع ، وتناولت فيه جميع ألوان البديع التي ذكرها ابن مالك في كتابة " المصباح " واجتهدت في أن أبين ما نقله ابن مالك عمّن سبقه من العلماء وما هو جديده ــ والمصادر التي اعتمد عليها في بحثه للبديع ٠

أما الفصل الرابع من الرسالة فتحدثت فيه بإيجاز عن كتاب " الإيضاح " للقزويني ، وأن كتاب " المصباح " لبدر الدين بن مالك كان أحد الكتب البلاغية التى اطلع عليها القزويني ، ولها أثر في كتاب " الإيضاح "٠
ثم أشرت أيضاً إلى كتابي " الطراز للعلوي " و " التبيان للطيبي " ٠ وأن هذين الكتابين قد اعتمدا على كتاب " المصباح " أيضاً وقد أشار إلى ذلك المؤلفان ٠

ولقد توصلت الدراسة إلى نتائج لعلّ أهمّها وأبرزها الحقائق التالية:

- بيان تأثر بدر الدين بن مالك بسابقيه من علماء البلاغة ، ومعرفة أهم المصادر التي اعتمد عليها كتاب " المصباح " وأن اعتماده الكلي لم يكن على " مفتاح العلوم " للسكاكي .

- أن بدر الدين بن مالك جمع بين أفضل عالمين من علماء البلاغة وأبرز كتابين عرفهما تاريخ البلاغة وهما : " مفتاح العلوم " للسكاكي ، و " تحرير التحبير " لأبن أبي الإصبع المصري .

- يمكن القول بأن بدر الدين بن مالك قد جمع بين اتجاهين بلاغيين هما : الإتجاه الكلامي ، والإتجاه الأدبي .

- تأثير بدر الدين بن مالك فيمن أتى بعده من علماء البلاغة ، كالقزويني ، والعلوي ، والطيبي .

- أثبتت الدراسة أن لبدر الدين بن مالك آراء وتقسيمات وشواهد تفرد بها عن غيره من العلماء ، وكان لكتابه مكانة في تاريخ البلاغة .

- بينت الدراسة مكانة بدر الدين بن مالك بين علماء البلاغة ، حيث كان حلقة بين السكاكي ومن تبعه من أصحاب الشروح والتلخيصات .

هذا وقد أوصت الدراسة بما يلي : -

- البحث في مؤلفات بدر الدين بن مالك البلاغية والنحوية ، والعمل على تحقيقها ودراستها . من مثل كتابه " روض الأذهان في علم المعاني والبيان " .

- دراسة أثر كتاب " المصباح " في كتب البلاغة من بعده . دراسة مفصَّلة تبين مدى استفادة العلماء من تقسيماته وشواهده وتعريفاته ، وتضع كتابه في الموضع الصحيح بين كتب البلاغة الأخرى .

وأخيراً :

أسأل المولى جلّ شأنه أن يكون هذا البحث مفيداً نافعاً " وما لا يدرك جلّه لا يترك كلهُ " كما يقول المثل الحكيم . والتحليل والدراسة ليس بالأمر الهين، ويعجز عنه أمثالي ممن هم في أول الطريق . فإن كنت قد وفقت ، فهذا بفضل من الله ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً . وإن كانت الأخرى . فهذا مبلغ علمي . وأسأل الله الأجر على اجتهادي أصبت أم أخطأت .

" والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات "

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة ، حفنى محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الطبعة الأولى .

- أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها ، عبد الكريم الأسعد ، دار العلوم ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، بدون طبعة .

- الأدب في العصر المملوكي ، محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ت / محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جده ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، الطبعة الأولى .

- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، ت / أحمد صقر ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، ت / شاكر هادي شاكر ، مكتبة الفرقان ، العراق ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، الطبعة الأولى .

- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ت / محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة الثالثة.

- البديع ، عبد الله بن المعتز ، ت / أغناطيوس كراتشوفسكى ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ـ ت / أحمد أحمد بدوي – حامد عبد المجيد ، الإدارة العامة للثقافة ، مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة.

- بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، ت / حفني محمد شرف ، نهضه مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، الطبعة الثامنة.

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد " علم البيان " ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠م ، الطبعة الثالثة .

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد " علم المعاني " ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠م ، الطبعة الثالثة .

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد " علم البديع " ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩١م ، الطبعة الثانية .

- البلاغة عند السكاكي ، أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، الطبعة الأولى .

- البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب – كامل حسن البصير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى ٠

- البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، مصطفى الصاوي الجويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٥م ، بدون طبعة ٠

- البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، بدوى طبانه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م ، الطبعة الثالثة ٠

- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ت / حسن السندوبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، الطبعة الأولى ٠

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب – نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، إحسان عباس ، دار الشروق ، الأردن ، بدون تاريخ ، بدون طبعة ٠

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، ت / حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ٠ مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة ٠

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ت / محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، بدون طبعة ٠

- التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، محمد أبو موسى ، دار التضامن ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، الطبعة الثانية .

- الحقيقة والمجاز بين الرازي والعلوي ، دراسة نقدية ، نزيه عبد الحميد السيد فراج ، دار الفتح للإعلام العربي ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة الأولى .

- خزانة الأدب وغاية الأرب للشيخ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، ت / عصام شعيتو ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٩١م ، الطبعة الثانية .

- الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني ، ت / محمد على النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- دراسات بلاغية ونقدية ، أحمد مطلوب ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٣٩٩هـ ، بدون طبعة .

- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت / محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، الطبعة الثالثة .

- ديوان ابن الرومي ، ت / حسين نصّار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م ، بدون طبعة .

- ديوان أبي تمام ، بشرح التبريزي ، ت / محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥م ، بدون طبعة .

- ديوان أبي نواس ، ت / أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٤م ، بدون طبعة .

- ديوان الأعشى ، بشرح محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٨م ، بدون طبعة .

- ديوان امرئ القيس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى .

- ديوان البحتري ، ت / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م ، الطبعة الثانية .

- ديوان بشار بن برد ، ت / محمد الطاهر بن عاشور ، الجزائر ، ١٩٧٦م ، بدون طبعة .

- ديوان جرير ، محمد اسماعيل الصاوي ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- ديوان حسان بن ثابت ، ت / سيد حفني حسنين ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- ديوان الحماسة ، أبو تمام ، بشرح المرزوقي ، ت / أحمد أمين - عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، بدون طبعة .

- ديوان الخنساء ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣م ، الطبعة التاسعة .

- ديوان ديك الجن ، ت / أحمد مطلوب – عبد الله الحيدري ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤م ، بدون طبعة .

- ديوان زهير ، دار الكتب ، ١٩٤٤م ، بدون طبعة .

- ديوان عمرو بن أبي ربيعة ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٨م ، بدون طبعة .

- ديوان الفرزدق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

- ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة.

- ديوان المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- ديوان مسلم ابن الوليد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، الطبعة الثانية .

- ديوان النابغة الذبياني ، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- ديوان الهذليين ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م ، الطبعة الأولى .

- ذيل تذكرة الحفّاظ للذهبى ، الحافظ الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- روائع البيان العربي ، عبد الحميد محمد العبيسي ، دار إحيـــاء الكتـــب العربية ، مصر ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، بدون طبعة .

- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، دار الكتـــب العلميـــة ، بـــيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .

- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان لجـــلال الديـــن عبـــد الرحمـــن السيوطي ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، الطبعـــة الثانية .

- شروح سقط الزند ، ت / مصطفي السقا وآخرون ، الهيئـــة المصريـــة للكتاب ، ١٩٨٦م ، بدون طبعة .

- الصبغ البديعي في اللغة العربية ، أحمد إبراهيم موســـى ، دار الكتـــاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، بدون طبعة .

- الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ، حفني محمد شـــرف ، مكتبـــة الشباب ، مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- طبقات الشافعية ، جمال الدين عبد الرحيـــم الأســـنوي ، ت / عبـــد الله الجبوري ، مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- طبقات النحاه واللغويين ، الإمام تقي الدين ابن قاضي شـــهبة الأســـدي الشافعي ، ت / محسن عياض ، مطبعة النعمان " النجف الأشـــرف " ، ١٩٧٤م ، بدون طبعة .

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحـــي بـــن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بـــدون تـــاريخ ، بـــدون طبعة.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، ضمـــن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بـــدون طبعة .

- عصر سلاطين المماليك ، محمود رزق سليم ، مكتبة الآداب بالجماميز ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥١م ، بدون طبعة .

- علم البديع . دراسة تاريخية وفنيّه لأصول البلاغة ومســـائل البديـــع ، بسيوني عبد الفتاح فيُّود ، القـــاهرة ، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م ، بـــدون طبعة.

- علم البديع ، عبد العزيز عتيـــق ، دار النهضـــة العربيـــة ، بـــيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، بدون طبعة .

- علم البيان ، يوسف البيوي ، جامعة الأزهر ، ١٩٧١م ، بدون طبعة.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، للإمام أبي على الحسن بـــن رشـــيق القيرواني ، ت / محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

- فن البلاغة ، عبد القادر حسين ، مطبعة الأمانة ، مصر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٥م ، بدون طبعة .

- في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الطبعة العاشرة .

- القزويني وشروح التلخيص ، أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م ، الطبعة الأولى .

- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- قواعد الشعر لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ، ت / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، بدون طبعة .

- كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، للعلاّمة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي ، ت / هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

- كتاب الصناعتين . الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ، ت علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، الطبعة الثانية .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- الكناية . أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن علي الأمين أحمد ، الفيصلية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، بدون طبعة .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، ت / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، بدون طبعة .

- المجاز المرسل والكناية ، يوسف أبو العدوس ، لبنان ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- مسائل الخلاف في الأساليب الخبرية من علم المعاني في إيضاح الخطيب ، ناصر مسفر الزهراني ، مكة المكرمة ، ١٤١٣هـ .

- المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ، ت / حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، ١٤٠٩هـ ، الطبعة الأولى .

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، بدون طبعة .

- المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني ، إنعام فوّال عكاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى.

- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف السكاكي ، ضبط وشرح / نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة الثانية .

- مفهوم الإستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين . " دراسة تاريخية فنيّة ، أحمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، بدون طبعة .

- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ، حامد صالح خلف الربيعي ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، بدون طبعة .

- مقدمة ابن خلدون ، أبو عبد الله السعيد المندوه ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، الطبعة الأولى .

- مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، الطبعة الأولى .

- من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي ، نزيه عبد الحميد فراج ، مكتبة وهبة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، الطبعة الأولى.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبي الحسن حازم القرطاجني ، ت / محمد الحبيب ابن الخوجه ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م ، الطبعة الثالثة .

- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ابن يعقوب المغربي ، ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ، ت / إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨م ، بدون تاريخ .

- النقد الأدبي في العصر المملوكي ، عبد العزيز قليقله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م ، الطبعة الأولى .

- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، ت / كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، الطبعة الثالثة .

- النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت / محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف، بدون تاريخ ، الطبعة الرابعة .

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الإمام فخر الدين الرازي ، ت / بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى .

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، اسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، بدون طبعة .

- الوساطه بين المتنبي وخصومه ، القــاضي علــى بــن عبــد العزيــز الجرجاني، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – على محمــــد البجــاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ ، بدون طبعة .

الفهرس